

سلطنة عمان
معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد

السيرة النبوية

مرحلة الدراسات الشرعية العامة
السنة الدراسية الثانية

تأليف
د. راجح عبد الحميد الكردي
د. ماجد محمد أبو رخية

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ

سلطنة عمان

معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد

السيرة النبوية

مرحلة الدراسات الشرعية العامة

السنة الدراسية الثانية

تأليف

د. راجح عبد الحميد الكردي د. ماجد محمد أبو رخيه

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ

حقوق الطبع والنشر محفوظة لمعهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد

اللجنة الاستشارية لمناهج مرحلة الدراسات
الشرعية العامة بالمعهد برئاسة سماحة
الشيخ / أحمد بن حمد الخليلي

وعضوية كل من :

د. إبراهيم بن أحمد الكندي أحمد بن سعود السيابي
أحمد بن سليمان الكندي زياد بن طالب المعولي
عبدالله بن حمدان الدهماني



حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم

بسم الله الرحمن الرحيم
مقـــدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الهادي الأمين وبعد ،،،

فهذا كتاب في السيرة النبوية وفق منهاج مرحلة الدراسات الشرعية العامة لطلاب معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد قمنا بإعداده بناء على تكليف من القائمين عليه . نضعه اليوم بين يدي طلابنا الأعزاء بعد أن قمنا بكتابته كتابة ليس فيها الاختصار المخل ولا التطويل الممل مع الحرص الكامل على الرجوع إلى المصادر المعتمدة في هذا المجال.

ولقد جاء موضوع هذا الكتاب متضمنا لأبرز الأحداث في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بعهديها المكي والمدني بما يتناسب والخطة الدراسية الموضوعة في المعهد.

ولما كانت السيرة النبوية كتابة وقراءة لا يجوز أن تكون تسلية أو تغن بأمجاد الماضي بل يجب أن تكتب وتقرأ بقصد الوقوف على أسباب العزة والرفعة والمنعة في محاولة جادة هادفة لإحداث تغيير في واقع المسلمين نحو الأفضل، فقد راعينا في تأليف هذا الكتاب استنباط الدروس والعبر من خلال أحداث سيرته صلى الله عليه وسلم .

ولما كان الكتاب منهجيا فقد عمدنا إلى وضع الأنشطة في نهاية كل

درس تشجيعا لروح المشاركة والتفاعل بين الطلاب ومدرس المادة وتنمية القدرات والمواهب، وحثا علي إظهار روح النقد البناء الهادف الذي يساهم في تطوير العملية التربوية في واقعنا المعاصر .

ونسأل الله أن يوفق الجميع لصالح الأقوال والأفعال.

والحمد لله رب العالمين

المؤلفان

الوحـــدة الأولـــى

١- مدخل إلى السيرة النبوية الشريفة
٢ - مصادر السيرة النبوية الشريفة

مدخل إلى السيرة النبوية الشريفة

عناصر الدرس :

١ - معنى السيرة .
٢ ــ أهمية السيرة النبوية .
٣ - الغاية من دراسة السيرة .

١ - معنى السيرة

السيرة لغة هي السنة ، والطريقة ، والهيئة ، وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من سيرها

والسيرة هي الطريقة يقال سار بهم سيرة حسنة.[١]

والسيرة هي الهيئة ومنه قوله تعالى سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ [٢] أي سنعيدها على هيئتها الأولى.

وسَيّر سيرة أي حدّث حديث الأوائل

وأما السيرة في الاصطلاح فهي العلم المتعلق بحياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان المؤرخون يطلقون علي هذه الدراسة «علم المغازي والسير». جاء في مقدمة السيرة النبوية لابن هشام «لفظتا المغازي والسير » إذا أطلقتا فالمراد بهما عند مؤرخي المسلمين تلك الصفحة الأولى من تاريخ الأمة العربية، صفحة الجهاد في إقامة صرح الإسلام ، وجمع العرب تحت لواء الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وما يضاف إلى ذلك من الحديث عن نشأة النبي وذكر

---

١ - لسان العرب - مادة سير.
٢ - سورة طه آية (٢١).

أيامه ، وماسبق حياته من أحداث لها صلة بشأنه وحياة أصحابه الذين أُبْلُوا معه في اقامة الدين وحملوا رسالته في الخافقين».

٢ - أهمية السيرة النبوية

وتأتي أهمية دراسة السيرة النبوية من كونها سيرة النبي الأمي الذى أُمرنا بحبه واتباعه والاقتداء به ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١) ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٢) وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام هي الترجمة العملية لهذا الدين ، وهي الصورة الحية النابضة لما جاء في كتاب الله عز وجل.

وإن القدوة ، والمحبة ، وحسن الاتباع لا يمكن أن يتحقق في حياة المسلمين على الوجه المطلوب إلا إذا كانت سيرته عليه الصلاة والسلام ماثلة للعيان شاخصة للأبصار.

فتأتي أهمية السيرة النبوية من كونها تمتاز بالأمور التالية:-

١ - أنها أصح سيرة لنبي مرسل وصلت إلينا ، فهي سيرة لا يتطرق لها شك ولا احتمال لأنها وصلت بطريقة ثابتة لا عوج فيها ولا تحريف ولا تزويد، ولقد كان من تمام حفظ الله لهذا الدين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٣) أن سخر لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدونها ويحفظها ، ويصونها من عبث العابثين ، وقد كانت حياته ﷺ واضحة المعالم في جميع مراحلهامن قُبيْل الولادة وحتى التحاقه بالرفيق الأعلى الأمر الذى جعل أحد المستشرقين يقول : «إن محمداً ﷺ هو الوحيد الذى ولد على ضوء الشمس».

---

١ - سورة الأحزاب آية (٢١).
٢ - سورة الحشر آية (٧).
٣ - سورة الحجر آية (٩).

ب – أن سيرة رسول الله ﷺ شاملة لجميع النواحي الإنسانية في المجتمع مما يجعله القدوة الصالحة لكل داعية، وكل قائد، وكل أب، وكل زوج ، وكل صديق، وكل مرب، وكل سياسي، وكل رئيس دولة .

وإن السيرة لتبين لنا حياة الرسول ﷺ في جميع مراحلها فهي تذكر لنا أدق التفاصيل في حياة الرسول ﷺ ؛ تذكر طعامه وشرابه ، تذكر قيامه وقعوده، تذكر لباسه وشكله ومنطقه ومعاملته وتعبده وصلاته وصلته بأصحابه.

جـ – أن الأمة الإسلامية هي أمة الدعوة إلى الله ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

والذى لا شك فيه ولا جدال هو أن الرسول ﷺ هو الداعية الأول لهذا الدين ، ومن خلال سيرته تتبين معالم الطريق وتعرف الأساليب التي كان الرسول ﷺ يتبعها وهو يتولى أمر الدعوة إلى الله على بصيرة ، وكيف كان ﷺ يتعامل مع المشركين وهم يعرضون عن الدعوة ويصدون عنها ويدبرون المكائد، ويحيكون الدسائس لوأدها والقضاء عليها في مهدها.

كل هذا يعتبر من الأهمية في حياة الدارسين للسيرة، لأن منهاج الرسول هو النبراس الذي يضيء الطريق للدعاة إلى الله في كل زمان ومكان كلما ادلهم الخطب وخيم الباطل بظلماته، وسيطر الجهل بخرافاته.

٣ – الغاية من دراسة السيرة

الرسول ﷺ هو القائد والمعلم والقدوة ، ودراسة سيرته هي المدخل لفهم

١ – سورة آل عمران آية (١١٠).

حقيقة الإسلام، لأنها الشاهد الْعَمِلِيُّ الناطق بثمرات الإيمان واليقين بهذا الدين، والذي ينبغي أن يكون واضحا في أذهان المسلمين أن كل بيت من بيوتهم يجب أن لا يخلو من كتاب من كتب السيرة، وإنك لتعجب أشد العجب وأنت ترى الكثير من بيوتنا تحتوى العديد من القصص والمجلات والمؤلفات، ولا تجد فيها كتابا واحدايتحدث لهم عن شخصية رسول الله ﷺ ، وقد كان السلف الصالح يعلمون أبناءهم المغازي والسير كما يعلمونهم الآية من القرآن.

ويمكن أن نجمل الغاية من دراسة السيرة النبوية في النقاط التالية:

ا - صياغة العقلية الإسلامية الواعية المدركة لحقيقة هذا الدين بصورة واضحة لا غموض فيها ، ولا غبار عليها من خلال فهم حياته ﷺ.

والحقيقة التي لا مراء فيها أن وضوح معالم سيرة الرسول ﷺ في حياة المسلمين سبب في وضوح الرؤية وسلامة الطريق، وإن كثيراً من الانحرافات التي وقع فيها المسلمون عائد إلى جهلهم بسيرة نبيهم ﷺ.

ب - محاولة إعادة صياغة تاريخ هذه الأمة بناء على الأسس والقواعد التي أرساها محمد ﷺ من خلال سيرته العطرة ، فالأمة الإسلامية اليوم أصبحت مع الأسف الشديد قشة في مهب الرياح تتقاذفها الأمواج من كل جانب ، فقدت هويتها واعتزت بغير الله (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) وبالتالي فإن أية محاولة لإعادة مجد هذه الأمة، ورفع رايتها من جديد ستذهب أدراج الرياح ما لم تكن سيرة المصطفي نقطة البداية.

تاريخنا من رسول الله منشؤه وما عداه فلا عز ولا شان

جـ - إن سيرة رسول الله ﷺ مبينة للقرآن الكريم وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ [1] . وقد سجل القرآن الكريم الكثير من

---

١ - سورة النحل آية (٤٤).

المواقف التى حصلت مع الرسول ﷺ ، ومع الصحابة الكرام ، فها هي الآيات القرآنية تتحدث عن الغزوات وعن مواقف المؤمنين والمنافقين ومواقف اليهود في المدينة المنورة.

لهذا فإن دراسة السيرة دراسة تبصر وتدبر وإمعان تفيدنا في تفسير الآيات القرآنيه ، فارتباط السيرة بالقرآن ارتباط وثيق وهو ارتباط بيان وتفسير ، ولا يمكن فهم كثير من الآيات القرآنيه إلا بفهم المواقف النبوية من خلال دراسة السيرة.

د – الوصول إلى محبة الله عز وجل عن طريق محبة الرسول ﷺ تحقيقا لقوله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [1]

والعمل على ترسيخ الإيمان بهذا الدين في قلوب أبناء هذه الأمة من خلال سيرته ﷺ قال الإمام الزهري «في علم المغازي خير الدنيا والآخرة» وكان سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة النبي ﷺ ومغازيه ويقول «يا بني هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها».

النشـــــاط :

ارجع إلى كتاب فقه السيرة النبوية للبوطي واقرأ الأهداف التفصيلية لدراسة السيرة النبوية وقارنها بما ورد بالدرس.

---

١ – سورة آل عمران آية (٣١).

مصادر دراسة السيرة النبوية الشريفة

عناصر الدرس :

١ - القرآن الكريم.
٢ - السنة النبوية.
٣ - الشعر المعاصر لعهد الرسالة.
٤ - كتب السيرة.

١ - القرآن الكريم :

القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أصح المصادر التي تستمد منها سيرة الرسول ﷺ .

والناظر في كتاب الله عز وجل يرى ويدرك بوضوح أن آيات قرآنية كثيرة تتناول الحديث عن حياة محمد ﷺ الخاصة والعامة ، وأن آيات قرآنية كثيرة تحدثت عن غزواته ﷺ .

فها هو القرآن الكريم يذكر طفولة النبى ﷺ ونشأته أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ [1] ويذكر عطف الرسول ﷺ وشفقته على أصحابه لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ [2] وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ [3] ويذكر خلق

١ - سورة الضحى آية (٦-٨).
٢ - سورة التوبة آية (١٢٨).
٣ - سورة الحجرات آية (٧).

رسول الله ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝١﴾ [1] ويتحدث عن موقف المشركين ورغبتهم في المداهنة والمسايرة ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [2].

وها هو القرآن يتحدث حديثا مجملاً عن غزوة بدر في سورة الأنفال ، ويتحدث عن بيعة الرضوان وصلح الحديبية في سورة الفتح، ويتحدث عن غزوة الأحزاب في سورة الأحزاب ، ويتحدث عن غزوة تبوك في سورة التوبة ويتحدث في سور أخرى عن غزوة أحد وعن فتح مكة وغزوة حنين .. الخ.

٢ – السنة النبوية :

تعد سنة رسول الله ﷺ التي رواها ودونها أئمة من الأعلام الثقات أمثال البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمزي، وابن ماجة وأبي داود، ومالك وابن حنبل وغيرهم من الأئمة مصدراً رئيسياً من مصادر السيرة، كيف لا وقد جاءت كتب السنة مبينة لكثير من الغزوات التي ورد ذكرها مجملاً في كتاب الله ، واشتملت على ذكر ووصف لحياة الرسول ﷺ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وبينت طبيعة علاقته مع المؤمنين وطبيعة علاقته مع المشركين .

كل هذا جاء بسند متصل إلى الصحابة الكرام وهم أعرف الناس وأعلمهم بأحواله وسيرته ﷺ الأمر الذى يولد ثقة وطمأنينة في نفس كل دارس للسيرة النبوية.

ولما كانت كتب الحديث النبوي محل اعتماد وثقة من قبل الدارسين للسيرة؛ لأن أحاديثها مسندة إلى ذلك الجيل القرآني الذي صنعه الرسول ﷺ على عينه ورباه على يديه ، فقد عمل أعداء الله – من المستشرقين ومن سار على نهجهم وتخرج من مدارسهم من أبناء هذه الأمة – جاهدين للتشكيك

١ – سورة القلم آية (٤).
٢ – سورة القلم آية (٩).

في السنة النبوية وإثارة الشبهات حولها قاصدين الوصول إلى الطعن وزعزعة الثقة في أصل تاريخ هذه الأمة ألا وهوالسيرة النبوية.

ولقد تعقب الأستاذ السباعي في كتابه القيم ــ السنة ومكانتها في التشريع ــ مقولات المستشرقين وعمل على تفنيدها تنفيذا علميا ودحض ما جاء فيها من حجج واهية، فقطع الطريق على كل ناعق.

٣ – الشعر المعاصر لعهد الرسالة :

كان الشعر سلاحا من الأسلحة التي تسلح بها المشركون للنيل من محمد ﷺ ودعوته . وإذا كان للسيف قوة وجرح ورهبة فإن (كلم اللسان أشد من كلم السنان) كما يقال ، ولما كان العرب أمة الفصاحة والشعر والبيان فقد قيّض الله للمسلمين من الشعراء أمثال حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة، وكعب ابن مالك ، وكعب بن زهير والنعمان بن بشير – من يدافع وينافح عن دين الله حيث كان شعرهم ينزل على أعداء الله نزول الشهاب الثاقب .

جاء في الاستيعاب أن رسول الله ﷺ قال: (ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم قال ابن سيرين : وانتدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصارحسان بن ثابت وكعب وعبد الله بن رواحه، فكان حسان وكعب يعرضان بهم في الوقائع والأيام، والمآتم ويذكران مثالبهم، وكان عبد الله بن رواحه يعيرهم بعبادة ما لاينفع ، فكان قوله أهون عليهم يومئذ، وكان قول حسان بن ثابت وكعب أشد القول عليهم ، فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحه).

وقد كتب صاحب التراتيب الأولية فصلا في ذكر شعراء النبي ﷺ جاء فيه :– (الشعراء من الصحابة الذين مدحوه ﷺ بين رجال ونساء جمعهم الحافظ فتح الدين محمد بن محمد الأندلسي المعروف بابن سيد الناس المتوفّى

عام ٧٣٤هـ في قصيدة ميمية ثم شرحها في مجلد سماه منح المدح أو فتح المدح ورتبهم على حروف المعجم قارب بهم المائتين)[1].

والمتتبع لشعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة يمكنه التعرف على جانب من جوانب سيرته ﷺ.

٤ – كتب السيرة

كثرت الكتابة في السيرة النبوية قديما وحديثا ، حيث ابتدأت الكتابة على شكل جمع للأخبار والحوادث في عهد التابعين ، وتوالت الكتابة بعد ذلك ، وما ذلك إلا لأهمية السيرة النبوية في حياة المسلمين وواقعهم في كل عصر.

وإذا كانت كتب السيرة كلها تشترك في كونها مصدرا من المصادر التي يرجع إليها للتعرف علي أحوال المصطفي ﷺ ،إلا أن كتب السيرة عند المتقدمين كسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد تمتاز بالسعة والشمول فيَ العرض وذكر دقائق الأخبار، تاركة للدارس استخراج الدروس والعبر، بينما تمتاز كتب السيرة في العصر الحديث بأنها تذكر أبرز النقاط في كل موضوع من مواضيع السيرة ثم تتناول ذلك الحدث بالتحليل واستنباط الدروس المتوخاة، والعبر المستفادة وتعد الكتب التالية:

١ – السيرة النبوية دروس وعبر للدكتور مصطفي السباعي .
٢ – فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .
٣ – دراسة في السيرة – د. عماد الدين خليل .
٤ – الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية – الشيخ سعيد حوى .
٥ – فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي من الكتب القيمة التي تمثل هذا الاتجاه في هذا العصر .

(١) الشيخ عبد الحي الكتاني.

ولعل طبيعة العصر الحديث تملي وتحتم مثل هذا التوجه في كتابة السيرة، إذ أن الأمة اليوم ليست بحاجة إلى تكرار نسخ من كتب السيرة، ولا يجوز أن تكون السيرة مجرد تسلية أو تغن بالماضي ، بل يجب أن تكتب وتقرأ بقصد الوقوف على أسباب العزة والرفعة والمنعة في محاولة جادة هادفة لإحداث تغيير جذري شامل في حياة المسلمين وواقعهم المعاصر ويمكننا أن نذكر أشهر الذين قاموا بكتابة السيرة وتدوينها على النحو التالي[1]:-

١ - أبان ابن الخليفة عثمان رضي الله عنهما (٢٠-١٠٥)هـ من أوائل من كتب في السيرة، وهو من الرواة الثقات ، ومن فقهاء المدينة وأهل الفتوى ، لكن شيئا من كتبه لم يصل إلينا.

٢ - عروة بن الزبير (٢٢-٩٤)هـ

تذكر بعض المؤلفات أن عروة هو أول من كتب في السيرة، وهو من أهل الحديث ، كان لإقامته في المدينه أثر كبير في الاطلاع على سيرة الرسول ﷺ وقد ذكرت بعض رسائله المتعلقة بالسيرة في كتب ابن إسحاق والطبري وغيرهما.

٣ - عاصم بن عمر بن قتادة (١٢٠هـ) وهو شيخ محمد بن إسحاق كان عالما بالمغازي طلب منه عمر بن العزيز أن يجلس في المسجد في دمشق ليحدث الناس بمغازي الرسول ﷺ وفضائل الصحابة.

٤ - عبد الله بن أبي بكر الأنصاري (١٣٥هـ) : وهو من شيوخ ابن إسحاق قال عنه الزهري ليس له مثيل في المدينة.

٥ - ابن شهاب الزهري (٥٨-١٢٤هـ)

أول من دون الحديث، فقيه حافظ تابعي ، من علماء السيرة، جمع ما رواه التابعون فأضافه إلى مروياته.

---

١ - يراجع في هذا الموضوع مقدمة كتاب حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار.

لم تصلنا سيرة ابن شهاب لكن اعتماد ابن إسحاق والواقدي عليها يدل على أهميتها، ومن تلاميذه الذين تولوا الكتابة في السيرة:

ا – موسى بن عقبة بن أبي عباس (٥٥–١٤١هـ) قال فيه مالك «عليكم بمغازي الرجل الصالح موسي بن عقبة فإنها أصح المغازي».

٦ – محمد بن إسحاق بن يسار (٨٥–١٥٢) هـ

من تلاميذ الزهري ، ومن أشهر من كتب في السيرة اتفق جمهور العلماء والمحدثين على توثيقه قيل فيه ما من كتاب وضع في السيرة بعد ابن إسحاق إلا وهو غَرْفَة من بَحْرِه. له كتاب المغازي.

والذي يتبين من سيرة ابن هشام وما ذكره الطبري في تاريخه أن سيرة ابن إسحاق كانت أصلا مقسمة إلى ثلاثة أجزاء:

ا – المبتدأ: ويتناول فيه تاريخ الجاهلية.

ب – المبعث : ويتناول فيه حياة الرسول ﷺ في مكة وهجرته.

ج – المغازي : ويتناول فيه حياة النبي ﷺ في المدينة المنورة.

٧ – ابن هشام محمد بن عبد الملك (٢١٨هـ)

إمام في النحو واللغة وإليه انتهت سيرة ابن إسحاق.

تلقي ابن هشام سيرة ابن اسحاق عن تلميذه البكّائي ت ١٨٣هـ فاختصرها وأضاف عليها وأجرى عليها التصويبات دون أن يغير في النص وأخرجها في كتاب أسماه السيرة النبوية، وقد عرفت فيما بعد بسيرة ابن هشام ويعد السُّهَيْلِي (٥٠٨ ــ ٥٨١ هـ) أشهر من قام بشرح سيرة ابن هشام في كتاب أسماه (الروض الأنف).

٨ – ابن سعد محمد بن سعيد بن منيع (١٦٨–٢٣٠)هـ كان كاتبا للواقدي وقد قام بتأليف كتاب الطبقات الكبري الذي حمل اسمه فيما بعد (طبقات ابن سعد)ذكر فيه سيرة الرسول ﷺ ثم سيرة الصحابة

والتابعين، ويعد كتابه من أوثق المصادر في موضوعه ، وهو أحد النماذج الأولى في موضوع الرجال ولذلك اعتمده ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق، والذهبي في سير أعلام النبلاء واعتمده ابن حجر في الإجابة وتهذيب التهذيب.

٩ - الطبري أبو جعفر محمد بن جرير(٢٢٤-٣١٠)هـ إمام فقيه محدث كتابه المشهور بتاريخ الطبري تحدث فيه عن الأمم التي سبقت عهد الرسول ﷺ ثم تحدث فيه عن سيرة الرسول ﷺ واستمر في الحديث عن الدولة الإسلامية إلى العصر الذي عاش فيه .

والطبري وإن كان حجة فيما يروي إلا أنه يروي الروايات الضعيفة في بعض الأحيان .

١٠ - ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠١-٧٤٧هـ) وضع كتاباً في التاريخ أسماه البداية والنهاية وقد عمد الأستاذ مصطفى عبد الواحد إلى استخراج ما يتعلق فيه بالسيرة ، وأخرجه في كتاب مستقل في أربع مجلدات أسماه السيرة النبوية لابن كثير.

١١ - ابن الربيع - وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الشيباني الشافعي (٨٦٦-٩٤٤هـ) : محدث اليمن في عصره ومؤرخها كان ثقة صالحاً حافظا للأخبار والآثار ألف كتابا في السيرة أسماه «حدائق الأنوار ومطالع الأسرارفي سيرة النبي المختار».

١٢ - الزرقاني - محمد بن عبد الباقي (١٠٥٥-١١٢٢هـ): محدث مشهور شرح كتاب الموطأ وكتاب شرح المواهب اللدنية للقسطاني من أشهر الكتب في السيرة النبوية.

ومن أشهر من كتب في السيرة النبوية في العصر الحاضر :

١ – الدكتور مصطفى السباعي – السيرة النبوية دروس وعبر.

٢ – الشيخ محمد الخضري – نور اليقين في سيرة سيد المرسلين.

٣ – الشيخ محمد أبو زهرة – خاتم النبيين.

٤ – الشيخ محمد الغزالي – السيرة النبوية.

٥ – الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي – السيرة النبوية.

٦ – الدكتور عماد الدين خليل – السيرة النبوية دراسة تحليلية.

٧ – الدكتور راجح الكردي – شعاع من السيرة

٨ – محمد رضا – محمد رسول الله ﷺ .

٩ – الشيخ سعيد حوى – الأساس في السنة وفقهها – السيرة النبوية.

١٠– الشيخ صفي الرحمن المباركفوري – الرحيق المختوم.

النشـــــاط :

استمتع بقراءة كيف تطورت دراسة السيرة النبوية وكيف يجب فهمها اليوم؟ في فقه السيرة النبوية للبوطي ولخص ذلك بأسلوبك في صفحتين.

الوحـــدة الثانيـــة
حيـــاة الرسول ﷺ
قبل البعثـــة

١ – بين يدي البعثة .

٢ – ميلاد النبي ﷺ ونسبه .

٣ – طفولة النبي ﷺ .

٤ – شبابه ﷺ .

٥ – أخلاقه ﷺ قبل البعثة .

بين يدي البعثة النبوية

عناصر الدرس :

١ – حالة الدول المجاورة للجزيرة العربية قبل البعثة.
٢ – حالة العرب في الجزيرة قبل البعثة.
٣ – سر اختيار العرب والجزيرة العربية للرسالة الخاتمة.

١ – حالة الدول المجاورة للجزيرة العربية قبل البعثة :

كانت الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية محاطة بدولتي فارس والروم. وإن كانت كل دولة من الدولتين لها بسط نفوذ من الناحية المادية والعسكرية، إلا أن الضلال في الاعتقاد، والتمادي في الغطرسة،والظلم والاستبداد، والوقوع في حمأة الرذيلة، كان قاسما مشتركا بين الدولتين.

كانت الإباحية منتشرة في أرض فارس فالرجل يتزوج أمه ويتزوج أخته ويتزوج ابنته، وكانت بعض معتقداتهم تزين لهم أن الناس شركاء في النساء والأموال.

وكانت حياة الذل ، والانحطاط، والتعالي بالباطل تسود أوساط الرومان.

فما جاء القرن السادس لميلاد المسيح عليه السلام–كما يبين الغزالي في سيرته – إلا وقد كانت منارات الهدى قد انطفأت في مشارق الأرض ومغاربها، وكان الشيطان يجوب الأقطار الفسيحة المترامية الأطراف فيرى ويبصر أن ما غرسه من أشواك وضلال وانحراف قد نما وازداد.

ويصور كاتب أوروبي تلك الحقبة من الزمن بقوله:

«ففي القرنين الخامس والسادس كان العالم المتمدين على شفا جرف هار من الفوضى، لأن العقائد التي كانت تعين على إقامة الحضارة، كانت قد انهارت، ولم يك ثم ما يعتد به مما يقوم مقامها.

وكان يبدو إذ ذاك أن المدنية الكبرى التى تكلف بناؤها أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية، إذ القبائل تتحارب وتَتَناحَر، لا قانون ولا نظام أما النظم التي خَلّفَتْها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلا من الاتحاد والنظام، وكانت الْمَدِنيَّةُ كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العالم كله، واقفة تترنح وقد تسرب إليها العطب حتى اللباب..وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم جميعه».

٢ - حالة العرب في الجزيرة العربية قبل البعثة :

خير ما يصور حالة العرب قبل البعثة هو كتاب الله عز وجل (هو هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ [١]

وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ [٢]

لقد كان العرب في جاهلية وضلال مبين، هذا الضلال يوضحه جعفر بن أبي طالب للنجاشي بقوله «أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.»

هناك ضلال في الاعتقاد، آلهة من الحجارة لا تضر ولا تنفع تُعْبد من دون الله وتقدم لها القرابين.

عبادة غريبة عجيبة طواف، في حالة من العري مصحوبة بالصفير والتصفيق وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً [٣]

---

١ - سورة الجمعة آية (٢).
٢ - سورة الأحزاب آية (٣٣).
٣ - سورة الأنفال آية (٣٥).

نظام طبقي القوي سيد والضعيف مستعبد،قبلية منتنة ونصر للقريب ظالما كان أم مظلوما.

وما أنا إلاّ من غزية إن غوت غَوَيْتُ وإن ترشد غزية أرشد

قبائل متحاربة وقلوب متنافرة ما عرفت طعم الألفة والمحبة إلا في ظل الإسلام ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[1].

سياسة اقتصادية ربوية ظالمة، وضع اجتماعي مُزْرٍ يُصَوِّرُهُ حديث عائشة الذي يرويه البخاري في صحيحه والذي جاء فيه أن النكاح في الجاهلية أنواع أربعة : –

١ – نكاح مثل نكاح الناس اليوم.

٢ – نكاح الاستبضاع وهو أن يرسل الرجل زوجته في طهرها إلى رجل آخر يعاشرها معاشرة الأزواج، ثم تعود إلى زوجها الحقيقي الذي لا يمسها حتى يتبين حملها من الرجل المستعار وذلك رغبة – حسب زعمهم– في تجابة الولد.

٣ – نكاح آخر وهو أن يجتمع الرهط ما دون العشرة فيقعون على امرأة فإذا ولدت أرسلت إليهم وأخبرتهم بما جرى منهم، وتلحق الولد بواحد منهم وليس له حق الرفض.

٤ – نكاح البغايا وهؤلاء نسوة ينصبن رايات على بيوتهن إعلاما بأن البيت مشاع وصاحبة البيت لا ترد طارقا. فإذا ولدت جمعت من غشيها وهنا يتولى القائف إلحاق الولد بواحد منهم .

فلما بعث محمد ﷺ هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم.[2]

---

١ – سورة الأنفال آية (٦٣).

٢ – انظر نص الحديث في صحيح البخاري شرح فتح الباري.

٣ - سر اختيار العرب والجزيرة العربية للرسالة الخاتمة :

لقد وصلت الأمم فى فترة ما قبل البعثة إلى حالة من التردي صورها رسول الله ﷺ بقوله (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب[١].

في مثل هذه الأجواء المبلدة بغيوم الظلم والانحراف كانت الدنيا بأسرها على موعد مع ولادة الدعوة الإسلامية

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم إلا على صنم قد هام في صنم

فعاهل الروم يطغي في رعيتـــه وعاهل الفرس من كبر أصم عمي

وكانت الجزيرة العربية هي التي ضمت بين جنباتها الرسالة الخاتمة فكانت مهبط الوحي ومنبع الرسالة.

وإذا كنا نسلم تسليمامطلقا بقول الله تعالى ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[٢] فإن هذا لايعني أن لا نتوخى الحكمة والسر وراء هذا الاختيار:

١ - فالجزيرة العربية حوت أول بيت وضع في الأرض مثابة للناس وأمنا، وكانت فيه دعوة أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[٣]

---

(١) - صحيح مسلم شرح النووي ١٩٧/١٧

(٢) - سورة الأنعام آية (١٢٤).

(٣) - سورة البقرة الآيات (١٢٧ - ١٢٩) .

٢ – توسط الجزيرة العربية جغرافيا الأمر الذى ييسر سبل الاتصال بين الشعوب، وانتشار الدعوة وذيوع صيتها خاصة إذا علمنا أن مكة المكرمة بالذات التى كان لها شرف تلقي الوحي من السماء – محط رحال التجارة حيث تنطلق منها رحلتا الشتاء والصيف إلى اليمن والشام، وكانت ملتقى الأدباء والشعراء، ومنتدى الفكر،وملتقى العرب جميعا في مواسم الحج منذ عهد إبراهيم عليه السلام.

٣ – يقول صاحب في ظلال القرآن حول سر اختيار العرب والجزيرة العربية لرسالة الإسلام:

(..ومع كل ما كانوا عليه في الجاهلية من ضلال فقد علم الله أنهم هم حملة هذه العقيده الأمناء عليها، بما علم في نفوسهم من استعداد للخير والصلاح ومن رصيد مذخور للدعوة الجديدة وقد فرغت منه نفوس اليهود التي أفسدها الذل الطويل في مصر فامْتَلأت بالعقد والالتواءات والانحرافات، ومن ثم لم تستقم أبدا بعد ذلك لا في حياة موسى عليه السلام ولا من بعده حتي كتب الله عليهم لعنته وغضبه، وانتزع من أيديهم أمانة القيام على دينه في الأرض إلى يوم القيامه.

وعلم الله أن الجزيرة في ذلك الأوان هي خير مهد للدعوة التي جاءت لتحرير العالم كله من ضلال الجاهلية، ومن انحلال الحضارة في الإمبراطوريات الكبيرة التي كان سوس الانحلال قد نخر فيها حتى اللباب.)

٤ – ويقول الدكتور البوطي في كتابه السيرة النبوية وَاصِفاً حال العرب قبيل البعثة وَلَم يؤتوا من ترف الفلسفة والجدل اليوناني ما يصبحوا به فريسة الأساطير والخرافات.

كانت طبائعهم أشبه ماتكون بالمادة (الخام) التي لم تنصهر بعد في أي بوتقة محولة فكانت تتراءى فيها الفطرة الإنسانيه السليمة والنزعة القوية إلى الاتجاهات الإنسانية الحميدة كالوفاء والنخوة والكرم والإباء والعفة.

إلا أنه كانت تعوزهم المعرفة التي تكشف لهم الطريق إلى كل ذلك. إذ كانوا يعيشون في ظلمة من الجهالة البسيطه والحالةالفطرية الأولى فكان يغلب عليهم بسبب ذلك - أن يضلوا الطريق إلى تلك القيم الإنسانية فيقتلوا الأولاد بدافع الشرف والعفة، ويتلفوا الأموال الضرورية بدافع الكرم، ويثيروا فيما بينهم المعارك بدافع الإباء والنجدة.

النشـــــاط :

١ - ارجع إلى كتاب خاتم النبيين وتعرف من خلاله على الحالة التي كانت تعيشها الدول المجاورة للجزيرة العربية قبل البعثة، واكتب صفحتين في هذا الموضوع ؟

٢ - ارجع إلى كتاب فقه السيرة - الدكتور البوطي - وتعرف من خلاله علي علاقه رسالة محمد ﷺ بالرسالات السابقة، وقارن ذلك بما جاء في كتاب فقه السيرة لمحمد الغزالي.

ميلاد النبي ﷺ ونسبه

عناصر الدرس :

١ - ميلاد النبي ﷺ .
٢ - نسب النبي ﷺ .
٣ - دلالة مولده ونسبه ﷺ .

١ - ميلاد النبي ﷺ :

ولد الرسول ﷺ على الرواية المشهورة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام خمسمائة وسبعين للميلاد، وهو العام الذي يعرف في تاريخ العرب بعام الفيل، ذلك العام الذي حاول فيه الأحباش هدم الكعبة المشرفة بقيادة أبرهة الحبشي الذي كان متسلحا بسلاح الفيلة، هذا السلاح الذي لا عهد للعرب به، فرد الله كيدهم في نحورهم ومزقهم شر ممزق وأنزل فيهم قرآنا يتلى (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ۝٥﴾[1]

ولما كان والده ﷺ عبد الله قد توفي وأمه حامل به لشهرين،فقد استقبل جده عبد المطلب نبأ ولادته بالحفاوة والتكريم وسماه محمدا.

٢ - نسب النبي ﷺ :

النبي ﷺ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف

---

١ - سورة الفيل.

ابن قصي بن كلاب «واسمه حكيم وقيل عروة ولقب بكلاب لأنه كان يكثر الصيد بالكلاب وهو ملتقى نسب والد الرسول ﷺ عبد الله بنسب آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ» ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن ابن النضر بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وهذا النسب متفق بين العلماء والمؤرخين. وإن كان العلماء والمؤرخون قد اختلفوا في النسب بين عدنان وإسماعيل فإنهم قد أجمعوا على أن نسبه ﷺ ينتهي إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وأم الرسول ﷺ هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وهي من أفضل نساء قريش نسبا وموضعا.

فهو نسب عريق طَهَّره الله من سفاح الجاهلية آباء طاهرون من ذوي المناقب وأمهات طاهرات نسب هاشمي قريشي، وقريش كما نعلم صاحبة الشرف والمكانة الرفيعة بين قبائل العرب.

يقول ﷺ في الحديث الذي يرويه وائلة بن الأسقع:- (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)[1].

ويقول ﷺ في الحديث الذي يرويه العباس:-

(إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفرقتين ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم،فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا)[2].

---

١ - صحيح مسلم بشرح النووي ٣٦/١٥ .

٢ - الجامع الصغير ٢٣٢/٢.

٣ - دلالة مولده ونسبه ﷺ :

ا - إن تسميته ﷺ محمداً في وقت لم تكن فيه هذه التسمية معروفة مألوفة عند العرب ليست من قبيل الصدفة وإنما هي تقدير إلهي، فبشائر النبوة بدأت تلوح في سماء الجزيرة العربية وصار يتحدث بها الذين عندهم علم الكتاب،وكان يهود يذكرون ذلك، ويأملون أن يكون النبي الجديد منهم ليظهروا به على قبائل العرب

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ (١)

وحينما سئل عبد المطلب عن هذه التسمية ولماذا رغب عن أسماء آبائه أجاب أردت أن يحمده الله في السماء وأن يحمده الخلق في الأرض وقد صدق حدس الرجل فكان محمد ﷺ أفضل خلق الله وكان محموداً في السماء والأرض.

ب - أما نسبة ﷺ فله دلالته أيضا فهو نسب بعيد عن الشك والريبة وفي محاولة للصد عن دعوة الله فيما بعد اتهم المشركون محمداً ﷺ بالجنون والسحر والكهانه، لكنهم لم يحوموا حول عراقة نسبه ﷺ ؛ لأنهم لم يجدوا منفذا لذلك، فنقاء النسب وصفاؤه وطهارته أعلى من أن تطوله أعناق المشركين، ولا شك في أن شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة، يقول صاحب كتاب شعاع من السيرة:-

«وهو كما نرى ينتمي إلى نسب شريف، ذلك أن الله سبحانه وتعالى يهيء رسوله ﷺ ليحمل أشرف رسالة على وجه الأرض، ورسالة

---

١ - سورة الصف آية (٦).

هذه طبيعتها ومهمتها يناسبها أن يحملها من لا مقالة في نسبه، ذلك أن هذا المجتمع القبلي الذى يتفاخر بالأنساب لو كان رسول هذه الدعوة من قبيلة مغمورة ومن نسب وضيع، لكان ذلك عائقا في طريق دعوته.

كما أن هذا النسب الشريف كان ضروريا، ذلك أن رسول الله ﷺ يحمل دعوة رافضة لكل العقائد الزائفة، والأوضاع الجاهلية المستفيدة من التحكم في الناس، فلو كان من نسب وضيع لآذاه أصحاب الجاه والمال والسلطان، ولكن عراقة النسب وقوة السند الاجتماعي حالت دون تصفيته، ومنعت من أن تتطاول إليه أيدي البغي والعدوان » ويؤكد هذا أن قريشا لم تستطع النيل من رسول الله ﷺ إلا بعد وفاة عمه أبي طالب.

النشـــــاط :

١ - ارجع إلى كتب السيرة وتعرف على أسباب غزو أبرهة الحبشي لبيت الله الحرام ومصيرها ، وقارن ذلك بما جاء في أحد كتب التفسير.

طفولـة النبـــي ﷺ

عناصـر الـدرس :

١ - رضاعته وحادثة شق صدره ﷺ .

٢ - رعايته ﷺ .

٣ - دروس وعبر .

١ - رضاعته وحادثة شق الصدر :

ا - رضاعتـه :

كما قلنا من قبل ولد ﷺ يتيما حيث توفي أبوه عبدالله وأمه حامل به لشهرين، وعلى عادة العرب في إرسال أبنائهم إلى البادية للرضاعة، كانت رضاعته ﷺ من حظ حليمة بنت أبي ذؤيب المعروفة بحليمة السعدية نسبة إلى ديار قومها وهي ديار بني سعد.

قامت حليمة بإرْضَاع محمد ﷺ عامين كاملين شهدت فيهما من الخير والبركة ما لم تشهده من قبل وفي هذا تقول «ثم قدمنا منازلنا من ديار بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرعها، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لُبَّناً فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته»

وبعد الفطام عادت به حليمة إلى أمه وكلمتها في أمر إعادته مرة ثانية فوافقت أمه على ذلك، وفي طبقات ابن سعد أن أمه هي التي بادرت حليمة بقولها ارجعي بابني فإني أخاف عليه وباء مكة فوالله ليكونن له شأن فرجعت به،وقد وافق هذا هوى في نفس حليمة ورغبة.

ب - حادثة شق الصدر :

وحينما بلغ ﷺ من العمر أربع سنوات وبينما كان يغدو مع أخيه في الرضاعة وغلمان آخرين قريبا من الحي حصلت حادثة شق صدره ﷺ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه[1]،ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره[2] فقالوا: إن محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو متنقع اللون قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره[3].

خافت حليمة مما جرى لمحمد ﷺ وخشيت عليه هي وزوجها فردته إلى أمه وأخبرتها بما جرى.

٢ - رعايته ﷺ :

بقي رسول الله ﷺ يعيش في كنف أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب، وحينما بلغ ﷺ من العمر ست سنوات خرجت به أمه في زيارة

---

١ - لأم الجرح أي سده ولحمه.
٢ - الظئر : المرأة التي ترضع ولد غيرها.
٣ - صحيح مسلم شرح النووي ٢١٦/٥.

لأخواله من بني عدي بن النجار في المدينه وفي طريق عودتها إلى مكة توفيت بالأبواء وهو مكان ما بين مكة والمدينة.

وتولى جده عبد المطلب أمر رعايته والإشراف عليه وكان يحبه ويفضله على أولاده ويجلسه على فراشه، ويبقى الأمر كذلك ثم يتوفى عبد المطلب وقد بلغ ﷺ من العمر ثماني سنوات، وبعدها يقوم أبو طالب عم الرسول ﷺ بكفالته ورعايته.

٣ - دورس وعبـــــر :

ا - إن الناظر في كتب السيرة يرى أن علماء السيرة قد ذكروا بالتفصيل خبر ولادته ﷺ ، ومن هي المرأة التي قامت بتوليده، ومن هي المرأة التي قامت بإرضاعه ابتداء قبل حضور حليمة، كما ذكروا نسب حليمة مرضعة النبي ﷺ ونسب زوجها... وفي هذا دلالة على أن شخصية محمد ﷺ قد غدت واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وأن هذا الوضوح أو قريبا منه لم يتحقق لشخصية . عبر التاريخ البشري قديما وحديثا إلا لشخصية محمد ﷺ ، وعلى صخرة هذا الوضوح تتحطم شكوك المتربصين بهذا الدين .

ب - أما حال حليمة السعدية وماحل بديارها من الخير والبركات ففيه إشارة إلى كرامة هذا النبي على الله سبحانه وفيه لفت أنظار وشد انتباه لهذه الشخصية التي سيكون لها شأن في المستقبل القريبِ ولا غرو فإن مسلكياته ﷺ وتصرفاته وما كان يبدو منه كانت تنبيء بهذا الأمر الذي جعل قدر الله ينفذ على لسان أمه آمنة وعلى لسان جده أنه سيكون لهذا الغلام شأن .

جـ - أما حادثة شق الصدر التي حصلت مع رسول الله ﷺ فقد وردت في الأحاديث الصحيحة، وقد ثبت تكرار مثل هذه الحادثة ليلة الإسراء والمعراج[1]

وهذه الحادثة وإن كانت لا تخضع لما يعرف بعلم التشريح وضرورة التخدير من أجل إجراء العمليات الجراحية لأنها من قدرة الله التي لا تحد بحدود ولا تخضع لمقاييس البشر ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[2].

فهي نوع من أنواع التهيئة والإعداد الرباني الذي أعد به محمد ﷺ لما ينتظره في المستقبل من أمر النبوة والقيام بأعبائها والصبر على تكاليفها.

النشـــاط :

١ - ارجع إلى السيرة النبوية لابن كثير وقف على السبب الذي جعل حليمة السعدية تقبل على إرضاعها النبي ﷺ وضح كل ذلك بأسلوبك.

٢ - ارجع إلى السيرة النبوية لابن كثير وقف على مظاهر تقدير واحترام عبد المطلب لمحمد ﷺ وعطفهُ عليه، وقارن ذلك بما جاء في كتب أحد المحدثين. مثل البوطي أو الغزالي أو غيرهما.

---

١ - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٨/٥.

٢ - سورة يس آية (٨٢).

شبـــابـــه ﷺ

عناصـــر الـــدرس :

١ - رعايته ﷺ للغنم .
٢ - تجارته ﷺ .
٣ - مشاركته في القضايا العامه .
٤ - زواجه ﷺ من خديجة .
٥ - دروس وعبر .

١ - رعايته ﷺ للغنم :

نشأ رسول الله ﷺ ــ يتيما وقد انتهى به الأمر إلى أن يتولى عمه أبو طالب كفالتـه وقـد ابتـدأ ﷺ حياتـه برعايـة الغنـم في شعـاب مكة، وفي هذا يقول: (ما من نبي إلا وقد رعى الغنم. قيل: وأنت يارسول الله قال: وأنا) وفي بعض الروايات وأنا رعيتها لأهل مكة بقراريط.

والذي يستفاد من طبقات ابن سعد أنه ﷺ قام برعاية الغنم بعد سن الثانية عشرة من عمره.

وفي هذه الفترة تحفظه عناية الله سبحانه وتعالى من مزالق الشباب وفي هذا يقول ﷺ ذاكرا نعمة الله وفضله: (ما هممت بشيء مما كانوا في الجاهلية يعملونه غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ماهممت به حتى أكرمني الله بالرسالة، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي بأعلى مكة لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب؟ فقال: أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا: فقلت ماهذا؟ فقالوا عرس فجلست أسمع . فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني إلا حر الشمس

فعدت إلى صاحبي فسألني فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة، ثم ما هممت بعده بِسُوءٍ.[1].

٢ - تجارتـــه ﷺ :

خرج الرسول ﷺ إلى الشام لأول مرة في تجارة مع عمه أبي طالب حينما بلغ عمره اثنتي عشرة سنة، وحينما وصل الركب بصرى الشام ونزل على مقربة من صومعة كان يقيم فيها بحيرى الراهب الذى صار إليه علم النصرانية وعلى غيرعادة هذا الراهب يصنع طعاما لأبي طالب ومن معه ويسأل أبا طالب عن محمد ﷺ قائلا ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، فيقول بحيرى ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال فإنه ابن أخي، فقال :فما فعل أبوه؟ قال مات وأمه حبلى به، قال صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فإنه كائن لابن أخيك شأن عظيم.

ثم يخرج رسول الله ﷺ في تجارة لخديجة بنت خويلد يرافقه غلامها ميسرة ويحقق ﷺ من الأرباح ضعف ما كانت تحققه خديجة من قبل، فيكون هذا سببا في زيادة أجره ﷺ حيث أعطي ضعف الأجر الذى كان مسمى.

وفي هذه الرحلة يرى ويدرك ميسرة من أخلاق رسول الله ﷺ ما يثير إعجابه وتقديره وبعد عودته يخبر خديجة بما رآه.

---

١ - رواه الحاكم ٢٤٥/٤ وقال صحيح على شرط مسلم.

٣ - مشاركة الرسول ﷺ في القضايا العامة :

ا - مشاركته في حلف الفضول :

وخلاصة هذا الحلف أنه تعهد وتحالف بين بني هاشم وزهرة وتيم وغيرهم من قبائل قريش على نصرة المظلوم والوقوف معه والدفاع عنه سواء كان من قريش أو من غيرهم.

إن الفضول تحالفوا وتعاقـــدوا ألا يقـر ببطـن مكـة ظـالم
أمر عليه تعاهـدوا وتواثقـــوا فـــالجار والمعتـــر فيهم سالم

وقد حضر صلى الله عليه وسلم هذا الحلف، وكان عمره عشرين سنة، وفيه يقول: (ما أحب أن لي بحلف حضرته بدار ابن جدعان حمر النعم، وإني أعذر به هاشم وزهرة وتيم تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم حتى ترد له ظلمته ولو دعيت به لأجبت وهو حلف الفضول) وفي بعض الروايات ولو دعيت في الإسلام لأجبت.

ب - مشاركته في بناء الكعبة :

هدمت قريش الكعبة في محاولة لترميمها وإعادة بنائها، واشترك رجالات قريش في إعادة البناء، وكان لرسول ﷺ شرف المشاركة في هذا الأمر حيث جاء في حديث جابر (أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره فقال له العباس عمه يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة قال فحله فجعله علي منكبه فسقط مغشيا عليه قال فما رؤي بعد ذلك اليوم عريانا).[1].

---

١ - صحيح مسلم ١/١٨٤.

وحينما وصل أمر البناء إلى موضع الركن الحجر الأسود أرادت كل عشيرة أن يكون لها ذلك الشرف في وضع الحجر الأسود وأطلت فِتْنَةٌ هوجاء بقرونها وعندها كانت حصافة رأي محمد ﷺ ورجاحة عقله والبلسم الشافي يقول ابن الأثير(.. فأرادت كل قبيلة رفعه إلى موضعه حتى تحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك، فمكثوا على ذلك أربع ليالي ثم تشاورا فقال أبو أمية إبن المغيرة وكان أسَنّ قريش ! اجعلوا بينكم حكماً أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم فكان أول من دخل رسول الله ﷺ فقال هلموا إلَيَّ ثوباً فأتي به فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوا جميعا ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بُنِيَ عليه).

وكان عمره ﷺ حينما شارك في بناء الكعبة وقام بعملية التحكيم خمسا وثلاثين سنة.

٤ - زواجه من خديجة :

هي خديجة بنت خويلد الأسدي من أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا، كانت قد بلغت من العمر أربعين عاماً وكل قومها كان حريص على الزواج منها لو قدر على ذلك.

صدق محمد ﷺ وإخلاصه وأمانته كل ذلك يثير إعجاب خديجه صاحبة العقل الراجح، كيف لا وقد خبرته عن قرب حينما ولته أمر مالها في تجارة إلى الشام - وبالمال تعرف أخلاق الرجال ومعادنهم - فتعرض من طرف أمر زواجها على محمد ﷺ - ويتحقق الأمر ويزوجها عمها عمرو بن أسد من رسول الله ﷺ بعد أن خطبها له عمه أبو طالب، وقد كان عمره ﷺ آنذاك

خمسا وعشرين سنة فتكون خديجة نعم الزوجة عونا ومواساة ودعما وسندا للنبي ﷺ ، فتستحق البشرى يحملها جبريل من السماء إلى محمد ﷺ،(أن اقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)[1]

٥ - دروس وعبـــر :

ا - إن رعيه ﷺ للغنم فيه دلالة على ضرورة الاعتماد على النفس ونبذ التواكل، والعيش على فتات الموائد، وفيه مجانبة لحياة الاسترخاء والترهل، كما أن في رعاية الغنم ميلا نحو الفطرة التي تكون معها النفوس هادئة صافية بعيدة عن كل مظاهر التعقيد، وفي رعاية الغنم ومراقبتها ورد أقصاها إلى أدناها فطنة وحذر، وتعويد للنفس على الصبر وتحمل المقارعة وهذه صفات لا يكون أهلا لمركز القيادة إلا من اتصف بها.

ب - وفي خبر رغبته ﷺ لمشاركة شباب مكة في سَمَرِهِـمْ وما جرى له دلالة واضحة على رعاية الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ لرسوله ﷺ وأن الله إذا أراد بامرىء خيرا يسر له سبل الخير وجنبه سبل الشر، وما ذلك إلا ليبقى تاريخ رسول الله ﷺ تاريخا ناصعا يزهو به ويفاخر، وتزهو به الأمة الإسلاميةُ من بعد.

ولا ريب في أن الطريق المسلكي الذي اتبعه النبي ﷺ في صِبَاهُ وريعان شبابه طريق حصين ما عرفت شياطين الجن والانس إليه سبيلا.

جـ - إن المحاورة التي جرت بين بحيرا الراهب في الشام وبين أبي طالب بشأن محمد ﷺ الذي كان مع عمه آنذاك لتدل دلالة واضحة على أن

---

١ - صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/١٩٩.

إرهاصات النبوة كانت واضحة المعالم للذين عندهم علم من الكتاب ، وأن رهبان النصارى وأحبار اليهود كانوا يدركون أن هذا الزمن هو زمن ظهور النبي.

جاء في تفسير القرطبي لقوله تعالى

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ (١)

«إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل عبد الله بن سلام وكان يهوديا فأسلم، أتعرف محمدا ﷺ كما تعرف ابنك؟ فقال نعم وأكثر بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته أما ابني فلا أدري ما الذي قد كان من أمه».

ورغم وضوح المُبَشِّرات التي وردت في التوراة والإنجيل إلا أن القوم كفروا بالله و لم يؤمنوا بمحمد ﷺ فاستحقوا غضب الله ولعنته وصدق الله حيث يقول وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ (٢)

وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ (٣)

وأن تحذير بحيرا من يهود وطلبه من أبي طالب الإسراع في العودة مع الرسول ﷺ. فيه دلالة على طبع المكر والخديعة والعداء الذي

---

١ - سورة البقرة آية (١٤٦).
٢ - سورة البقرة آية (٨٩).
٣ - سورة البقرة آية (١٠١).

جبل عليه يهود وأنهم قوم لا يؤمن جانبهم ولا يركن إلى مواثيقهم فياليت قومي يعلمون.

د - أما مشاركته ﷺ لأبناء عمومته وقومه في حلف الفضول وبناء الكعبة ففيها دلالة على ما كان يمتاز به الرسول ﷺ من فكر ثاقب ورأي سديد وعقل راجح وفطنة وذكاء. وفيها دلالة على أن المسلم يجب أن يكون مفتاحا للخير مغلاقا للشر، سباقا إلى فعل الخيرات، مشجعا لمن يبادر بها، واضعا في الحسبان أن كثيرا من القلوب مملوءة بالعواطف والنوازع نحو الخير، وأنها بحاجة إلى من يحسن مخاطبتها والإمساك بزمامها، وعندها تتفجر ينابيع الخير والبذل والعطاء وتقضي على نوازع الرذيلة والفساد، فأي خطأ يرتكب وأي جريمة تقترف من أولئك الذين يرضون من الغنيمة بأسباب بقائهم متقوقعين على أنفسهم، لا يهمهم عمار في العالم أم خراب، صلاح في المجتمع أم فساد.

هـ - أما زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها ففيه قطع لألسنة السوء التي اتخذت من تعدد أزواجه ﷺ مجالا للقيل والقال وإثارة الشبهات والترهات.

وفي طبيعة زواجه وهو الفتى الشاب ابن الخامسة والعشرين من امرأة بلغت الأربعين من عمرها وبقائه ﷺ على هذا الزواج إلى سن الخمسين حيث كانت وفاة خديجة دون أن يتزوج عليها ما يدل على أن وصف الشهوانية والتعلق بالنساء ـــ كما يزعم أعداء الله ـــ لا وجود له، إنه قدر الله أن تكون خديجة ـــ صاحبة الحسب والنسب والعقل الراجح صاحبة الخصال الحميده التى كان

كل واحد من رجالات قريش يتمنى أن تكون زوجة له – أن تكون خديجة هذه زوجا لرسول الله ﷺ وأمًا لأولاده عدا إبراهيم، آمنت به حيث كفر به الناس، وصدقته حيث كذبه الناس، وواسته بمالها وقد حرمه الناس.

النشـــــاط :

١ – ارجع إلى سيرة ابن هشام واستخرج منها البشارات التي عند اليهود والنصارى بنبوة محمد ﷺ وحلل مغزى هذه البشارات.

٢ – في زواج الرسول ﷺ من خديجة معان ومغاز متعددة، اذكر بعضها مستعينا بالمراجع القديمة والحديثة.

أخلاقه ﷺ قبل البعثة

عناصر الدرس :

١ - الصدق والأمانة.

٢ - العفة والطهارة والابتعاد عما يزري بعقول الرجال.

٣ - الكرم والوفاء.

٤ - دروس وعبر.

١ - الصدق والأمانة :

شب رسول الله ﷺ والله تعالى يحفظه من أقذار الجاهلية لما يريده من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا، وهو أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلما، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال حتى سمي في قومه الصادق الأمين.

هذا ما شهد به العدو قبل الصديق ففي الحديث الذي يرويه الإمام البخاري[1] أن هرقل سأل أبا سفيان عن محمد ﷺ بعد بعثته قائلا.. فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ أى قبل أن يأتيكم بخبر النبوة فأجابه أبو سفيان لا، أي ما كنا نتهمه بالكذب أبدا. فقال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله.

وقد ورد على لسان النضر بن الحارث - الذى لم يكرمه الله بالإسلام- مخاطبا قومه، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا

---

١ - انظر حديث هرقل في صحيح البخاري شرح فتح الباري ٣١/١.

وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر.

وحينما حصل الخلاف بين قريش في أمر بناء الكعبة واتفقوا على رأي يجعل أول داخل للبيت حكما وكان محمد ﷺ أول من دخل البيت فرح القوم به وقالوا هذا الأمين رضينا به حكما.

ولاشتهار خبر صدقه وأمانته تختاره خديجة للتجارة في أموالها قائلة له: دعاني إلى طلبك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك.

وها هي خديجة بنت خويلد تطمئن رسول الله ﷺ حينما أخبرها بأمر الوحي، وقد خشي على نفسه أن تمس بسوء بقولها: إن الله لا يفعل بك ذلك يابن عبد الله إنك تصدق الحديث وتؤدِّي الأمانة وتصل الرحم وإن خلقك لكريم.

٢ - العفة والطهارة والبعد عما يزري بعقول الرجال :

عن ابن عباس قال: أول شيء رأى النبي ﷺ من النبوة أن قيل له استتر وهو غلام فما رؤيت عورته من يومئذ.

وكان ﷺ إذا خرج لقضاء حاجته أبعد حتى لا يرى بيتا، ويُفْضِي إلى الشعاب وبطون الأودية.

وكان ﷺ ينفر من كل أرجاس الجاهلية لم يسجد لصنم قط، وقد ورد في حديث زيد الذي يرويه البيهقي: (ما استلم رسول الله ﷺ صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه).

لم يرتكب ﷺ فحشاء ولم يشارك فى لهو ولم ينزلق فيما كان شباب الجاهلية ينزلقون فيه ويُرْدون وفي هذا يقول (لما نبئأت بغضت إلى الأوثان وبغض إلى الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تَفْعَلُهُ إلا مرتين، كل ذلك

يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك. ثم ما هممت بسوء بعدها حتى أكرمني الله برسالته..) وقد ذكرنا المرتين في الدرس السابق.

لم يشرب رسول الله ﷺ الخمر رغم انتشارها الواسع عند العرب ولم يلعب ميسرا، ولم يأكل طعاما ذبح علي نصب، ولم يشارك قومه في تعظيم الأصنام وقد كان عند بوانة صنم تحضره قريش تعظمه وتنسك له النسائك، ويحلقون رؤوسهم عنده ، ويعكفون عنده يوما إلى الليل ، وذلك يوما في السنه ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه، وكان يكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى رسول الله ذلك.

ويستحلف الراهب بحيرا رسول الله ﷺ باللات والعزى فيقول ما كرهت شيئا كما كرهتهما، ويختلف ﷺ مع رجل في تجارة فيستحلفه باللات والعزى فيرفض، ويمتنع فيسلم له التاجر بحقه من غير حلف لأمانته.

٣ - الكـرم والوفـاء :

أغنى الله سبحانه وتعالى محمدا ﷺ بعد فقر (وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ)[1] فكان عليه الصلاة والسلام يطعم الطعام ويصل الرحم ويقري الضيف ويعين علي نوائب الدهر.

تذكر كتب السيرة أن وضع أبي طالب المادي وضع لا يحسد عليه فقد حلت به فاقة وعيلة وهو كثير العيال، وهنا يظهر كرم محمد ﷺ ووفاؤه وقد كان يعيش في كنف أبي طالب ورعايته، فيتجاذب أطراف الحديث مع عمه العباس بشأن وضع أبي طالب ويمد يد المساعدة والعون إلى عمه، فيأخذ جعفر بن أبي طالب يقوم به ويتولاه، ويمد محمد ﷺ يد العون إلى عمه فيأخذ

---

١ - سورة الضحى .

علي بن أبي طالب يقوم به ويتولاه، وفي هذا تخفيف لعبء العيال علي أبي طالب.

ومن وفائه ﷺ أنه كان يكرم من أرضعته وربته حليمة السعدية، فقد كان ﷺ يكرم وفادتها وبيسط رداءه ويجلسها عليه ويلبي حاجتها، وقد جاءته ذات يوم وقد تزوج خديجة فشكت له حال البلاد والعباد فكلم ﷺ خديجة فأعطتها أربعين شاة. وبعيرا.

٤ - دروس وعبـــر :

ا - إن في الدلائل الواضحة على ما كان يعرف به محمد ﷺ من صدق وأمانه ردا على كل ناعق يحاول إخفاء الحقيقة وردا على تُرّهات المسشرقين وادعاءاتهم المغرضة الحاقدة ضد الإسلام ورسول الله ﷺ. عد إلى كتاب (الإسلام في قفص الاتهام) لشوقي أبي خليل ، وحلل هذه المواقف مستعينا به.

ب - إن الثقة المتبادلة أساس في قوة العلاقة بين الداعية والمدعو وبين القائد والشعب والثقة أساسها الصدق والأمانة وهكذا كان محمد ﷺ صادقا أمينا ولهذه الثقة رضيته قريش حكما في بناء الكعبة.

جـ - ليست نشأة محمد ﷺ بهذه الصفات والأخلاق نشأة عارضة وإنما تهيئة وتأهيل رباني لأمر عظيم ينتظره، وسلامة الماضى هي عدة المستقبل، يقول الشيخ السباعي في كتابه (السيرة النبوية): إن استقامة الداعية في شبابه وحسن سيرته أدعى إلى نجاحه في دعوته إلى الله، وإصلاح الأخلاق، ومحاربة المنكرات؛ إذ لايجد في الناس من يغمزه في سلوكه الشخصي قبل قيامه بالدعوة .. والداعيه المستقيم في شبابه يظل أبدا رافع الرأس، ناصع الجبين ، لا يجد أعداء الإصلاح سبيلا

إلى غمزه بماضى قريب أو بعيد ، ولا يتخذون من هذا الماضي المنحرف تكأة للتشهير به ، ودعوة الناس إلى الاستخفاف بشأنه.

د - إن المال عند الرسول ﷺ لم يكن بغية يبغيها ، ولا غاية يتطلع إليها وإنما وسيلة للمكرمات يقوم بها، وللخير يسد به لا يجد ذا حاجة إلى العون إلا أعانه، ولا ذا خصاصة إلا سدها، ولا ذا مسغبة إلا أشبعه، ولا ذا قربة إلا رَفَعَهُ. وكل من حوله كانوا ممدودين بعونه وفضله فكأنه استولى على مال خديجة ليوزع في الخير ثمراته وليكون خيره عميما وفضله كثيرا.[1].

ويكفي دليلا على سمو أخلاق الرسول الكريم أن يمدحه القرآن بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم).

كما يكفيه شرفا أن يطلق عليه اسم يحمل المعاني كلها، لأنه عرف بها قبل أن يختاره الله للرسالة، فكان يدعى« الأمين» تتويجا لهذا السلوك الرباني الذي اختصه الله به .

النشـــــاط :

١ - الصبر والاحتمال من أسمى أخلاق الرسول الكريم، وضح ذلك من خلال بعض المشاهد التاريخية.

٢ - كيف وازن الرسول الكريم بين العمل من أجل الدنيا ، والعمل من أجل الآخرة. وضح بالوقائع.

---

١ - انظر كتاب خاتم النبيين.

الوحـدة الثالثـــة
البعثة النبويـــة

١ – نزول الوحي.
٢ – الدعوة السرية.
٣ – الدعوة الجهرية.
٤ – موقف قريش من رسول الله ﷺ (١).
٥ – موقف قريش من رسول الله ﷺ (٢).
٦ – موقف قريش من رسول الله ﷺ (٣).

نزول الوحي (البعثة النبوية)

عناصر الدرس :

١ - بين يدى نزول الوحي.
الرؤيا الصادقة ــ التعبد في غار حراء.
٢ - نزول الوحي .
٣ - ذهابه ﷺ إلى ورقة بن نوفل .
٤ - دروس وعبر .

١ - بين يدي نزول الوحي :

الرؤيا الصادقة ــ التعبد في غار حراء:

مع اقتراب تكريم الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ كان التكريم بالرؤيا الصالحه فما كان ﷺ يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وقد حببت إليه الخلوة فكان ﷺ يذهب إلى غار حراء فيختلي فيه الليالي ذوات العدد شهرا أو بعض شهر ثم يرجع إلى أهله ويتزود إلى مثلها وبقي ﷺ على هذه الحال حتى أكرمه الله بالنبوة وقد بلغ من العمر أربعين سنة.

جاء في حديث عائشة الذي يرويه البخاري: (أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء)[1]

١ - صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٢٢/١.

٢ - نزول الوحي :

في غار حراء وفي لحظة من لحظات صفاء الروح وإشراقها، ونقاء السريرة، والابتعاد عن أَوْحَالِ الجاهلية ، وفي يوم من أيام شهر رمضان المبارك تتصل السماء بالأرض لأمر يسعد الإنسانية وتتخلص به من التيه والحيرة والضلال ، ينزل الوحي حاملاً رسالة السماء إلى محمد ﷺ مُعْلِناً بزوغ فجر جديد يبدد ظلمة الليل البهيم.

جاء في صحيح البخاري (..فجاءه الملك فقال اقرأ قال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال، اقرأ: قلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني. [١] فزملوه حتى ذهب عنه الروع[٢] فقال لخديجة وقد أخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل[٣]، وتكسب المعدوم، وتقري[٤] الضيف، وتعين على نوائب الدهر..)[٥]

٣ - ذهابه ﷺ إلى ورقة بن نوفل :

جاء في البخاري(.. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسعد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرءاً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب، وكان

---

١ - زملوني : غطوني ٢ - الروع: الخوف ٣ - الكل: الثقل ، العيل.
٤ - تقري: تطعم ٥ - صحيح البخاري شرح فتح الباري. ٢٢/١

شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة. ياابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس[1] الذي نَزَّلَهُ الله على موسى ياليتني فيها جذعا[2] ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: أو مُخرِجيَّ هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي)[3].

٤ - دورس وعبـــر :

ا - إن الانسان إذا أراد أن يخلص من هموم الحياة وما يلقاه من نكد العيش وسوء العشرة لا بد وأن ينقطع لنفسه، ويعيش معها في عزلة بين الفينة والأخرى، ففي العزلة محاسبة وتفكير وتدبر.

ولما كان في العزلة مجاهدة للنفس وترويض لها فقد حبب الاختلاء لرسول الله ﷺ استعدادا لحمل ثقيل سوف يقوم به

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ [4]

وبالعزلة المؤقتة لمن يحسن التعامل معها بين الحين والآخر تسمو الأرواح وتزكو النفوس وتكبح الشهوات ويكثر التأمل والتدبر ولهذا وغيره من المعاني شرع لنا رسول الله ﷺ الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان.

ب - لما كان الوحي هو أساس هذا الدين فقد حاول الأعداء إثارة الشبهات حَول طبيعته محاولين التشكيك فيه بقولهم إن الوحي لاحقيقة له، وإنما

---

١ - الناموس ــ الشريعة.
٢ ــ جذعا : شابا صغيرا.
٣ - صحيح البخاري شرح فتح الباري ٢٢/١
٤ ــ سورة المزمل آية (٥).

هو عبارة عن إلهامات وخواطر نفسية كانت تجول في قلب محمد بين الحين والآخر، فهو من صنعه أولا وأخيراً.

وأحاديث نزول الوحي الصحيحة والكيفية التي كان بها النزول فيها دلالة واضحة علي أن الوحي من عند الله وأن محمداً ﷺ ليس له من الأمر شيء في مسألة الوحي.

وإذا كان الأمر كما يقولون فكيف نفسر خوفه ﷺ وخشيته على نفسه وذهابه مرعوبا إلى خديجة قائلا زملوني زملوني.

وكيف نفسر خبر انقطاع الوحي في البداية مدة تزيد على الستة أشهر مما أثار جزع وخوف محمد ﷺ.

إن الأمر لو كان من صنع محمد ﷺ لما أثار خوفه وجزعه ولا خشيته على نفسه، ولأظهره في كل مرة يتعرض فيها لإحراج من المشركين وهم يقولون لقد قلَى رب محمد محمدا ــ نسيه ــ لكن الله سبحانه يكذبهم ويرد على ما يفترون بقوله تعالى مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ[1]

جـ - إن موقف خديجة رضي الله عنها من الوحي وتطمينها وتثبيتها لرسول الله ﷺ فيه دلالة على رجاحة عقلها وبعد نظرها وإدراكها لطبيعة محمد ﷺ، وهو موقف إذا كان كل داعية يحتاج إليه من زوجته في كل حين فإن هذه الحاجة أشد ماتكون في بداية الطريق.

لهذا الموقف ولغيره من المواقف كان قدر الله أن تكون خديجة زوجا للرسول ﷺ.

---

١ - سورة الضحى آية (٣).

د - إن في تحذير ورقة بن نوفل رسول الله ﷺ من معاداة قومه وإخراجهم إياه دلالة على أن الكفر ملة واحدة وأنه ما من نبي جاء قومه بالحق إلا كذبوه ووقفوا في طريقه.

وفيه دلالة علي حتمية الصراع بين الحق والباطل ، وأن طريق الحق ليس مفروشا بالورود والرياحين.

وهذا الصراع ينبغي أن يدركه كل من نذر نفسه لحمل دعوة الله في الأرض وعلى ضوء إدراك هذه الحقيقة يكون الانطلاق.

النشـــــاط :

- ارجع إلى صحيح البخاري واستخرج نص الحديث الذي يبين كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ واستشهد بحادثة ذكر فيها كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ .
- ارجع إلى القاموس واستخرج معنى كلمتي الوحي والإلهام ثم قارن بين المعنيين

الـدعـوةُ السِّـرِّيَّـةُ

عناصـر الـدرس :

١ ــ بداية الدعوة .

٢ ــ كيفية الدعوة .

٣ ــ أول من أسلم .

٤ ــ دروس وعبر .

١ – بداية الدعـوة :

جاء في صحيح البخاري قوله ﷺ مُـخْبِراً عن فترةِ الوحي: (بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قِبَلَ السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعدا علي كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت «زملوني زملوني» فزملوني، فأنزل الله تعالى: (يا ايها المدثر قم فأنذرــ الى قوله ــ والرجز فاهجر، فحيي الوحي وتتابع.

إذن كان قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ بداية رسالته ودعوته ﷺ

كما كان قوله تعالى ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ بداية نبوته ﷺ

٢ – كيفية الدعـوة :

قام الرسول ﷺ يدعو الناس سرا إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام، وكان ﷺ يدعو من كانت تربطه به صلة قرابة أو معرفة سابقة دون أن يتعرض لمجالس قريش العامة، ولقد استمرت هذه المرحلة ثلاث سنوات كانت الدعوة فيها فردية سرية ولم يتجاوز الذين آمنوا الأربعين ما بين رجالٍ ونساء.

في هذه المرحلة كان من أسلم إذا أراد الصلاة والتعبد ذهب إلى شعاب

مكة مستخفيا، ولقد حصل أن رأى المشركون (سعد بن أبي وقاص) يتعبد مع نفر من المسلمين فتحرشوا بهم، وعابوا عليهم، فضرب سعد أحدهم فشجه، وأراق دمه، فكان أول دم أريق في الإسلام، وبعدها اختار الرسول ﷺ دار الأرقم لتكون مقرا ودارا لاجتماع أصحاب رسول الله ﷺ وتعبدهم وتشاورهم في الدعوة الجديدة.

٣ - أول من أسلم :

تذكر كتب السيرة أن أول من أسلم من النساء خديجة بنت خويلد، وأن أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق، ومن الصبيان علي بن أبي طالب، ومن الموالي زيد بن حارثة، وفي هذه الفترة أسلم على يد أبي بكر عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وجاء بهم إلى الرسول ﷺ فأعلنوا إسلامهم واستجابوا لله ورسوله.

وتذكر كتب السيرة أن من أول من استجاب لدعوة رسول الله ﷺ سعيد ابن العاص وزوجه فاطمة بنت الخطاب وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله وأبو عبيدة عامر بن الجراح وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم وأسماء بنت أبي بكر، وخباب بن الأرتّ، وبلال بن رباح، وصهيب الرومي وعمار بن ياسر وأمه سمية وغيرهم.

وعليه فإن الإشراقة الأولى للإسلام قد شعت من بيت النبوة بيت رسول الله ﷺ حيث كانت خديجة أول من أسلم وكانت أسرته ﷺ أول أسرة في الإسلام خديجة الزوجة الوفية وزيد مولَى رسول الله ﷺ وعلي صفي رسول الله الذي كان له شرف العيش في بيت ابن عمه ﷺ.

٤ - دروس وعبـــر :

ا - في الآيات الكريمة التي خاطبت محمدا ﷺ بأمر الدعوة إيذان وإشعار بجدية الأمر الذي يتضمن التبليغ برسالة السماء ، وأنه يحتاج إلى استعداد وتشمير عن السواعد، وقد كان محمد ﷺ القوي الأمين الذي قام بأمر الدعوة دون أن يعرف الكلل والملل إليه سبيلا حتى لحق بالرفيق الأعلى، وهكذا كل أمر عظيم يحتاج إلى طراز فريد من الرجال

ب - لقد بدأت الدعوة الإسلامية بقيادة محمد ﷺ سرا لحكمة أرادها الله فهي بذرة جديدة تحتاج إلى إخفاء أمرها إلى حين تنبت ويشتد سوقها وعندها تستعصي على الرياح العاتية.

فالسرية نوع من أنواع التنظيم والتخطيط ومرحلة من مراحل الدعوة حتى يأمن الدعاة على دعوتهم من التعثر ، والوقوع في المطبات، والسرية ليست جزعا وليست خوفا من رسول الله ﷺ على نفسه، وهو الذي يقول فيه أصحابه كنا إذا حمي الوطيس احتمينا برسول الله . وإنما هي دعوة إلى الأخذ بالأسباب في سبيل الوصول إلى الغاية المنشودة بعد التوكل على الله إلى أن يشتد الساعد ويقوى العود. يقول الشيخ السباعي: «إن دعوة الإصلاح إذا كانت غريبة على معتقدات الجمهور وعقليته ينبغي أن لا يجهر بها الداعية حتى يؤمن بها عدد يضحون في سبيلها بالغالي والنفيس ، حتى إذا نال صاحب الدعوة أذى قام أتباعه المؤمنون بدعوته بواجب الدعوة ، فيضمن بذلك استمرارها.

جـ - إن الناظر في أسماء الذين أعلنوا إسلامهم بداية الأمر واتبعوا محمداً ﷺ يرى أن معظمهم كان ممن لايشار إليه بالبنان، وممن لا تحسب له قريش حسابا، فهم ليسوا من السادة والعظماء وأصحاب الوجاهة، وهذه هي طبيعة دعوة الحق يتبعها ابتداء من لا يلهيه مال ولا يغتر بحسبه، ولا يعتمد على عشيرته، لأن هذه العوامل إن لم يحسن استغلالها وتوجيهها تلصق الإنسان بالأرض وتصده عن دين الله.

وهذا النمط من الناس الذين اتبعوا محمدا ﷺ ليسوا الأوائل من نوعهم فلقد سجل القرآن الكريم بيانا لهذه الحقيقة على لسان قوم نوح عليه السلام مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ [1] كما بيَّن الحق سبحانه وتعالى أن الذين تمردواعلى صالح عليه السلام هم الزعماء المستكبرون الذين غرهم بريق التاج والصولجان وأن الذين آمنوا به هم القوم المستضعفون

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ [2]

وفي حديث هرقل مع أبي سفيان وسؤاله له عن أتباع محمد بقوله: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. فيقول هرقل إنهم أتباع الرسل.

---

١ - سورة هود آية (٢٧).
٢ - سورة الأعراف آية (٧٥/٧٦).

النشـــاط :

١ – ارجع إلى سيرة ابن هشام واعرف أسماء عشرة من الرجال والنساء الذين سبقوا غيرهم في الإسلام.

٢ – ارجع إلى القرآن الكريم واستخرج بعض الآيات التي تبين أن المستضعفين هم أسرع من غيرهم في الاستجابة لِرُسُلِ الله .

٣ – عد إلى كتاب رجال حول الرسول لـخـالد محمد خالد . ولخِّـص منه، ما كتبه عن الصحابيِّ الجليل سعد بن أبي وقاص.

الـدعـــوة الجهـــريـة

عناصر الدرس :

١ – بداية الجهر بالدعوة .
٢ – كيفية البداية بالدعوة.
٣ – دروس وعبر .

١ – بداية الجهر بالدعوة :

إن دعوة رسول الله ﷺ دعوة عالمية ليست محصورة في قريش والجزيرة العربيه وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا [١] ودعوة هذا شأنها وهذه طبيعتها إن قدر لها أن تكون سرية في بداية الأمر لحكمة مقصودة فإن ملازمة السرية لها ضرب من المستحيل.

لهذا وبعد أن أصبح أمر الإسلام والدعوة الجديدة ظاهراً في أوساط قريش، وبعد أن أسلم نفر من الرجال والنساء ، وبعد مرور ثلاث سنين على البعثة آن الأوان لدخول الدعوة مرحلة جديدة حيث أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يجهر بالدعوة إلى الله وأن يصدع بما جاءه من الحق وأن لا يبالي بإعراض المشركين وإنكارهم، جاء ذلك في قوله تعالى فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ [٢] وفي قوله تعالى وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ [٣]

---

١ – سورة سبأ الآية (٢٨).
٢ – سورة الحجر آية (٩٤).
٣ – سورة الشعراء آية (٢١٤).

٢ - كيفية البداية بالدعوة :

جاء في صحيح مسلم أنه لما نزل قول الله سبحانه وتعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فعَّم وخصَّ فقال : يا بني كعب ابن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد سمش أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبليها ببلائها.[١].

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال حينما نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا، يابني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ياصفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئا.[٢]

وفي رواية أن رسول الله ﷺ صعد إلى الصفا فجعل ينادي يابني فهر يابني عدي ــ لبطون قريش ــ حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ماهو؟ فجاء أبو لهب من قريش فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقّي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت (تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب).

---

١ - صحيح مسلم ١٣٥/١ معنى سأبلها ببلائها أي سأصلها بصلتها.
٢ - صحيح مسلم ١٣٥/١.

وفي رواية لابن الأثير أن رسول اله ﷺ دعا أبناء عشيرته وقال: الحمد الله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثم قال: إن الرائد[1] لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة وإنه لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون ، وإنها الجنة أبدا أو النار أبدا) فقال أبو طالب ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك. وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم إلى ما تحب فامض لما أمرت به، فوالله لأزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبدالمطلب، فقال أبو لهب، هذه والله السوأة[2] خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا.

٣ - دروس وعبر :

١ - علمنا أن أول ما نزل بشأن الجهر بالدعوة إلى الله قوله تعالى (وأنذِرْ عشيرتك الأقربين) وفي هذا يقول صاحب الرحيق المختوم (والسورة التي وقعت فيها الآية ــ وهى سورة الشورى ــ ذكرت فيها أولا قصة موسى عليه السلام من بداية نبوته إلى هجرته مع بني إسرائيل ونجاتهم من فرعون وقومه وإغراق آل فرعون معه ، وقد اشتملت هذه القصة على جميع المراحل التي مر بها موسى عليه السلام خلال دعوة فرعون وقومه.

أرى أن هذا التفضيل إنما جاء به حين أمر الرسول ﷺ بدعوة قومه إلى الله ليكون أمامه وأمام أصحابه نموذجا لما سيلقونه من

---

١ - الرائد : المستطلع.
٢ - السوأة : العيب والعار.

التكذيب والاضطهاد حينما يجهرون بالدعوة، وليكونوا على بصيرة من أمرهم منذ بداية دعوتهم.

ومن ناحية أخرى تشتمل هذه السورة على ذكر ما قال المكذبون للرسل من قوم نوح وعاد وثمود... ليعلم الذين سيقومون بالتكذيب بما يؤول إليه أمرهم وبما سيلقونه من مؤاخذة الله إن استمروا على التكذيب).

ب - وخلال النظر في كتب الحديث والسيرة نجد أن رسول الله ﷺ قد كرر الدعوة إلى أهله وأبناء عمومته مرارا ثم تجاوزهم إلى قبائل قريش وأنه ﷺ كان يعم ويخص أحيانا بمعنى أنه يخاطب قبائل قريش وأقاربه في آن واحد وفى هذا من الفوائد والعبر ما يلي:-

١ - أن دعوته ﷺ على هذا النحو كانت غاية في الوضوح، فاللقاء والمفاصلة إنما هما أساس هذا الدين فمن صدّق فقد وصل ومن كذّب فقد قطع، وعلى صخرة هذه الرابطة العقدية تتحطم كل الروابط الأرضية من قرابة ونسب لأن رابطة النسب والطين لاتعلو أبدا رابطة العقيدة والدين.

٢ - أن الدعوة على هذا النحو فيها بيان للمسئولية الملقاة على عاتق الداعية ودرجاتها وأولَى درجاتها هي مسؤولية الداعية عن نفسه وخاصة أهله وهذه المسؤوليه فيها علامة صدق الداعية فما دام يدعو إلى الخير فأهله أولى الناس بهذا من ناحية، وهم دَعْمُ وسند من ناحية أخرى. ومن بعدها يكون الانطلاق نحو الدوائر الأوسع رغبة في توسيع دائرة الخير والرشاد، وتضييق دائرة الشر والفساد.

٣ - أن الدعوة على هذا النحو كانت مفاجأة لقريش، يقول الدكتور البوطي، في فقه السيرة: (إن رسول الله ﷺ حينما صدع بالدعوة إلى الإسلام في قريش وعامة العرب فاجأهم بما لم يكونوا يَتَوَقَّعُونَـهُ، أو يَأْلَفُونَهُ، نجد ذلك واضحا في رد أبي لهب عليه، ثم في اتفاق معظم المشركين من زعماء قريش على معاداته ومقاومته، وفي ذلك الرد القاطع على من يحاولون تصوير هذا الدين بشرعته وأحكامه ثمرة من ثمار القومية، ويدعون أن محمدا ﷺ إنما كان يمثل بدعوته التي دعا إليها آمال العرب ومطامحهم في ذلك الحين.

النشـــاط :

١ - ارجع إلى سيرة ابن هشام وتتبع مواقف أبي لهب من رسول الله ﷺ.
٢ - عد إلى تفسير القرطبي ، ولخّص منه تفسيره لسورة (أبي لهب).
٣ - استخرج العبرة من موقف أبي لهب من الرسول وهو عمه وأقرب الناس إليه.

موقف قريش من رسول الله ﷺ

١ ــ ضغوط ومساومات وإغراء

عناصر الدرس :

١ - بداية الضغوط .

٢ - طبيعة الضغوط وأساليبها .

٣ - عرض أبي طالب الأمر على رسول الله ﷺ .

٤ - عرض غريب على أبى طالب .

٥ - عرض عتبة بن ربيعة .

٦ - دروس وعبر .

١ - بداية الضغوط :

ذكر ابن اسحق في سيرته أن رسول الله ﷺ حينما جهر بالدعوة وصدع بالحق كما أمره الله سبحانه وتعالى، لم تبعد عنه قريش ولم ترد عليه إلى أن ذكر آلهتهم وعابها ، وعندها استنكروا الأمر واستعظموه وأجمعوا على عداوته، إلا من عصم الله منهم بالإسلام، وما كان من أمر أبي طالب الذي يشارك قومه في العداوة، وإنما تبني موقف الدفاع عن ابن أخيه محمد ﷺ الذي ظل يدعو الله على بصيرة أن يظهر أمره ولا يرده عنه راد.

٢ - طبيعة الضغوط وأساليبها :

حينما رأت قريش موقف رسول الله ﷺ من آلهتهم ، وموقف أبي طالب من رسول الله ﷺ ، قام رجال من كبرائهم ــ عتبة بن ربيعه وأخوه شيبة وأبو سفيان بن حرب وأبو جهل، والأسود بن المطلب وغيرهم ــ بالذهاب إلى أبي طالب وقالوا له: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا ، وَسفّه

أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه. فردهم أبو طالب رداً جميلاً.

ويمضي رسول الله ﷺ في القيام بأمر الله بلا تردد ولا خوف ويشتد الأمر بينه وبين قومه ، ويزداد التذمر في أوساط قريش، فيذهب أعيانها وكبراؤها مرة ثانية وهم يتأبطون شرا، ويلوحون بالتهديد قائلين: يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإناّ والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا.

٣ - عرض أبو طالب الأمر على رسول الله وجوابه ﷺ :

يحتار أبو طالب في موقفه وتتجاذبه قضيتان:

١ - فراق قومه وعداوتهم وهو أمر صعب .

٢ - خذلان رسول الله ﷺ وتسليمه إلى قريش، وهو أمر لاتطيب النفس به.

وفي محاولة للتخلص من هذا الموقف يرسل أبو طالب إلى رسول الله ﷺ ويخبره بما جرى بينه وبين كبراء قريش ويقول له .. فأبق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق .

ويظن رسول الله ﷺ أن أبا طالب قد بداله شيء مّـا، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فيخاطب عمه بكلمته المشهورة: ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهر الله أو أهلك فيه ماتركته .

وهنا ينتهي موقف الحيرة عند أبي طالب ويتخذ موقفا حازما: اذهب ياابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا .

٤ - عرض غريب على أبي طالب :

أمام صلابة موقف أبي طالب وإصراره على عدم خذلان رسول الله ﷺ تخفف قريش من حدة التلويح بالحرب، وهي تعلم مالها من نتائج تأكل الأخضر واليابس، فتعمد إلى عمارة بن الوليد بن المغيرة فتى من فتيان قريش في ريعان الشباب، قوي جلد، وتأخذه إلى أبي طالب ليتخذه ولدا وسنداً، على أن يسلم لهم ابن أخيه محمداً ﷺ الذي عاب آلهتهم وسفّه أحلامهم فيقتلونه .

يسخر أبو طالب من هذا العرض الغريب ، ويعبر عن هذا بقوله أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ، والله لن يكون هذا أبدا .

وتكون هذه الكلمة بداية لموقف آخر تتخذه قريش من رسول الله ﷺ .

٥ - عرض عتبة بن ربيعة :

بعد إسلام حمزة رضي الله عنه قرر المشركون اللجوء إلى مفاوضات مباشرة مع محمد ﷺ حيث قاموا بانتداب عتبة بن ربيعة ليكلم رسول الله ﷺ .

ذهب عتبة إلى رسول الله ﷺ فقال ياابن أخي إنك منا حيث قد علمت من البسطة في العشيرة ، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل بعضها، ياابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفا سوّدناك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملّكْناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لاتستطيع رده طلبنا لك الطب حتى يبرئك. فلما فرغ عتبة من كلامه ، قال ﷺ أفرغت من كلامك ياأبا الوليد . قال: نعم. قال: فاسمع مني، فقرأ ﷺ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ .. فلما سمعها عتبة أنصت إليها ، فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فيها سجد ، ثم قال سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك .

رجع عتبة إلى أصحابه فقالوا: ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال: ورائي أني. قد سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم أو إن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، قالوا سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه ، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا مابدا لكم .

٦ – دروس وعبـــر :

١ – إن ضغوط أعيان قريش وتهديدهم لأبي طالب من أجل وقف الدعوة الجديدة التي جاء بها محمد ﷺ فيها دلالة كما يقول صاحب شعاع من السيرة على أن لهؤلاء القادة والزعماء مكاسب جاهلية حققوها عن أوضاع جاهلية قائمة على انتهاك حريات الناس وادعاء أخص خصائص الألوهية في حياة الشعوب ألا وهو الأمر والحكم والتوجيه ، ولهذا فإن في تحرر الشعوب بدعوة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تهديدا واضحا وصارخا ، يفلت الجماهير من قبضة الزعماء، ويدفعها نحو وعي جديد بذاتها ودورها في الحياة، كما تكشف هؤلاء الزعماء وتعري حقيقتهم، فماذا يفعل القادة والزعماء إزاء هذا الخطر المحدق؟ اجتمعوا

يخططون ومشاعر الغضب تتفجر على ألسنتهم وفي وجوههم رفضا واستنكارا واستغرابا ودفاعا عن المكاسب تحت شعار الدفاع عن دين الآباء والأجداد .

ب - في جوابه ﷺ لعمه دلالة على إصراره على المضي قدما في سبيل نصرة هذا الدين وإعلاء شأنه، وأن قضية العقيدة لاتقبل بأي حال من الأحوال ، وتحت أي ظرف من الظروف أن تكون مجالا للمساومة وهذه قضية أكدها الله بقوله قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

جـ - أن في قبول رسول الله ﷺ لحماية أبي طالب دلالة على أنه ينبغي أن تكون العلاقة بين الداعية وأقاربه علاقة طيبة حسنة ، وأن تستغل هذه القرابة وما تعطيه من قوة اجتماعية يحسب لها حساب في أوساط الناس ويسخرها لخدمة دينه ودعوته ، وأن عروض المساعدة على أفعال الخير من الناس الذين لايسيرون على نفس النهج الذي يسير عليه الداعية عروض مقبولة مالم تكن مشروطة بشروط من شأنها أن تؤثر على شخصية الداعية، وعقيدته وإلا فإن الجواب هو ماقاله محمد ﷺ ياعم لو وضعوا الشمس في يميني ..... الخ .

د - ومن خلال عرض عتبة بن ربيعة حلوله السلمية على رسول الله ﷺ تتجلّى لنا حقيقة الدعوة التي يحملها محمد بن عبدالله ﷺ فهي دعوة ربانية تستهدف عبادة الواحد الأحد ونبذ عبادة الأصنام وإحلال عقيدة التوحيد محل لوثة الوثنية فرسول الله ﷺ لم يبغ مالاً ولا ملكاً ولا زعامة، وما أيسر الأمر لو كان كذلك إذن لارتاح ﷺ ومن معه من معاناة مقارعة المشركين وتعريض المسلمين لصنوف من الأذى والاضطهاد وترك للمال والأهل والديار .

النشـــــاط :

اكتب صفحة أو صفحتين مستلهما موقف الرسول الكريم فيما يجب أن يكون عليه الداعية إلى الله من ثبات ورسوخ وحزم وعزم .

موقف قريش من رسول الله ﷺ
٢ ـ استكبار واستهزاء واتهام

عناصر الدرس :

١ - استكبار قريش واستهزاؤها واتهامها لرسول الله ﷺ
٢ - نماذج من صور الاستكبار والاستهزاء
٣ - بيان القرآن الكريم لواقع الاستكبار
٤ - دروس وعبر

١ - استكبار قريش واستهزاؤها واتهامها :

لما جاء رسول الله ﷺ قومه بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حَدَّث، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ولَجوُّا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ [١] أي اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزوا لعلكم تغلبون محمداً بذلك فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم.

ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ، ومن أسلم معه فأغروا به سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، وكانت هذه الاتهامات الباطلة من أشد الأمور وقعا علي

١ - سورة فصلت آية (٢٦).

رسول الله ﷺ ، وقد سجل القرآن هذه الاتهامات في آيات كثيرة منها قوله تعالى وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ (١) وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٢) بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ (٣) وقد أنكر القرآن الكريم على قريش افتراءها فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ (٤)

٢ – نماذج من صور الاستكبار والاستهزاء :

١ – ورد في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن أشراف قريش قد اجتمعوا يوما في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا مارأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، سفّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا وسّب آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا، فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول، قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ قال: ثم مضى فلما مر بهم ثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: أتسمعون يامعشر قريش، أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح.

---

١ – سورة ص آية (٤).
٢ – سورة الحجر آية (٦).
٣ – سورة الأنبياء آية (٥)
٤ – سورة الحاقة آية (٣٨/٤٢).

ب – كان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا فذكّر فيه بالله، وحذّر قومه ماأصاب من قبلهم من الأمم من نعمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه ، فهلم إليّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وفيه نزل قوله عز وجل إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ [1]

جـ – ورد في كتب السيرة أن الأخنس ابن شريق تكلم مع أبي جهل قال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ، والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس وتركه.

د – ذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزل قوله تعالى (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ)[2] قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم ــ أي الشجعان ــ أفيعجز

---

١ – سورة القلم آية (١٥).
٢ – سورة المدثر آية (٣٠).

كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ! قال السدي فقال أبو الأسود ابن كلدة الْجُمَحِي ، لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة ، وبمنكبي الأيسر التسعة ثم تمرون إلى الجنة يقوله مستهزئا... فنزل قوله تعالى وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا (١)

٣ - بيان القرآن الكريم لواقع الاستكبار والاتهام :

بيّن القرآن في كثير من آياته ما جُبِلَتْ عليه نفوس المشركين من حسد واستكبار، وما تكنه صدورهم من حقد وعداوة وبغضاء، وما تلوكه ألسنتهم من اتهامات باطلة في حق القرآن ورسول القرآن ﷺ وإليك طائفة من هذه الآيات

وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ (٢)

وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا (٣)

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ (٤)

وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ (٥)

فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ (٦)

وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا (٧)

---

١ - سورة المدثر آية (٣١).
٢ - سورة فصلت آية (٥).
٣ - سورة الاسراء آية (٤٦).
٤ - سورة الاسراء آية (٤٧).
٥ - سورة الاسراء آية (٤٩).
٦ - سورة الانعام آية (٣٣).
٧ - سورة النمل آية (١٤).

وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ (١)

وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ (٢)

٤ - دروس وعبر :

١ - أن أهل الباطل حينما يعجزون عن إقامة الحجة والبراهين لما هم عليه من الغواية والضلال، يلجأون إلى أساليب التضليل والخداع والاتهام، لتشويه صورة الدعوة والدعاة في أعين الناس في محاولة منهم للصد عن سبيل الله، ولتبرير ما هم عليه من زيغ وانحراف.

٢ - أن المحاورة التي جرت بين الوليد بن المغيرة ونفر من قريش وبين أبي جهل والأخنس بن شريق توضح لنا صورة أهل الباطل وهم يجتمعون ويخططون، في محاولة لاتخاذ قرار جماعي موحد ضد محمد ﷺ ودعوته، وهذه الصورة تتكرر في كل زمان ومكان، فأهل الباطل رغم ما بينهم من خلافات جذرية في كثير من الأحيان، إلا أنهم يلتقون على شيء واحد ألا وهو حرب الإسلام والمسلمين ، ولا ريب في ذلك فالكفر ملة واحدة وصدق الله تعالى حيث قال

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴿٣﴾

---

١ - سورة ص آية (٤/٧).
٢ - سورة الزخرف آية (٣١).
٣ - سورة الأنفال آية (٧٣).

النشـــاط :

١ - ارجع إلى القرآن الكريم واستخرج خمس آيات تصور عناد المشركين لرسول الله ﷺ

٢ - ارجع إلى كتب السيرة واستخرج منها صورا لاستهزاء المشركين واستكبارهم على الله

٣ - لماذا يرتبط الاستكبار بالجاهلية ، في كل زمان ومكان ؟!

موقف قريش من رسول الله ﷺ

٣ ــ إيذاء رسول الله ﷺ ومن آمن معه

عناصر الدرس :

١ - بعض مالقيه ﷺ من قومه.

٢ - بعض مالقيه نفر من المسلمين.

٣ - دروس وعبر.

١ - بعض ما لقيه ﷺ من قومه :

لقد تعرض الرسول ﷺ وهو يدعو قومه إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام في محاولة لإنقاذهم من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الكفر إلى الإيمان لأصناف من الأذى والاضطهاد، فقد رَوَى البخاري في صحيحه [١] أنه بينما كان رسول الله ﷺ ساجدا وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت علي من صنع.

كما روى البخاري[٢] أن الرسول ﷺ بينما كان يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال (أتقتلون رجلا أن يقول رَبِّيَ الله).

وفي محاولة آثمة للاعتداء على رسول الله ﷺ يروى الإمام مسلم في صحيحه[٣] أن أبا جهل قال: هل يعفر محمد وَجْهَهُ بين أظهركم [٤] قال:

---

١ - صحيح البخاري بشرح فتح الباري ١٢/١٦٥.

٢ - صحيح البخاري بشرح فتح الباري ١٢/١٦٦.

٣ - صحيح مسلم ١٧/١٣٩.

٤ - كناية عن سجوده ﷺ .

فقيل نعم، فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب، قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ علي رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بِيَدَيهِ، قال: فقيل له مالك؟ قال إن بيني وبينه لخندقا من نار وهَوْلاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا...»

وأما إيذاء أبي لهب وامرأته جميلة حمالة الحطب لرسول الله ﷺ فقد أنزل الله فيه قرآنا يتلى إلى يوم الساعة

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

٢ - بعض ما لقيه نفر من المسلمين :

يقول ابن إسحق «ثم إنهم عَدَوْا علي من أسلم واتّبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء[1] مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يُصْلَبُ لهم ويعصمه الله منهم».

وقد لقي أصحاب الرسول ﷺ من الشدة والبلاء الشَّيْءَ الكثير مما أدى إلى طلب الدعاء لهم من رسول الله ﷺ فعن خباب بن الأرت أنه قال (أتيت النبي وهو متوسد برده، وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت يارسول الله: ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو مُحْمَرٌّ وجهه فقال: لقد كان من قبلكم يمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه ولحمه من لحم أو عصب

١ - الرمضاء : الرمال اذا اشتد حرها تحت أشعة الشمس صيفا.

ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق اثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وَلَيَتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلاَّ اللّه)[1].

وكان ممن عذب بدينه آل ياسر، عمار وأبوه وأمه، حيث كانت بنو مخزوم يخرجون بهم إذا حميت الظهيرة وأصبحت حرارة الشمس لافحة يعذبونهم برمضاء مكة. ويمر بهم رسول الله ﷺ فلا يملك إلا أن يقول صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة.

ويستمر التعذيب لآل ياسر وتتشرف هذه العائلة المباركة بأن تقدم أول شهيد في الإسلام على طريق البذل والعطاء في سبيل نصرة هذا الدين إنها سمية أم عمار أول شهيدة في الإسلام علي يد فرعون هذه الأمة أبي جهل.

ويشتد العذاب على عمار بالحر تارة ، وبوضع الصخر على صدره أخرى وبالتغريق ويقول له المشركون لا نتركك حتى تسب محمدا أو تقول في اللات والعزى خيرا، فيفعل ذلك ويُترك، فيذهب إلى النبي ﷺ باكيا يخشى مما قاله، فيقول له الرسول ﷺ فكيف تجد قلبك؟ ويقول عمار أجده مطمئنا بالإيمان فقال ﷺ يا عمار إن عادوا فعد، فأنزل الله تعالى

إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ [2]

وكان بلال بن رباح ممن ذاق من التعذيب ماذاق حيث كان أمية بن خلف يخرجه وقت الظهيرة إلى بطحاء مكة فيطرحه على ظهره ويأمر بوضع صخرة كبيرة على صدره، ويهدده بالبقاء على هذا الحال حتى يموت أو يكفر بمحمد، ويعود إلى عبادة اللات والعزى، فيكون جواب بلال أحد أحد.

---

١ - صحيح البخاري بشرح فتح الباري ١٦٥/٧

٢ - سورة النحل آية (١٠٦).

ويبقى بلال يذوق هذا اللون من العذاب حتى يمر به أبو بكر فيقول لأمية ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ إلى متى؟ فيقول أمية لأبي بكر أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى، فيفعل أبو بكر ويستبدل بلال بن رباح بغلام عنده على دين أمية وبعدها يعتقه أبو بكر.

وكان أبو بكر من الذين نالهم أذى من قريش فقد ذكر ابن كثير في السِّيَرِ أن أبا بكر كان أول خطيب دعا إلى الله وإلى الرسول ﷺ فثار عليه المشركون وضربوه ومن كان معه من المسلمين ضربا شديدا، رغم أن المشركين كانوا يألفونه ويأتونه لعلمه وتجارته وخلقه وحسن مجالسته لكنه الحسد الذي يملأ قلوب المشركين على هذا الدين وأتباعه.

٣ - دُروس وعبـــر :

١ - رب سائل يتسائل لم هذا التعذيب والاضطهاد لرسول الله ﷺ والذين أسلموا معه ؟ ولِمَ كل هذا العنت والمعاناة؟ ولماذا لم يعصمهم الله وهم يجاهدون في سبيله؟

يجيب الدكتور البوطي في كتابه فقه السيرة على هذا السؤال بإجابة نقتطف منها ما يلي «إظهار صدق الصادقين وكذب الكاذبين . فلو ترك الناس لدعوى الإسلام ومحبة الله تعالى على ألسنتهم فقط ، لاستوى الصادق والكاذب ، ولكن الفتنة والابتلاء هما الميزان الذي يميز الصادق عن الكاذب، وصدق القائل في محكم كتابه الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ (١)

والقائل أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ (٢)

---

١ - سورة العنكبون آية (١ ، ٢). ٢ - سورة آل عمران آية (١٤٢).

وإذا كانت هذه هي سنة الله في عباده ، فلن تجد لسنة الله تبديلا حتى مع أنبيائه وأصفيائه. من أجل ذلك أوذي رسول الله ﷺ وأوذي من قبله جميع الأنبياء والرسل ، ومن أجل ذلك أوذي أصحاب رسول الله ﷺ حتى مات منهم من مات تحت التعذيب ، وعمي من عمي رغم عظم فضلهم وجليل قدرهم عند الله عز وجل.

ب - أن رسول الله ﷺ تعامل مع المشركين بالصبر والهدوء مع ما لقيه هو وأصحابه من الأذى والتعذيب ولم يقابل الأذى بالأذى والعنف بالعنف لأن وقت الرد لم يحن بعد . وفي هذا دلالة أن الدعوة في بداية أمرها تحتاج إلى صبر وضبط أعصاب واتزان ولا تحتاج لعنف وانفعال حتى لا توءَد في مهدها.

جـ - أن الرسول ﷺ كان يحرص على رفع المعنويات في نفوس أتباعه ويطمئنهم بأن العاقبة للمتقين، وأن النصر مع الصبر، تجلى هذا واضحا في جوابه ﷺ لخباب بن الأرت حينما طلب منه الدعاء من أجل تخفيف الشدة والمعاناة التي يلقاها المسلمون من صنانيد الشرك والوثنية.

النشـــاط :

١ - ارجع إلى سيرة ابن هشام واستخرج صورا من صور الأذى الذي ألحقه المشركون برسول الله ومن معه.

٢ - (خبَّاب بن الأرت) صحابي جليل ، ماذا تعرف عنه ؟ استعن بمؤلفات المحدِّثين. (رجال حول الرسول أو غيره) .

الوحـــدة الرابعـــــة
الدعوة قبل الهجرة

١ – الهجرة إلى الحبشة (١).
٢ – الهجرة إلى الحبشة (٢).
٣ – المقاطعة العامة.
٤ – الدعوة تتحرك إلى خارج مكة.
٥ – استمرارية الدعوة وتحمل الأذى.
٦ – الذهاب إلى الطائف طلبا للنصرة.
٧ – الاسراء والمعراج.
٨ – نظرة تحليلية لطبيعة العهد المكي.

الهجـرة إلـى الحبشـة

(١)

عناصر الدرس :

١ – بداية الهجرة وسببها .
٢ – كيفية الهجرة .
٣ – رجوع المهاجرين بناء على خبر مكذوب .
٤ – اشتداد الأذى على المسلمين والإذن بالهجرة الثانية .
٥ – عدد المهاجرين ومدة بقائهم في الحبشة .

١ – بداية الهجرة وسببها :

كانت هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة هى أول هجرة في الإسلام وكانت في السنة الخامسة للبعثة .

وأماّ سببها فهو أن رسول الله ﷺ لما رأى مايصيب أصحابه من البلاء وماهو فيه من العافية بمكانة الله عز وجل ومن عمه أبي طالب ، وأنه لايقدر على أن يمَنعم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لايظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجا .

خرج المسلمون بعد ذلك إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، وكانت المجموعة الأولى منهم مكونة من اثْنَىْ عشر رجلا وأربع نسوة فيهم عثمان ابن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وفيها قال ﷺ: (إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام) وعثمان بن

مظعون والزبير ابن العوام وجعفر بن أبي طالب وزوجته أسماء بنت عميس .

٢ - كيفية الهجرة :

كانت الهجرة إلى الحبشة قد تمت في سرية وكتمان حيث كانت تسللا في جنح من الليل والناس نيام، مخافة من قريش ورهبة ، ومع ذلك فقد تنبهت قريش لما يجرى فأرسلت في الطلب ، وكان الله قد يسر للمهاجرين في سبيله الذي توجهوا صوب البحر سفينة تحملهم إلى حيث استقر بهم المقام في أرض الحبشة .

٣ - رجوع المهاجرين بناء على خبر مكذوب :

في العام نفسه بلغ المسلمين في الحبشة أن قريشا قد أسلمت، فأقبلوا راجعين إلى مكة في شهر شوال من العام نفسه ، فلما كانوا دون مكة بقليل استبان لهم الأمر وتيقنوا أن الخبر مكذوب، فرجع منهم من رجع إلى الحبشة ، ولم يستطع أحد منهم الدخول إلى مكة إلا مستخفيا أو في جوار رجل من المشركين حيث دخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة ، ودخل أبو سلمة في جوار أبي طالب .

٤ - اشتداد الأذى على المسلمين والإذن بالهجرة الثانية :

جاء في طبقات ابن سعد (لما قدم أصحاب النبي ﷺ مكة من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم ، وسطت بهم عشائرهم ، ولقوا منهم أذى شديدا ، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية ، فكانت الهجرة الثانية أعظم مشقة لما لقي المسلمون من أذى قريش الذين غاظهم وأزعجهم وأقض مضاجعهم مابلغهم عن النجاشي من حسن وفادة المسلمين وجواره لهم .

وفي هذه الهجرة قال عثمان بن عفان يارسول الله هجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى النجاشي ولست معنا، فقال رسول الله ﷺ أنتم المهاجرون إلى الله وإليّ، لكم هاتان الهجرتان جميعا. قال عثمان: فحسبنا يارسول الله .

٥ - عدد المهاجرين ومدة بقائهم في الحبشة :

على أشهر الروايات أن مجموع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة كان ثلاثة وثمانين رجلا وإحدى عشرة امرأة .

وكما كانت هجرتهم أفواجا فقد كانت عودتهم كذلك، وكان آخر الأفواج عودة في السنة السابعة بعد أن كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم ففعل وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري الذي حمل كتاب رسول الله ﷺ فلما قدموا المدينة وجدوا رسول الله ﷺ في خيبر فذهبوا إليه فوجدوه قد فتح خيبر ، فكلم رسول الله ﷺ المسلمين بشأن إشراكهم في أسهم الغنائم ففعلوا ، وكان جعفر بن أبي طالب من هذا الفوج وفيه قال ﷺ: (ما أدري بأيها أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر) .

النشـــاط :

١ - ارجع إلى كتب السيرة واستخرج نص كتاب رسول الله ﷺ الذي حمله عمرو بن أمية إلى النجاشي بشأن عودة المهاجرين .

وحلله إلى عناصره الأساسية.

الهجـرة إلـى الحبشـة

(٢)

عناصر الدرس :

١ - مبعوثا قريش إلى النجاشي.
٢ - مكيدة قريش ومحاولة إرجاع المهاجرين المسلمين.
٣ - استدعاء النجاشي للمسلمين وحديث جعفر.
٤ - سؤال النجاشي عن المسيح وجواب جعفر له.
٥ - دروس وعبر.

١ - مبعوثا قريش إلى النجاشي :

جاء في حديث أم سلمة الذي ذكره ابن اسحق أن المسلمين لما نزلوا الحبشة جاوروا فيها خير جار النجاشي ، وأمنوا هناك على دينهم وعبدوا الله تعالى ، لم يؤذوا ، ولم يسمعوا شيئا يكرهونه .

فلما بلغ ذلك قريشا تآمروا فيما بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي من يكلمه بشأن المسلمين فأرسلوا عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص .

٢ - مكيدة قريش ومحاولة إرجاع المسلمين :

قدم مبعوثا قريش إلى الحبشة يحملان الهدايا ، فقدما لكل بطريق هدية وقالا إنه قد ضوَى[1] إلى بلد الملك غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى

---

١ - ضوى : يضوي ، ضيًا : انضم ، ولجأ.

الملك فيهم أشراف قومهم ليردوهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليه ، فقالوا لهم نعم .

وبعد ذلك قدم الموفدان على الملك النجاشي، فقدّما إليه الهدايا وقالا له : أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم و لم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لانعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، وعاتبوهم فيه، ولم يكن شيء أبغض إلى عبدالله بن ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي.. فقال البطارقة نعم أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم فَأَسْلِمْهُمْ إليهما ، فليردوهم إلى بلادهم وقومهم، فغضب النجاشي ثم قال: لاها الله إذن لا أسلمهم إليهما ، ولايكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواى ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ، وأحسنتُ جوارهم ماجاوروني .

٣ – استدعاء النجاشي للمسلمين وحديث جعفر :

أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله ﷺ فلما حضروا سألهم قائلا ماهذا الذي فارقتم فيه قومكم؟ فأجابه جعفر بن أبي طالب بقوله:

أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، وَنُسِيءُ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك، حتى بعث إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من

دونه من الحجارة ، والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لانشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .. فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ماجاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا ، وحرمنا ماحرم علينا ، وأحللنا ماأحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ماكنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لانظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شَيْء ، قال جعفر: نعم، وقرأ عليه صدرا من كهيعص (سورة مريم) فبكى النجاشي وبكى الأساقفة حين سمعوا ما تَلَى عليهم، ثم قال: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، وخاطب موفدي قريش قائلا: انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما .

٤ - سؤال النجاشي عن المسيح عليه السلام، وجواب جعفر له :

لم يهدأ بال عمرو بن العاص لموقف النجاشي من المسلمين ، فلما خرج من عنده قال لآتينه غدا بما فيه القضاء على المسلمين واستئصال خَضْرَائِهِم، فلما كان الغد جاء عمرو إلى النجاشي قائلا: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما.. فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه، فأرسل الملك إلى المسلمين وسألهم عما يقولون في عيسى بن مريم عليه السلام فقال جعفر : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ، هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها

إلى مريم العذراء البتول ، فضرب النجاشي بيده على الأرض فأخذ منها عودا، ثم قال: والله ماعدا عيسى بن مريم ماقلت هذا العود، فتناخرت[1] بطارقته حوله حين قال ماقال، فقال: وإن نخرتم، والله، اذهبوا فانتم شيوم بأرضي (أي آمنون) مَن سَبّكم غرِّم ، من سبكم غُرِّم ـــ من سَبَّكُم غُرِّم ، ما أحب أن لي دبراً ـــ أي جبلا ـــ من ذهب وأني أوذي رجلا منكم . ثم قام برد الهدايا على عبدالله بن أبي ربيعه وعمرو بن العاص، فخرجا من عنده مقبوحين، وأقام المسلمون المهاجرون عنده بخير دار مع خير جار .

٥ - دروس وعبـــر :

ا - دلت الهجرة إلى الحبشة على مشروعية الهجرة للمسلمين في كل وقت وحين، إذا ادْلَهمّ الخطب واشتدت المحنة فرارا بالدين وحماية للعقيدة، وضمانا لاستمرار الدعوة وانتشارها .

وأن على القائد إذا رأى أتباعه قد وضعوا في ضيق وضنك ولحق بهم أذى أن يفكر في مكان آمن يلجئون إليه ، وأن هذا التفكير ليس جريمة ولاينافي البذل والتضحية مادام ضمن الأطر المشروعة .

ب - جواز الهجرة إلى غير أرض الإسلام والدخول في حماية غيرالمسلمين إذا كان في ذلك تخفيف معاناة ورفع ظلم وحماية للدين والمعتقد .

يقول الدكتور البوطي في كتابه السيرة: يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين إذا دعت الحاجة إلى ذلك سواء كان المجير من أهل الكتاب، كالنجاشي إذ كان نصرانيا حينئذ ولكنه أسلم بعد ذلك، أو كان مشركا كأولئك الذين عاد المسلمون إلى مكة في حمايتهم عندما

---

١ - تناخرت : اخرجت صوتا (النخير) من أنوفها.

رجعوا من الحبشة، وكأبي طالب عم رسول الله ﷺ ، وكالمطعم بن عديّ الذي دخل الرسول ﷺ مكة في حمياته عندما رجع من الطائف .

وهذا مشروط بحكم البداهة بأن لايستلزم مثل هذه الحماية إضرارا بالدعوة الإسلامية ، أو تغييرا لبعض أحكام الدين ، أو سكوتا على اقتراف بعض المحرمات ، وإلاّ لم يَجُزْ للمسلم الدخول فيها .

جـ - إن الناظر في سبب هجرة المسلمين إلى الحبشة وطبيعتها ومجرياتها يدرك مقدار حقد قريش على هذا الدين، فلا هم يسمحون لأفراد منهم في اعتناق الإسلام، وإذا أسلم واحد منهم آذوه وعذبوه .

ولا هم يخلون بين المسلمين وبين الهجرة فرارا بالدين وحماية للأنفس، وقد رأينا كيف طورد المسلمون في محاولة لمنعهم من الخروج من مكة ولكن الله سَلَّم . بل وصل الأمر بهم إلى ملاحقتهم خارج أرضهم وبعيداً عن ديارهم إمعانا منهم في الكفر والضلال .

كما يدرك كذب المشركين لافترائهم وعدم صدق مزاعمهم في حق رسول الله ﷺ والدين الذي جاء به، وقد تجلى هذا بوضوح من خلال الرشوة التي قدمها موفدا قريش إلى بطارقة النجاشي بغية تحقيق الهدف الذي أرسلا من أجله ، ومن خلال حرص موفدي قريش على أن لا يسمع النجاشي كلام المهاجرين المسلمين لأن في استماعه لهم فضحا لأمرهم وكشفا لنواياها وتكذيبا لمزاعمهم .

النشـاط :

تخصص مناقشة لموضوع حكم هجرة المسلم أو المسلمين إلى المجتمعات الكافرة، وهجرتهم من المجتمعات الكافرة أو الظالمة إلى المجتمعات المسلمة.

المقاطعة العامة

سياسة التجويع والحرب الاقتصادية

عناصر الدرس :

١ - أسباب المقاطعة وكتابة الصحيفة.
٢ - نقض الصحيفة وانتهاء المقاطعة.
٣ - دروس وعبر.

١ - أسباب المقاطعة وكتابة الصحيفة :

تعددت أساليب المشركين في حرب محمد ﷺ ومن آمن معه وهاهم المشركون في هذه المرة يلجئون إلى أسلوب من نوع آخر ، إنه أسلوب حرب الأرزاق وسياسة التجويع والمقاطعة الاقتصادية كوسيلة من وسائل الضغط على بني هاشم لعلهم يسلمون محمداً ﷺ للقتل .

قال ابن إسحق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عُمَرَ قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبدالمطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه ، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني عبد المطلب ، على أن لاينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولايبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جَوْف الكعبة، وكان كاتبها منصور بن عكرمة .. فَلَماّ فعلت ذلك قريش انحازت

بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا له ، وخرج من بني هاشم أبو لهب فانحاز إلى قريش وظاهرهم .

وفي رواية عند ابن كثير (.. ثم إن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ماكانوا حتى بلغ المسلمون الجهد واشتد عليهم البلاء ، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية .

فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله ، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا ، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ وأجمعوا على ذلك ، اجتمع المشركون من قريش ، فأجمعوا أمرهم ألا يجالسوهم ولايبايعوهم ولايدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل ، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق لايقبلوا من بني هاشم صلحا أبدا ولاتأخذهم رأفة حتى يسلموه للقتل ، فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين ، وَاشْتَدَّ عليهم البلاء والجهد ، وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة ولابيعا إلا بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ .

٢ - نقض الصحيفة وانتهاء المقاطعة :

مرت ثلاث سنوات عجاف والمسلمون مع بني هاشم وبني عبدالمطلب محاصرون في شعب أبي طالب يسامون العذاب حتى بلغ منهم الجهد مبلغه، والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود ، وكانت أصوات نسائهم وصبيانهم وهم يتضاغون[1] جوعا تسمع من وراء الشعب ، وكانوا لايصل إليهم شيء من

١ - يتضاغون : يَئِنُّونَ ، ويكون .

الطعام إلا سرا ، ولايخرجون من الشعب لشراء الحوائج إلا في الأشهر الحرم ، وكان المشركون يغالون ويزيدون عليهم السعر .

جاء في الروض الأنف: كانت الصحابة إذا قدمت عير إلى مكة ويأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام قوتا لعياله فيقوم أبو لهب فيقول : يامعشر التجار غالوا على أصحاب محمد ﷺ حتى لايدركون معكم شيئا ، وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي ، فأنا ضامن لاخسار عليكم ، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا، حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع ، وليس في يده شيء يطعمهم به ، ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعا وعريا .

بَقِيَ رسول الله ﷺ والمسلمون معه وبنو هاشم وبنو عبدالمطلب على هذا الحال إلى أن أذن الله بالفرج، فهزت مشاعر الخير والنخوة والشهامة قلوب بعض المشركين ممن تربطهم روابط الرحم مع بني هاشم، فتحركوا في نقض الصحيفة وإنهاء المقاطعة .

كان على رأس هؤلاء النفر هشام بن عمرو ، وزهير بن أبي أمية ، والمطعم ابن عدي وأبو البحترى بن هشام وزمعة بن الأسود . كلم هشام بن عمرو زهير ابن أبي أمية بقوله: رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت لايباعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولاينكح إليهم ، أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام . ثم دعوته إلى مثل مادعاك إليه منهم ماأجابك إليه أبدا .

ثم ذهب إلى المطعم بن عدي فقال له: يامطعم قد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا .

ومشى هشام إلى أبي البختري فكلمه وقال له مثل ماقال للمطعم بن عدي .

وأخيرا كلم هشام بن عمرو، زمعة بن الأسود وذكر له قرابتهم وحقهم .

فواعد الخمسة على اللقاء ليلا عند الحجون على مقربة من البيت الحرام وهناك أجمعوا أمرهم ، وتعاقدوا على القيام بنقض الصحيفة، وقال زهير: أنا أبدأ وأكون أول من يتكلم .

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال: ياأهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لايباع ولايتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

قال أبو جهل كذبت والله لاتشق، فقال زمعة أنت والله أكذب، مارضينا كتابها حيث كتبت ، وقال أبو البختري صدق زمعة لانرضى ماكتب فيها ولانقربه، ثم قال المطعم بن عَدِيّ صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ، ومما كتب فيها ، فقال أبو جهل هذا أمر قضي بليل، وكان أبو طالب جالسا في ناحية المسجد فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا (باسمك اللهم) .

وهكذا نُقِضَت الصحيفة وانتهى أمر المقاطعة، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشِّعب، كما يقول صاحب الرحيق المختوم، وقد رأى المشركون آية عظيمة من آيات نبوته، ولكنهم كما أخبر الله عنهم وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ[1] أعرضوا عن هذه الآية وازدادوا كفرا إلى كفرهم.

---

١ - سورة القمر آية (٢).

٣ - دروس وعبـــر :

ا - إن المقاطعة الاقتصادية التي لجأ إليها المشركون مخطط ماكر خبيث يهدف إلى تركيع المسلمين ومن معهم من بني هاشم وبنى عبدالمطلب ، وإخضاعهم لتحقيق مطلبهم الرئيسي وهو إسلام محمد ﷺ للقتل ، وذلك من خلال الضغط على الأعصاب وسماع أنين النساء والصبيان وهم يتضاغون جوعا .

ب - أن المشركين ومن سار على طريقهم من أعداء هذا الدين .. لايفهمون لغة الحوار ومقارعة الحجة بالحجة ، لأنه لايوجد عندهم مايغذي هذه اللغة ، وينميها، ولذلك فإنهم يتفننون في اختراع الأساليب التي يحاربون بها الله ورسوله ﷺ .

جـ - أن حقد المشركين لم يقف عند معاداتهم لرسول الله ﷺ ومن آمن معه بل تعدى أثره إلى كل من أبدى تعاطفا مع رسول الله ﷺ حيث شمل الحصار بني هاشم وبني عبدالمطلب وأكثرهم على دين قريش .

وهذا هو شأن الصراع بين أعداء الله والمسلمين في كل زمان ومكان حيث يضغط على الدعاة في الله من خلال إلحاق الأذى بالأزواج والأبناء والأقارب والأصحاب .

د - أن نصرة بني هاشم وبنى عبدالمطلب لرسول الله ﷺ كانت حمية ، ولم تكن قائمة على أساس الدين ، وهذا يؤكد ضرورة محافظة الدعاة إلى الله على صلات القربى ومد جسور المحبة والتعاون لأن هذه الصلة إن لم تنفع يوما ما فإنها لاتضر، لكن ينبغي على الداعية أن يكون يقظا

حتى لايصل به الأمر إلى أن تطغى هذه الصلة على صلته بالله

قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ
ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ
إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

النشـــــاط :

ارجع إلى سيرة ابن هشام واجمع الروايات التي تبين سبب نقض الصحيفة الظالمة

واكتب ماتستفيده منها بأسلوبك .

١ - سورة التوبة آية (٢٤).

الدعوة تتحرك إلى خارج مكة
إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي

عناصر الدرس :

١ ــ بين يدي الحدث .
٢ ــ قدوم الطفيل مكة وتحذير قريش له.
٣ ــ استجابة الطفيل للتحذير ثم تخليه عن ذلك .
٤ ــ اتباعه لرسول الله ﷺ وإعلان إسلامه .
٥ ــ طلب الطفيل أن تكون له آية.
٦ ــ دعوة الطفيل أهله وعشيرته إلى الإسلام .
٧ ــ دروس وعبـــر .

١ - بين يدي الحدث :

لم يفتر المسلمون أيام الحصار الاقتصادي عن الدعوة إلى الله حيث كانوا يلقون غيرهم في مواسم الحج ، ولم تشغلهم آلامهم عن الدعوة وعرضها على كل وافد، فإن الاضطهاد كما يقول الغزالي الاضطهاد لايقتل الدعوات ، بل يزيد جذورها وفروعها امتداداً وقد كسب الإسلام أنصاراً كثراً في هذه المرحلة) .

واستمرت عداوة قريش لرسول الله ﷺ بعد الحصار، وصارت تنفر العرب والقادمين إلى مكة لحج أو عمرة أو غير ذلك من محمد ﷺ وفي هذه الفترة كان إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي .

٢ - قدوم الطفيل مكة وتحذير قريش له :

كان الطفيل رجلا شريفا صاحب ضيافة وشاعراً لبيباً ، وقد قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فحذره منه رجال قريش قائلين له: إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد فرّق جماعتنا ، وشتّت أمرنا ، وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه والرجل وأخيه وبين الرجل وزوجه ، وإننا نخشى عليك وعلى قومك مثل ماحل بنا فلا تكلمه ، ولا تسمع منه شيئا .

٣ - استجابة الطفل لتحذير قريش ثم تخليه عن ذلك :

يقول الطفيل فوالله مازالوا بي حتى عزمت أن لا أسمع عنه شيئا ولا أكلمه ، وحشوت في أذني الكرسف حين غدوت إلى المسجد خوفا من أن يبلغني شيءٌ من قوله، وأنا لا أريد سماعه، ثم غدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي فقمت قريبا منه ، فأبى الله إلا أن يسمعني شيئا مما قال ، فسمعت كلاما حسنا ، وقلت في نفسي إني لرجل لبيب شاعر مايخفى عليّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل فإن كان الذي يأتي به حسنا فعلته ، وإن كان قبيحا تركته .

٤ - اتباعه لرسول الله ﷺ وإعلان إسلامه :

عاد رسول الله ﷺ إلى بيته فاتبعه الطفيل ودخل عليه البيت فقال يامحمد مازال قومك يحذرونني منك ومن الاستماع إليك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعت قولا حسنا فَاعْرِضْ عليّ أمرك . فعرض رسول الله ﷺ الإسلام وتلا عليّ شيئاً من القرآن . يقول الطفيل: فلا والله ماسمعت قولا قط أحسن منه ، ولا امرءاً أعدل منه فأسلمت وشهدت شهادة الحق .

٥ - طلب الطفيل أن تكون له آية :

حينما أسلم الطفيل قال لرسول الله ﷺ إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال ﷺ اللهم اجْعَل له آية .

فكانت الآية نوراً بين عينيه مثل المصباح، فقال الطفيل: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم ، فتحوّل النور فوقع في رأس سوطه فكان كلما حرك سوطه ظهر النور كالقنديل المعلق حتى وصل إلى قومه .

٦ - دعوة الطفيل أهله وعشيرته إلى الإسلام :

لما وصل الطفيل إلى أهله أقبل عليه والده وكان شيخا كبيرا، فقال له الطفيل إليك عني فلست منك ولست مني . قال الأب ولم يابني؟ قال لقد أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ قال الأب أي بُنَيَّ: ديني دينك، فقال الطفيل لأبيه: اذهب واغتسل وطهر ثيابك، ففعل فعرض عليه الإسلام فأسلم .

وهكذا فعل الطفيل مع زوجته فأسلمت بقول الطفيل . ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطئوا علىّ ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة فقلت له يانَبِيَّ الله إنه قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم، فقال اللهم اهذ دوسا ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم، قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ثم قدمت رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي .

٧ - دروس وعبـــر :

ا - لم تكتف قريش بالحصار المادي الذي فرضته على رسول الله ومن تعاطف معه وآمن به في شعب أبي طالب، بل أرادت أن يكون الحصار معنويا للحيلولة بين الإسلام وانتشاره خارج مكة ، فعمدت إلى تحذير القادمين إلى بيت الله الحرام بحج أو عمرة أو تجارة من قبائل العرب من محمد ﷺ .

من خلال هذه الأجواء المكفهرة انبثق فجر جديد أطلق للدعوة العنان وكسر طوق الحصار وإذا بالإسلام ينتشر خارج مضارب قريش على يد الطفيل وغيره مِمّـن قدموا مكة والتقوا برسول الله ﷺ وأعلنوا إسلامهم .

ب - إن بذرة الخير إذا غرست في النفس لايمكن أن تبقى محبوسة ، ولابد لها من الانطلاق لتثمر الخير والهداية والرشاد ، وهكذا فعل الطفيل حينما ودّع رسول الله ﷺ وهو عازم على نقل الإسلام إلى غيره، فصدق الوعد حيث أسلم أبوه وزوجه وأفراد من عشيرته .

جـ - في جواب رسول الله ﷺ للطفيل حين جاء يشكو عشيرته وقد أبطأت في إسلامها ويطلب الدعاء عليها ـــ «اللهم اهد دوسا»، مايلفت النظر إلى ضرورة ماينبغي أن يتحلى به الداعية من أخلاق ورفق ولين وصبر، أثناء دعوته للناس وتعرضه لصدودهم، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول (ماكان الرفق في شيء إلا زَانَهُ ولانزع من شيء إلا شانه)[1].

من جعل الرفق في مقـاصده ... وفي مراقيــه سُلّمــاً سُلِّمَـــا
والصبر عـون الفتـى ونــاصره ... وقـلّ مـن عنـده ندمـا ندمـا
كم صدمـة للزمــان منكـــرة ... لما رأى الصبر صدقـا صدقـا

١ - الجامع الصغير بشرح فيض القدير ٥/٤٦١.

النشـــــاط :

ارجع إلى كتابين من كتب السيرة النبوية ولخص بأسلوبك كيفية تحرك الدعوة الإسلامية خارج مكة المكرمة.

استمرارية الدعوة وتحمل الأذى والمحاولة الأخيرة مع أبي طالب وعـام الحـزن

عناصر الدرس :

١ - استمرارية الدعوة وتحمل الأذى.
٢ - المحاولة الأخيرة مع أبي طالب.
٣ - عام الحزن .
٤ - دروس وعبر.

١ - استمرارية الدعوة وتحمل الأذى :

روى الإمام أحمد عن رجل من بني مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول (ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول: لايَغُرَّنَّكمُ هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعُزّى، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ) .

وروى الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد - وكان جاهليا - قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: (ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه أحـــول

ذوغَدِيرَتَيْنِ يقول إنه صابئٌ كاذب يَتَتَبَّعُهُ حيث ذهب ، فسألت عنه فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ وقالوا لي هذا عمه أبو لهب) وفي رواية ورسول الله ﷺ يفر منه وهو يتبعه .

قال ابن إسحق وكان النفر الذين يؤذون رسول الله ﷺ في بيته أبا لهب والحكم بن العاص بن أمية ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدي بن حمراء الثقفي وابن الأصداء الهذلي ، وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص فكان أحدهم ــ فيما ذكر لي ــ يطرح عليه ﷺ رحم الشاة وهو يُصَلّى ، وكان أحدهم يطرحها في بُرْمَتِهِ إذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله ﷺ جحرا يستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه الأذى.. يخرج به رسول الله ﷺ على العود فيقف به على بابه، ثم يقول يابني عبد مناف أي جوار هذا؟ ثم يلقيه في الطريق .

٢ - المحاولة الأخيرة مع أبي طالب :

قام نفر من قريش فيهم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة ، وأبو جهل وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بالذهاب إلى أبي طالب فتكلموا معه بشأن رسول الله ﷺ قائلين :

ياأبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ماترى، وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له مِناً وخذ لنا منه ليكف عنا ، ونكف عنه ، وَلْيَدَعَنَا ودِيننا وندعه ودينه .

بعث أبو طالب إلى رسول الله فجاءه فقال له: ياابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فقال أبو

جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات، قال رسول الله ﷺ تقولون: لا إله إلا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه، فصفقوا بأيديهم وقالوا: يامحمد أتريد أن تجعل الآلهة إلها واحداً إن أمرك لعجب، ثم قال بعضهم لبعض إنه والله ماهذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا .

وفيهم نزل قوله تعالى ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ إلى قوله: أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧﴾

٣ - عام الحزن :

في العام العاشر للبعثة وبعد خروج المسلمين من الحصار الذي فرضته قريش توفي أبو طالب عم رسول الله ﷺ الذي كان له عضدا وحرزا ومانعا وناصرا له على قومه، وبعد وفاته بشهرين على بعض الأقوال توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ وهى التي كانت وزير صدق لرسول الله ﷺ تعينه في نفسها ومالها وتتحمل معه كيد الخصوم وآلام الحصار، ومتاعب الدعوة ولقد أطلق رسول الله ﷺ على هذا العام عام الحزن لعظم مالاقى فيه من الكرب والشدة وفقد النصير .

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهائها فنثر التراب على رأسه، فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحْدَى بناته تغسله وتبكي ورسول الله ﷺ يقول لها: لاتبكي يابنية فإن الله مانع أباك، ويقول: ماتالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب .

٤ - دروس وعبـــر :

ا - إن خروجه ﷺ ومن معه من عملية الحصار لم يؤثر في عزيمته ولم يفت في عضده، فقد استمر يدعو إلى الله على بصيرة يعرض نفسه على أفواج الحُجَّاج والمعتمرين قائلا (ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي)[1] .

ب - إن قلوب قريش قد وصلت إلى حد من القساوة حتى أصبحت كالحجارة بل أشد قسوة، ولذلك لم تتوقف في محاولة النيل من محمد ﷺ وأصحابه .

جـ - في عرض قريش الأخير على أبي طالب إشارة إلى أن كل محاولات الإغراء والاحتواء والتعذيب والتنكيل والحصار قد تحطمت على صخرة العقيدة التي يحملها محمد ﷺ ويدعو إلى اعتناقها واتباعها وهاهي اليوم تريد أن تُدَاهِنَ رسول الله ﷺ فلا تتعرض له، ولِماَ يعبد، شريطة أن لايتعرض لآلهتهم ومايعبدون، ولكنها العقيدة التي لاتقبل مساومة ولاتقبل أن يعبد في الأرض إلا الله عز وجل . وهكذا ينبغي أن يكون حال الدعاة السائرين على نهج النبوة .

د - بِمَوْتِ أم المؤمنين خديجة نكب رسول الله ﷺ في حياته الخاصة وبموت أبي طالب نكب رسول الله ﷺ في حياته العامة حيث كان أبوطالب سنده الاجتماعي .

كل هذا حصل وساعد المسلمين لما يشتد بعد، وعددهم لم يزل غضا طريا .

---

١ - سُنَن أبي داود.

وفي معرض تلمس الدروس والعبر يقول الدكتور البوطي:
(فلو أن أبا طالب بقي إلى جانب ابن أخيه يكلؤه ويحميه إلى أن تقوم الدولة الإسلامية في المدينة ، وربما ينجو الرسول ﷺ من أذى المشركين وقبضتهم لكان في ذلك ماقد يوهم أن أبا طالب كان من وراء هذه الدعوة ، وأنه هو الذي كان يدفعهما إلى الأمام ويحميها بمكانته وسلطانه بين قومه ، وإن لم يظهر الإيمان بها والانضواء تحتها ولجاء من يطيل ويطنب في بيان الحظ الحسن الذي تهيأ للرسول ﷺ أثناء قيامه فجر الدعوة بسبب حماية عمه له بينما لم يتهيأ هذا الحظ لغيره من المسلمين من حوله فأوذوا وهو محفوظ الجانب، وتعذبوا وهو مستريح البال) .

هـ - أن الرسول ﷺ أطلق على هذا العام عام الحزن، وكيف لايكون وقد فقد ﷺ النَّصير والظهير من ناحية وأجدبت أرض مكة وأصابها قحط في الرجال، فلم تعد تنبت في تلك السنة من يُؤمن بمحمد ﷺ ويسلم أمره لله، من ناحية أخرى، ولمثل هذا يحزن الإنسان صاحب العاطفة الجياشة، ولمثل هذا يذوب القلب من نكد .

النشـــاط :

١ - استخرج معنى كلمة (برمته) التي وردت في الدرس من لسان العرب.
٢ - عد إلى كتاب الله واستخرج منه الآيات الكريمة التي كانت تشد أزر الرسول الكريم وتخفف من محنته، واكتب ايحاءاتها بأسلوبك.

الذهاب إلى الطائف طلبا للنصرة

عناصر الدرس :

١ - سبب ذهابه ﷺ إلى الطائف.
٢ - وصوله ﷺ إلى الطائف وحديثه مع سادة ثقيف.
٣ - دعاؤه ﷺ.
٤ - قصة الغلام عداس.
٥ - رجوعه ﷺ إلى مكة واستماع الجن له.
٦ - شدة يوم الطائف.
٧ - دروس وعبر.

١ - سبب ذهابه ﷺ إلى الطائف :

أجدبت أرض مكة في العام العاشر للبعثة وأصابها قحط في الرجال، ولم تعد تنبت من يتبع محمداً ﷺ ودينه (والظاهر كما يقول الشيخ سعيد حوى أنه في هذا العام وصلت الدعوة إلى حد معين وقفت عنده ، فقد استقر الوضع في مكة بين مستجيب ومعارض ، والقبائل العربية وقفت تنتظر، لكن موقفها الرسمي هو موقف قريش ، وقرر رسول الله أن يحرك هذا السكون فتحرك نحو الطائف فكانت محنة جديدة .

إذن فرسول الله ﷺ قد توجه إلى الطائف بحثا عن تربة خصبة تنبت فيها كلمة الله ، ويرتفع من خلالها صوت الحق بعد أن أغمضت قريش عيونها وتعامت عن رؤية الحق والاستماع إلى قائله ﷺ .

٢ - وصول النبي ﷺ إلى الطائف وحديثه مع سادة ثقيف :

خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة فلما وصل إليها عمد إلى نفر من سادة ثقيف وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو ابن عمير الثقفي، فجلس إليهم فدعاهم وكلمهم مما جاءهم من أجله وطلب نصرتهم على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ، فلم يحسنوا الجواب ولم يردوه ردا جميلا بل كلموه كلاما في غلظة وفظاظة و لم يتركوه وشأنه بعد أن طلب منهم أن يكتموا خبر قدومه، بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم فرموه بالحجارة وأدموا قدميه الشريفتين ﷺ وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاج .

٣- دعـــــاؤه ﷺ :

لجأ رسول الله ﷺ إلى بستان لعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وهما فيه، وعمد إلى ظل شجرة من العنب، ولما اطمأن أخذ يشكو أمره إلى الله قائلا (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى مَن تكلني إلى بعيد يَتَجَهَّمني أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي .

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنَزلَ بي غضبك أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضَى ولا حول ولا قوة إلا بك .

٤ - قصة الغلام عداس :

لما رأى عتبة وأخوه شيبة رسول الله ﷺ على هذه الحال أشفقا عليه

وأرسلا إليه قطفا من العنب، مع غلام لهما نصراني اسْمُه عدّاس، وضع رسول الله ﷺ يده على العنب وقال باسم الله وأكل ، فقال له عداس: إن أهل هذا البلد لايقولون هذا الكلام، فقال له رسول الله ﷺ من أهل أي بلاد أنت ياعداس ومادينك؟ قال نصراني وأنا رجل من أهل نِينَوَى .

فقال رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى ؟ فقال له عدّاس ومايدريك مايونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه ، وَابْنا ربيعة ينظران ويقول أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك .

فلما جاء عداس قالاً له: ويلك، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه، قال: ياسيدي، مافي الأرض خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لايعلمه إلا بني، فقال له: ويحك ياعداس، لايصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه .

٥ - رجوعه ﷺ إلى مكة واستماع نفر من الجن إليه :

عاد رسول الله ﷺ راجعا إلى مكة حين يئس من خير تثقيف، حتى إذا كان بنخلة، قام من جوف الليل يصلي، فمر به نفر من الجن من أهل نصيبين فاستمعوا له وآمنوا به ثم ولوا إلى أهلهم منذرين وفيهم نزل قوله تعالى

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ [1]

ثم يصل ﷺ مكة ويدخلها في جوار المطعم به عدي وقد ازداد قومه عليه حنقا وغيظا وجرأة وتكذيبا وعنادا .

---

١ - سورة الأحقاف الآيات (٢٩/٣١).

٦ - شدة يوم الطائف :

كانت أيام الطائف وماحدث فيها من الرد القبيح من أشد الأيام على رسول الله ﷺ فقد روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبديالليل ابن عبد كلال فلم يجبني إلى ماأردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استَفِقْ إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك، ومارددوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال: فناداني ملك الجبال وسلّم عليّ، ثم قال يامحمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1] فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) .

٧ - دورس وعبـــر :

ا - أن الدعوة الإسلامية ليست حكراً على زمان أو في مكان، وإنما هي للناس كافة، وأن على الداعية المسلم إذا لقي إعراضا وصدوداً عن دعوته، أن يتحرك بها إلى مكان آخر عله يجد فيه النصير والمعين .

ب - أن مالقيه رسول الله ﷺ من أهل الطائف يمثل نوعا من أنواع الغطرسة والهمجية التي تسيطر على عقول زعامات الشرك. ورسول الله ﷺ لم يتوقع مثل هذه المقابلة لأن من عادة العرب إكرام الوافد

---

١ - الأخشبان : جبلا مكة : أبو قُبَيس ، والأحمر .

ورده بالحسنى، لكنه الحقد الذي أعمى أبصار زعماء الطائف فجعلهم يتناسون أعرافهم وتقاليدهم في استقبال الوافدين . ولا نستبعد أن تلك العقول قد عبئت مسبقا بخبر النبي ﷺ فكان من أمرها ماكان ، ولا نستبعد أن لقاءً أو أكثر قد تم بين زعماء الشرك عتبة بن ربيعة وأخوه شبية وهما من مكة ولهما بستان في الطائف وقد كانا فيه يوم حصل لرسول الله ﷺ ماحصل وبين زعماء ثقيف في الطائف الإخوة الثلاثة .

وهاهى الأنباء في العصر الحديث تنقل إلينا خبر التخطيط الدولي المتعدد الأطراف للتوصل إلى طريقة يحارب فيها الإسلام والمسلمون تحت شعار مكافحة الأصولية المتطرفة أو الصحوة الإسلامية التي باتت تهدد كيان الظالمين وتقض مضاجعهم .

أن في موقف زيد بن حارثة وهو يتلقى الحجارة بنفسه عن رسول الله ﷺ ويتعرض إلى الجراح والشجاج في رأسه وجسمه دلالة على مقدار حب أصحاب محمد لمحمد ﷺ ، وعلى الحال التي ينبغي أن يكون عليها الجندي مع قائده وهى حال البذل والتضحية والفداء .

هذا ما أدركه عروة بن مسعود وهو يفاوض رسول الله ﷺ في صلح الحديبية مما جعله يقول: والله مارأيت أحداً يحب أحداً كما يحب أصحاب محمد محمداً ﷺ .

في مثل هذه الأوقات العصيبة التي مر بها رسول الله ﷺ يحتاج المرء إلى مايكشف غمه ويزيل همه، فتكون قصة عداس ومافعله من تقبيل لرأس رسول الله ﷺ ويديه وقدميه بمثابة البلسم الذي يشفي الجراح ويبعث الأمل بشعاع من نور ينبثق من وسط الظلام .

وفي حادثة استماع الجن وإيمانهم برسول الله وعودتهم إلى قومهم منذرين مايطمئن فؤاد محمد ﷺ ويقول له: يامحمد إن كان عالم الإنس قد كذبك وجفاك، فها هو عالم الجن يؤمن بك ويستجيب لندائك . إنه التكريم الرباني الذي يظهر من خلاله فضل محمد ﷺ ومقامه إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (١)

إن أيام الطائف كانت شديدة الوقع على رسول الله ﷺ عَبَّرَ عنها ﷺ في الحديث الذي رواه الشيخان وتأثرت لها ملائكة السماء فنزلت تحمل أمر ربها سبحانه وتعالى لتكون رهن إشارة صَفِيِّةِ ﷺ بأن تطبق الجبال على رؤوس الكفر والكافين، فيكون جواب النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يُشْرِكُ به شيئا .

ما أكرم الرسول وما أحْلَمَهُ وما أكثر عفوه وما أصبره على تحمل الأذى وما أجدر السائرين على نهجه أن ينظروا في سيرته مرة تلو المرة ليتعلموا دروس الصبر والبذل والعطاء والحلم والعفو وتحمل البلاء خلال المسيرة الطويلة في وقت خيم فيه الكفر على أرجاء المعمورة .. وتتحقق نُبُوءَةُ رسول الله ﷺ ويخرج من أصلاب الكافرين خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما من قادة الفتح الإسلامي .

النشـــاط :

عد إلى كتاب رجال حول الرسول لخالد محمد خالد واستعن به في دراسة شخصية الصحابي زيد بن حارثة واكتب ملخصا لذلك بأسلوبك.

---

١ - سورة ق آية (٣٧).

الإســـــراء والمعـــراج

عناصر الدرس :

١ - متى وقعت حادثة الإسراء والمعراج ؟ .
٢ - تسجيل القرآن الكريم لحادثة الإسراء والمعراج.
٣ - وصف موجز لحادثة الإسراء والمعراج.
٤ - موقف قريش من الحادثة.
٥ - دروس وعبر.

١ - متى وقعت حادثة الإسراج والمعراج ؟ :

حادثة الإسراء والمعراج ثابتة بالكتاب والسنة وإن كان علماء السيرة قد اختلفوا في تعيين الوقت الذي حصلت فيه هذه المعجزة فإن الذي عليه الجمهور أنها قد حصلت بعد ذهاب الرسول ﷺ إلى الطائف وردهم له ذلك الرد المنكر .

فقد روى البيهقي عن ابن شهاب الزهري أن الإسراء كان قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة بسنة ، وذكر ابن سعد في طبقاته أن الإسراء كان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً وأما السدي فقد ذهب إلى أن الإسراء كان قبل هجرة الرسول ﷺ بستة عشر شهرا .

وأما ماجرى عليه الناس اليوم من أن الإسراء كان في السابع والعشرين من رجب فقد قال فيه ابن كثير (وقد اختاره الحافظ ابن سرور المقدسي وقد أورد حديثا لايصح سنده) .

يقول الشيخ أبو زهرة في كتابه خاتم النبيين : «وقد وجدنا الناس قبلوا ذلك التاريخ أي أن الإسراء كان في السابع والعشرين من رجب أو تلقوه

بالقبول ، وما يتلقاه الناس بالقبول ليس لنا أن نرده بل نقبله من غير قطع ومن غير جزم ويقين» .

٢ - تسجيل القرآن الكريم لحادثة الإسراء والمعراج :

تحدث القرآن الكريم عن معجزة الإسراء والمعراج في سورتين من سوره، تحدث في سورة الإسراء حيث جاء قوله تعالى : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ (١)

وتحدث القرآن الكريم عن المعراج في سورة النجم وذلك في قوله تعالى

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ
نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾
إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ
مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ (٢)

ولقد قرر المفسرون أن هذه الآيات نزلت في المعراج .

---

١ - سورة الإسراء آية (١). ٢ - سورة النجم الآيات (١ /١٨).

٣ - وصف موجز لحادثة الإسراج والمعراج :

من خلال الروايات التي ذكرت حادثة الإسراء والمعراج فإنه يمكننا إجمالها على النحو التالي :

١ - أن رسول الله ﷺ قد أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً البراق يصحبة جبريل عليه السلام .

٢ - أنه عرج به ﷺ في الليلة نفسها إلى السموات الْعُلَى وفي طريقه ﷺ رأى آدم عليه السلام في السماء الدنيا ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام في السماء الثانية ويونس عليه السلام في السماء الثالثة وإدريس عليه السلام في السماء الرابعة ، وهارون عليه السلام في السماء الخامسة وموسى عليه السلام في السماء السادسة فلما جاوزه بكى سَيدنا موسى فقيل له مايبكيك فقال أبكي لأن غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي .

ثم عرج به ﷺ إلى السماء السابعة فلقي سيدنا إبراهيم (أبوالأنبياء) عليهم الصلاة والسلام وبعدها عرج به إلى سدرة المنتهى ثم رفع إلى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يقول ﷺ: ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن، فقال، يعني جبريل: هى الفطرة التي أنت عليها وأمتك، ثم فرضت علىّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررتُ على موسى فقال: بِمَ أمرت؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال: إن أمتك لاتستطيع خمسين صلاة وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارْجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنّي عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً ،

فرجعت فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم. قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي .

وأما إمامته ﷺ للأنبياء ليلة الإسراء والمعراج فقد اتفق العلماء عليها، والذي رجحه ابن كثير أنها كانت بعد نزوله ﷺ من السموات العلى وفي ذلك يقول: وهبط رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تكريما له وتعظيما عند رجوعه من السماء كما هى عادة الوافدين ، لايجتمعون بأحد قبل الذين طلبوه إليه ، ولهذا كان كُـلَّـمَـا سأل على واحد منهم يقول له جبريل هذا فلان فسلم عليه، فلو كان قد اجتمع بهم قبل صعوده ماحتاج إلى تعرفه بهم مرة ثانية ومما يدل على ذلك أنه قال عليه الصلاة والسلام: (فلما جاءت الصلاة أممتهم) و لم يجيء وقت إذ ذاك إلا صلاة الفجر ، فتقدمهم إماما بهم عن أمر جبريل فيما يرويه عن ربه عز وجل) .

٤ - موقف قريش من الحادثة :

شيء بَـدَهِـيّ أن يكون موقف قريش من حادثة الإسراء والمعراج موقف الجحود والتكذيب والنكران ، وهذا ماحصل بالفعل فحينما عاد محمد ﷺ من ليلته تلك إلى مكة المكرمة قام في الصباح يحدث الناس بما حصل معه فاستقبلوه مابين مُصَفِّرٍ ومصفق استعزابا للخبر واستبعادا له، وهم الذين كما قالوا يضربون آباط الإبل إلى بلاد الشام شهرا غُدُوًّاً وشهراً رواحا . ويسرع

بعضهم إلى أبي بكر الصديق في محاولة للإيقاع بينه وبين رسول الله ﷺ ويقولون له: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسْرِيَ به الليلة إلى بيت المقدس؟ فقال: أَوَ قَالَ ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قالها فقد صدق إني لأصَدِّقُه بماهو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة .

وتتعسف قريش في أمرها وتحاول إيقاع الرسول ﷺ في مأزق وحرج فتطلب منه أن يصف لها بيت المقدس ، وهنا تتدخل العناية الإلهية فيجلّى بيت المقدس له، وفي هذا يقول ﷺ: (لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلّى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)[1] .

وكان رسول الله ﷺ كلما أجابهم عن شيء قال أبو بكر صدقت فَسُمِّيَ الصديق من يومها .

وزيادة في تطمين قريش وإظهار صدقه ﷺ قال لهم ﷺ، كما ورد في سيرة ابن كثير: وآية ذلك أنني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فأنفرهم حسّ الدابة فنَدّ لهم بعير قَدَلَلْتُهُم عليه ، وأنا متوجه إلى الشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجفان ــ جبل في تهامة ــ مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء ، فكشفت غطاءه وشربت مافيه ، ثم غطيت عليه كما كان ، وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء ، يقدمها جبل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى بيضاء، فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل الأورق الذي وصف لهم، وسألوهم عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر صلوات الله وسلامه عليه .

---

١ - صحيح مسلم شرح النووي ٢/٢٢٠.

٥ - دورس وعبر من حادثة الإسراء والمعراج :

لحكمة ما كان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فكان الربط بين المسجدين في آية واحدة، ولحكمة أرادها الله وكان عروجه ﷺ إلى السموات العُلَى وكانت إمامته بالأنبياء في المسجد الأقصى . علم الله أن المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله سيكون منطقة صراع وأن أعداء الله من يهود سَيُسَيْطرون عليه ويعيثون فيه فسادا، وعلم الله أن تقصيرا في الدفاع عنه سيقع من أبناء هذه الأمة، ولذلك أراد الله سبحانه أن يشد انتباه المسلمين في كل زمان ومكان من خلال آية تتلى إلى أن يرث الله الأرض وما عليها إلى أن حرمة المسجد الأقصى لاتقل عن حرمة بيت الله الحرام وأن التفريط في المسجد الأقصى هو تفريط في بيت الله الحرام فمتى يعقل المسلمون حقيقة الخطر الداهم ؟!

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي:

اشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية على معان دقيقة كثيرة وإشارات حكيمة بعيدة المدى ، فقد ضمت قصة الإسراء ، وأعلنت السورتان الكريمتان اللتان نزلتا في شأنه وتسميان سورة الإسراء وسورة النجم أن محمدا ﷺ هو نبي القبلتين وإمام المشرقين والمغربين ، ووارث الأنبياء قبله وإمام الأجيال بعده فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكة بالقدس، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى وصلى الأنبياء خلفه ، فكان هذا إيذانا بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانية تعاليمه ، وصلاحيتها لاختلاف المكان والزمان ، وأفادت هذه السورة الكريمة تعيين شخصية النبي ﷺ ووصف إمامته وقيادته ، وتحديد مكانة الأمة التي بعث فيها وآمنت به، وبيان رسالتها ودورها الذي ستمثله في العالم .

النشاط :

١ - ارجع إلى صحيح الإمام مسلم واستخرج الأحاديث التي تناولت معجزة الإسراء والمعراج وقف عند العبر التي تدل عليها هذه المعجزة الكبرى .

٢ - ارجع إلى سيرة ابن هشام واستخرج موقف أبي جهل وماذا فعل حينما سمع خبر الإسراء والمعراج وقارن ذلك كله بموقف المستشرقين المتعصبين من هذه الحادثة ؟

نظرة تحليلية لطبيعة العهد المكي

عناصر الدرس :

١ - مفهوم الجهاد.
٢ - جهاد المسلمين في مكة.
٣ - إعداد وتربية وصبر على البلاء.
٤ - التزام بالمنهج التربوي.
٥ - انفعالات محدودة.

١ - مفهوم الجهاد :

الجهاد بمفهومه الواسع هو كما قال ابن عباس رضي الله عنهما استفراغ الطاقة وأن لايخاف لومة لائم ، وكما قال مقاتل : اعملوا لله حق عمله، واعبدوه حق عبادته، وكما قال ابن المبارك، هو مجاهدة النفس والهوى. والجهاد بمفهومه الخاص : حمل السلاح في سبيل الله بالقتال . وهذه الصورة إحدى صور الجهاد .

٢ - جهاد المسلمين في مكة :

كان المسلمون في مكة مأمورين بالجهاد بمفهومه العام ، وكانوا ممنوعين من الجهاد المسلح والقتال، وقد أشار الله سبحانه إلى طرف من هذه القضية بوضوح في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[٢] ولهذا حينما طلب أهل بيعة العقبة الكبرى من رسول الله ﷺ

١ - معظم هذا الدرس مأخوذ من كتاب (شعاع من السيرة).
٢ - سورة النساء آية (٧٧).

أن يميلوا على المشركين . وضح لهم بصريح العبارة عدم مشروعية ذلك ، يَرْوِي ابن إسحاق عن الزهري قال: (حدثني معبد بن كعب بن مالك فحدثني في حديثه عن أخيه عبدالله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك قال ، ثم قال رسول الله ﷺ : ارفَضوّا إلى رحالكم، فقال له العباس بن عبادة بن فضلة : والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلَنَّ على أهل منى غداً بأسيافنا، قال : فقال رسول الله ﷺ: لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم .

٣ - إعداد وتربية وصبر على البلاء :

تميزت الفترة المكية بتربية المسلمين على الولاء وحده والخروج من الجاهلية عقيدة وفكرا وسلوكا وارتباطا، وتربيتهم على الصبر ومجاهدة النفس والهوى ، والثبات في المعركة في ميدان النفس، وفي ميادين الجهاد بالصبر على الإيذاء والاضطهاد في سبيل الله ومجاهدة الكافرين بالكلمة والبيان ، والحجة واللسان وتبليغ القرآن كما قال تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ (١)

وهاهم أصحاب رسول الله ﷺ يلقون الأذى والتعذيب ولكنهم يواجهون الأمر بصبر وأناة والتزام بمنهج الإسلام ، وأوامر الرسول ﷺ دونما انفعال عاطفي ، ولاتهور ، دلك أن أشد الناس حماسة واندفاعا وتهورا هم أشد الناس جزعا وانهياراً وهزيمة عندما يجد الجد ، ذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالبا ماتكون منبعثة من عدم التقدير لحقيقة التكاليف لا عن شجاعة واحتمال وإصرار .

وهاهو رسول الله ﷺ يضرب المثل الأعلى في الصبر والاحتمال والمواساة والتطمين لأصحابه والتثبيت للمستضعفين منهم ، إذ يرفع في نفوسهم من

---

١ - سورة الفرقان آية (٥٢).

مستوى التضحية والتحمل ، ذلك أن القضية ليست في سلامة جسد مسلم أو عافية مجموعة ، وإنما هى إقرار عقيدة وتصور ناضج ، ومستقبل دين على وجه الأرض ، فيمر الرسول ﷺ على آل ياسر وهم يعذبون فيقول : صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

وتربية المسلمين على هذا الهدف الأكبر مع تجلية هذا الهدف وهو الجنة أمر تتميز به التربية الإسلامية عن المناهج الأرضية محدودة الأهداف .

٤ - التزام بالمنهج التربوي :

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يلتزمون هذا المنهج ويعيشون حالة الضبط والالتزام ، مع أنهم كانزا قادرين أفرادا ، على إيقاع الأذى بالجاهلية أفرادا وزعامات ومصالح اقتصادية فلم يكن أمية بن خلف عدو الله وهو يضطهد بلالا ويعذبه ، بمنأى عن أن تطوله يد بلال في ليل أو نهارٍ في غفلة أو صحوة ، فلقد كان عبدا لديه ويعيش عنده ، ولقد كان الجاهليون يمطلون المسلمين حقوقهم ومع ذلك فلم تؤثر للمسلمين مخاطرة فردية وانفعال عاطفي متهور ، أو نهب لمصالح المجتمع الجاهلي ، رغم مالحق به من جوع في أزمة المقاطعة العامة مع أنها كانت في منتهى القسوة واللا إنسانية والظلم والجوع كفيلان بأن يحطما القيود والأغلال ، ولكن صاحب الدعوة يلتزم أوامر ربه وتعاليم رسوله ، وتعليمات قيادته ، يذيب شخصيته في شخصية الجماعة المسلمة أو يوقن أن تصرفه ماعاد تصرفا فرديا ، وإنما يحسن مصالح الدعوة وجوهر الدين وسياسية الجماعة .

٥ - انفعالات محدودة :

تروي لنا كتب السيرة بعض الانفعالات من أصحاب رسول الله ﷺ لشدة مايقع بهم من اضطهاد وأذى وتعذيب ، وقد أخذت هذه الانفعالات أشكالا مختلفة ، فهاهو سعد بن أبي وقاص يضرب أحد المشركين بعظم بعير فيشج رأسه، وهاهو خباب يؤدي به انفعاله إلى الذهاب إلى رسول الله ﷺ مشتكيا ، يارسول الله ألا تدعو لنا؟ فيجيبه رسول الله ﷺ بما عرفناه من قبل ، لقد كان من قبلكم يمشط بمشاط الحديد مادون عظمه من لحم أو عصب مايصرفه ذلك عن دينه ..الخ وهاهو عمر بن الخطاب تأبى عليه نفسه أن يهاجر مختفيا فيعلن هجرته على الملأ من قريش ويهدد ويتحدى من يلحق به .

وعلى كل فهي انفعالات محدودة وهى من طبيعة البشر ولا مناص منها في كل مرحلة من المراحل .

وباختصار فإن المرحلة المكية التي عاشها المسلمون بقيادة رسول الله ﷺ تمثل مرحلة التأسيس لهذا الدين ، وإقامة أركانه كما أنها تمثل الثبات على المبدأ والعقيدة ، وعدم الخضوع للمساومات والإغراءات والتهديدات وصيحات التحذير التي كانت تطلقها قريش بين الحين والآخر ، ومن ناحية أخرى ، فإن هذه الفترة تمثل استكبار المشركين وعنادهم وغطرستهم ومحاولاتهم المستمرة داخل مكة وخارجها للقضاء على الإسلام في مهده والحيلولة بينه وبين الانتشار ، وتمثل تعاليهم عن اتباع الحق ، رغم وضوح الرؤيا وسطوع البرهان وقوة الحجة ، وتمثل حقيقة التناقُض الذي كان المشركون يعيشونه والذي هو من سمات الجاهلية حينما وجد الإعراض عن منهج الله .

النشـــاط :

- أبو جهل شخصية كافرة استعلائية هى رمز للجاهلية. كيف يتجلى لك ذلك من خلال بعض الوقائع المعروفة ؟

الوحـــدة الخامســـة

الهجرة إلى المدينة

١ – بين يدي الهجرة (١).
٢ – بين يدي الهجرة (٢).
٣ – طلائع الهجرة إلى المدينة.
٤ – هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

بين يـــدي الهجـرة

عناصر الدرس :

١ - عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل.
٢ - بدء إسلام الأنصار.
٣ - بيعة العقبة الأولى.
٤ - إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة.
٥ - نجاح الداعية وإسلام سيدي بني عبد الأشهل.

١ - عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل :

بعد عودته ﷺ من الطائف استمر في عرض نفسه على قبائل العرب في المواسم، يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام وكان ﷺ لايسمع بقادم يقدم مكة له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ماعنده .

٢ - بدء إسلام الأنصار :

في موسم الحج للعام الحادي عشر من البعثة وبينما كان ﷺ يعرض نفسه على القبائل وبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أحد موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلاتجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا، فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن .

وكانت يهود في المدينة تهدد أهلها من الأوس والخزرج بظهور نبي في هذا الزمان وأنهم سيتبعونه ويقتلونهم قتل عاد وإرم وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (١)

فلما كلم رسول الله ﷺ النفر من الخزرج قال بعضهم لبعض: ياقوم تعلمون والله أنه النبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ماعرض عليهم من الإسلام . وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولاقوم بينهم من العداوة والشر مابينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وكانوا ستة نفر منهم جابر بن عبدالله ، وأسعد بن زاررة وعوف بن الحارث ورافع بن مالك بن العجلان .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ .

٣ - بيعة العقبة الأولى :

في العام الذي تلا ذلك العام قدم الموسم من الأنصار اثنى عشر رجلا، فلقوا رسول الله ﷺ وبايعوه بيعة العقبة الأولى التي أطلق عليها فيما بعد بيعة النساء لأن القتال لم يفرض بعد، وكان من المبايعين: عقبة بن عامر وأبو الهيثم بن التَّيِّهَان ، وعبادة بن الصامت الذي يقول كنت ممن حضر العقبة

---

١ - سورة البقرة آية (٨٩).

الأولى وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن تفرض الحرب على ألا نشرك بالله شيئا ولانسرق ولانزني ولانقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر .

٤ - إرسال مصعب بن عمير إلى المدينة :

لما عاد وفد بيعة العقبة الأولى أرسل رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، وقد نزل في المدينة على أبي أمامة أسعد بن زرارة، فكان مصعب يلقب بالمقرىء وكان أول سفير في الإسلام .

٥ - نجاح الداعية وإسلام سيدي بني الأشهل :

لم يذهب مصعب إلى المدينة لينال قسطا من الراحة ، وليكون بعيدا عن أعين قريش وإنما ذهب في مهمة جليلة ألا وهى مهمة الدعوة إلى الله والتبليغ برسالة الإسلام .

في الوقت الذي كان يلتقي فيه مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة بالمسلمين في حائط من حوائط المدينة يتهامس أسيد بن حضير وسعد بن معاذ ويبيتان شرا ويذهب أسيد نحو ذلك الحائط فلما رأه أسعد قال لمصعب هذا سيد قومه ، قد جاءك فاصدق الله فيه ، فلما وصل أسيد وهددهما بالكلام وتوعدهما قال له مصعب أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ماتكره. قال أنصفت .

ثم جلس وكلمه مصعب بالإسلام وتلا عليه من القرآن فتهلل وجهه وأشرق، وقال: ما أحسن هذا الكلام ثم شهد شهادة الحق وقال: إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، سعد بن معاذ، عاد أسيد إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما رآه سعد مقبلا رأى تغيرا في وجهه ثم قال له مافعلت، قال: كلمت الرجلين فوالله مارأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحفزوك[1] . فقام سعد غاضبا وخرج إلى أسعد ومصعب فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيد إنما أراد له أن يسمع منهما .

وحينما رآه أسعد بن زرارة قادما قال لمصعب جاءك والله سيد قومه إن يتبعك لايتخلف عنك منهم اثنان، فلما وصل قال له مصعب أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ماتكره، قال سعد أنصفت وجلس يستمع فعرض مصعب عليه الإسلام فأشرق وَجْهُهُ بالإسلام قبل أن ينطق به ثم شهد شهادة الحق .

رجع سعد بن معاذ إلى أهله فقال لهم: يابني عبدالأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيا. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تُؤمنوا بالله ورسوله فما أمسى المساء إلا ورجال بني عبد الأشهل ونسائهم قد أسلموا .

فرجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة يدعوان الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

---

١ - الإخفار : نقض العهد والغدر .

النشـــاط :

١ - صف بأسلوبك حسن اختيار أساليب الدعوة، من خلال دراستك لشخصية الصحابي الجليل مصعب بن عمير ودوره في الدعوة الإسلامية.

بيـن يـدي الهجـرة

(٢)

عناصر الدرس :

١ - بيعة العقبة الثانية .

٢ - دروس وعبر.

١ - بيعة العقبة الثانية :

جاء في سيرة ابن كثير أن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لنبيه ، وإعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله .

وجاء في الخبر الذي يرويه كعب بن مالك أنه لما كان موعدنا مع رسول الله ﷺ نمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب[1] عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة وأسماء بنت عمرو .

يقول كعب: فلما اجتمعنا جاءنا رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا إنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه

---

١ - الشعب آلذي جرت فيه البيعه على مقربة من الجمرة الكبرى في منى

ويوثق له. ثم تكلم العباس فقال يامعشر الخزرج إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، فهو في عزة من قومة ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم قادرون على حمايته ومانعوه.. مِمّن خالفه فأنتم وماتحملتم، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه فدعوه .

قال كعب: فقلنا له قد سمعنا ماقلت فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ماأحببت فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام وقال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وآبناءكم .

فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله ﷺ وهو أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ وقال: نعم فوالذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[1] فبايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر .

وفي رواية أن أسعد بن زرارة أخذ بيد رسول الله ﷺ وقال رويدا ياأهل يثرب فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول وأن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وأن تَعُضَّكُمُ السيوف فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فبينوا ذلك، فهو أعذر لكم عند الله، فقالوا ياأسعد امطر عنابيدك فو الله لانذر هذه البيعة، فقمنا إليه رجلا رجلا فبايعناه .

وفي رواية لعبادة بن الصامت وهو ممن شهد البيعتين، إنا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن نقول في الله لاتأخذنا فيه

---

١ - أزرنا ــ نساءنا والعرب تكني بالإزار عن المرأة وتكني به عن النفس أيضا.

لومة لائم وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب مما نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبناءنا ولنا الجنة .

وجاء في بعض الروايات عند البيهقي أن الأنصار حينما اشترط رسول الله ﷺ عليهم لربه ولنفسه، قالوا له: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال لكم الجنة .

وبعد أخذ البيعة قال لهم رسول الله ﷺ: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا[1] يكونون على قومِهم بما فيهم، فأخرج الأنصار منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، ومن هؤلاء النقباء عبادة بن الصامت، البراء بن معرور ، رافع بن مالك ، أسعد بن زرارة، سعد بن عبادة، وأسيد بن حضير .

٢ - دروس وعبـــر :

ا - أن رسول الله ﷺ لم يتوقف عن الدعوة إلى الله، رغم وعورة الطريق بل بقي يبحث عمن يحمله ليبلغ دعوة الله ـــ وقد منعه قومه ـــ إلى أن تقدم الأنصار بهذا الخير ففازوا وسعدوا .

وهذا ماينبغي أن يكون شأن الدعاة استمرارية في الدعوة بلا ضجر ولا ملل، رغم كثرة المعوقات حتى يأذن الله بالفرج .

ب - أن في خروج الأنصار إلى الموسم مع أبناء قومهم من المشركين دون علم بهم ومن ثم قيامهم للبيعة ليلا والناس نيام، دليل على التخطيط السليم والسرية المنضبطة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولو أنهم خرجوا متميزين بإسلامهم لربما حيل بينهم وبين الوصول، ولربما عرضوا أنفسهم للأذى والمقاومة، خاصة وأن في المشركين الذين خرجوا من المدينة عبدالله بن أبيّ وكثير على شاكلته ، ولو أن البيعة تمت نهارا

---

١ - نقيبا : النقيب : شاهد القوم وَضَامنهم وعريفهم .

جهارا أمام أعين المشركين في الموسم، لربما كان فيها القضاء على المبايعين.

جـ - أن في تحرك مصعب بن عمير في الدعوة إلى الله في المدينة درس لكل الدعاة أن يكونوا جادّين في دعوتهم صادقين في توجههم إلى الله حتى تُؤتي الدعوة ثمارها .

وفي حديث مصعب مع أسيد بن حضير وسعد بن معاذ درس في أدب التخاطب مع سادة القوم، وقد لاحظنا أنهما بدءا بالهجوم والتهديد والوعيد فامتص مصعب غضبهما، بقول هادىء متزن لاانفعال فيه حيث خاطب كل واحد منهما بقوله أو تجلس فتسمع فإن كان ماسمعت خيرا أخذت به وقبلته، وإن كان الذي تكره صرفناه عنك .

د - أن إسلام رؤوس القوم وزعاماتهم ليس كإسلام الأفراد العاديين ، لأن الزعامات هي في حد ذاتها عقبات في الطريق، فإذا أسلمت زالت تلك العقبات، ومهد الطريق لإسلام أتباعهم لأن للزعامة كلمة مسموعة. وقد رأينا .. موقف سعد بن معاذ حينما خاطب قومه قائلا إن كلام رجالكم ونسائكم عَلَيَّ حرام إلا أن تتبعوا دين محمد صلى الله عليه وسلم فلم يأت المساء إلاَّ وبنو عبد الأشهل قد دخلوا في الإسلام رجالاً ونساء.

ترى هل كان يتم هذا الأمر وبهذه السرعة لو كان الذي أسلم فرد عادي من أفراد العشيرة ولم يكن سعد بن معاذ سيد قومه .

هـ - أن أمر البيعة كان واضحا حماية لرسول الله ﷺ بالنفس والمال وضريبتها كانت معروفة للأنصار الذين بايعوا أن تعضهم السيوف

وتعاديهم العرب، فالأمر إذن ليس هينا وليس سيرا في طريق معبّد إنما هو التضحية والسير في طريق محفوف بالمكاره وهكذا طريق الإسلام طريق واضح حيث كان المسلم يعلن إسلامه وهو يرى ويسمع مايصيب الذين سبقوه من أذى وفتنة وتعذيب واضطهاد .

وهذا ماينبغي أن يدركه الدعاة إلى الله في هذا العصر حتى لايكون هناك تقهقر أو تراجع وخاتمة المطاف هى قوله تعالى

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ (١)

و -· أن الأنصار حينما سألوا رسول الله ﷺ عند البيعة مالنا إن فعلنا ذلك؟ قال: لكم الجنة. فلم يعلق رسول الله ﷺ آمالهم بمطمع دنيوي زائل أمارة أو وزارة أو نحو ذلك لأن مثل هذا المطمع قد يتحقق وقد لايتحقق، وفي حالة عدم تحققه قد تنقض البيعة، لكنه وعدهم وعلق آمالهم بما عند الله، وماعند الله خير وأبقى .

وهكذا ينبغي أن يكون حال الدعاة، عمل في سبيل الله، ورغبة في الأجر من الله أنا لا أقاتل من أجل عمر وإنما أقاتل من أجل رب عمر .

---

١ - سورة غافر الآيات (٥١/٥٢).

النشـــاط :

١ - ارجع إلى سيرة ابن هشام واذكر أسماء عشرة من الذين شهدوا البيعة الثانية ثم اجمع الروايات التي تحدثت عن هذه البيعة؟ .

٢ - اختر شخصية من هؤلاء الصحابة الأجلاء المذكورين أعلاه ، وتحدث عنه تفصيلا .

طلائع الهجرة إلى المدينة

عناصر الدرس :

١ - الإذن بالهجرة إلى المدينة.
٢ - مضايقة المشركين للمهاجرين.
٣ - هجرة عمر بن الخطاب.

١ - الإذن بالهجرة إلى المدينة :

لما رجع أهل البيعة الثانية إلى المدينة، طابت نفس النبي ﷺ وقد جعل الله له منعة وقوما أهل حرب وعدة ونجدة ، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج فضيقوا على أصحابه ، ونالوا منهم مالم يكونوا ينالون من شتم وأذى فشكا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ فاستأذنوه في الهجرة، فقال (قد أريت دار هجرتكم أُرِيتُ سبخة ذات نخل بين لابتين، ثم فصّل القول بعد ذلك وهو فرح مسرور، يقول قد أخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها، وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال (رأيت في المنام أني مهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هى المدينة يثرب) [1]

فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويخرجون سراً، وكان أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ كما في طبقات ابن سعد وسيرة ابن إسحق — أبو سلمة بن عبد الأسد ثم قدم بعده عامر بن ربيعة ومعه امرأته، فكانت أول مهاجرة قدمت المدينة ، ثم قدم أصحاب رسول الله ﷺ أرسالا فنزلوا

١ - صحيح البخاري ٥/٧١.

على الأنصار في دورهم وكان سالم مولى أبي حذيفة يَؤُمُّ المهاجرين بقباء[1].

خرج المسلمون جميعا، ولم يبق بمكة منهم إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي أو مفتون محبوس أو مريض أو ضعيف عن الخروج.

٢ - مضايقة المشركين للمهاجرين :

ا - مضايقة أبي سلمة :

كان ممن هاجر أبو سلمة بن عبدالأسد، وكانت هجرته إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة، وكان قد قدم على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة فلما آذنه قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدنية. تقول زوجته: لما عزم أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة، فلما رأته رجال بني المغيرة قالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتك هذه علام نتركك تسير بها، فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني، فغضب بنو سلمة ، وقالوا لا والله لانترك ابننا عندها تقول أم سلمة. فتجاذبوا بُنَيّ سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وأخذه بنو سلمة وحبسني بنو المغيرة، وانطلق زوجي مهاجرا فَفُرِّقَ بيني وبين زوجي وبين ابني.

ب - هجرة أم سلمة :

تقول أم سلمة فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبا منها، حتى مر بي رجل من بني عمٍّ فرحمني لما رأى مابي، وقال لبني المغيرة ألا تخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها، فقالوا لها: الحقي بزوجك إن شئت، ثم رد علي ابني عند ذلك، فخرجت على بعير وابني في حجري أريد زوجي في المدينة ومامعي أحد من خلق الله .

---

١ - قباء : عند مدخل المدينة المنوّرة حَيْثُ بُنَي أول مسجد في الإسلام .

ولما وصست لتتبعه لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فسألني إلى أين؟ فقلت: إلى زوجي في المدينة، فقال أو معك أحد؟ قلت: لا والله إلا الله وبني هذا .

فقال عثمان: والله مالك من متروك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فوالله ماصحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ، ثم تنحى عني إلى شجرة فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه ثم استأخر عني وقال اركبي ، فإذا ركبت وساويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك حتى أقدمني المدينة فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعا إلى مكة .

تقول أم مسلمة: والله ماأعلم أهل ببيت في الإسلام أصابهم ماأصاب آل أبي سلمة ، ومارأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة .

جـ - مضايقة صهيب :

جاء في سيرة ابن هشام أن صهيبا حينما أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لايكون ذلك، فقال لهم صهيب: أرأيتهم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فإني جعلت لكم مالي فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: رَبِحَ صهيب ربح صهيب .

٣ - هجرة عمر بن الخطاب :

هاجر أصحاب رسول الله ﷺ سرا إلا ماكان من أمر عمر بن الخطاب

حيث كانت هجرته في العلن وقد روى علي بن أبي طالب أن عمر لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكّب قوسه وانتضى في يده أسهما واختصر غزقه ــ عصاه ــ ومضى قِبَلَ الكعبة، والملأ من قريش بفنائها فطاف في البيت سبعا متمكنا مطمئنا، ثم أتى المقام فصلى، ثم وقف فقال: (شاهت الوجوه لايرغم الله إلا هذه المعاطس ، ومن أراد أن يثكل أمه أو يؤتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي) .

قال علي فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين علمهم ماأرشدهم ثم مضى لوجهه .

وفي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب قد وصل المدينة في عشرين من الصحابة

النشـــــاط :

١ - حينما أصابت النخوة عثمان بن طلحة وأوصل أم سلمة الى حيث تريد، كان مشركا لكنه أسلم فيما بعد والمطلوب منك أن ترجع إلى كتاب الإصابة في أسماء الصحابة وتخرج ترجمة عثمان بن طلحة .

٢ - ما المعاني السامية التي تحملها ذكرى الهجرة ، اكتب صفحتين على الأكثر معددا هذه المعاني

تخصص مناقشة جماعية في الفصل لما كتبه الطلاب.

هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام

عناصر الدرس :

١ - رسول الله في انتظار الإذن بالهجرة.
٢ - تخوف قريش والمؤامرة الدنيئة.
٣ - الإذن بالهجرة ومظاهر الاستعداد.
٤ - خروج رسول الله ﷺ وإحباط كيد المشركين.
٥ - قريش تطلب رسول الله ﷺ وتعلن عن جائزة.
٦ - قدومه ﷺ المدينة.
٧ - دروس وعبر.

١ - رسول الله ﷺ في انتظار الإذن بالهجرة :

لما هاجر مَن هاجر إلى المدينة وتجهز أبو بكر للهجرة، قال له رسول الله ﷺ: (على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي) وفي رواية لاتعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه وعلف راحلتين عنده أربعة أشهر .

٢ - تخوف قريش والمؤامرة الدنيئة :

لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم وعرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا فيها منعة، خافوا خروج رسول الله ﷺ وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، اجتمعوا في دار الندوة وتدارسوا أمرهم، وقلبوا وجهات النظر، وتبادلوا الآراء حول قتل محمد ﷺ أو سجنه أو إخراجه، وأسفر اجتماعهم

عن مؤامرة دنيئة بشعة، وهى قتل رسول الله ﷺ، وتفصيل المؤامرة أن تختار قريش ساعدا من كل قبيلة وتضع سيفا في كل ساعد ليضرب رسول الله ﷺ ضربة رجل واحد فلا يستطيع بنو هاشم مقارعة القبائل ويكتفون بأخذ الدية ويتفق أزلام الشرك على ليلة لتنفذ المؤامرة .

٣ - الإذن لرسول الله ﷺ بالهجرة ومظاهر الاستعداد :

في وقت غير معتاد وفي هاجرة من النهار يطرق رسول الله ﷺ باب أبي بكر الصديق ويخبره بأن الله قد أذن له بالهجرة ، ويستأذن أبو بكر في الصحبة ويكون له ماأراد .

يقوم بيت أبي بكر بإعداد زاد السفر، وتشق أسماء بنت أبي بكر نطاقها لتوكيء جرابا من الطعام وتسمى من يومها بذات النطاقين .

وترسم الخطة فيطلب أبو بكر من ابنه عبدالله أن يأتي إلى الغار مساء يُخبر بما تتحدث به قريش وتكيد، ويطلب من مولاه وراعي غنمه عامر بن فهيرة أن يرعى قرب الغار لوظيفة مزدوجة حيث يشرب الرسول ﷺ وصاحبه من الألبان وتعفو الأغنام على آثار أقدام عبدالله ابن أبي بكر وهو يصعد إلى الغار وينزل منه .

ويتم استئجار دليل ماهر عبدالله بن أريقط يدلهم عبر الطريق، ومن ثم يطلب رسول الله ﷺ من علي أن ينام في فراشِه تلك الليلة تعمية على القوم، وإظهاراً لهم أن رسول الله ﷺ لازال في فراشه، ولكي يقوم علي برد الودائع التي في بيته ﷺ لأصحابها إذ أن أهل مكة كانوا إذا خافوا على أموالهم استودعوها رسول الله ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته .

٤ - خروج رسول الله ﷺ وإحباط كيد المشركين :

اجتمعت سيوف المشركين في الليلة التي تم عليها الاتفاق لتكون موعدا لتنفيذ الجريمة على باب رسول الله ﷺ تحيط بداره إحاطة السوار بالمعصم، وهنا يحبط الله مؤامرة قريش ويرد كيدهم في نحورهم، ويخرج رسول الله ﷺ يحمل في يده حفنة من التراب يرشها على رؤوس القوم، وهو يتلو قوله تعالى: يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إلى قوله: وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ [1] فلم يبق رأس إلا وقد أصابه من التراب وألقى الله عليهم سنة من النوم .

وينطلق الركب الذي يضم خير البرية ﷺ وصاحبه أبو بكر إلى حيث يكون غار ثور على بعد أميال من مكة باتجاه الطائف ويقيم فيه ثلاثا ريثما ينقطع الطلب ويأس المشركون .

ولقد كان هذا التحرك من رسول الله ﷺ باتجاه المدينة المنورة في شهر ربيع الأول من العام الرابع عشر من البعثة النبوية وصدق الله حيث يقول وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ [2]

٥ - قريش تطلب رسول الله ﷺ وتعلن عن جائزة :

لما خرج رسول الله ﷺ مهاجرا هاجت قريش هيجان الإبل وماجت كيف لا، والفرصة الثمينة في نظرهم قد ضاعت ، وذهب أبو جهل إلى بيت أبي بكر يسأل أسماء عن أبيها فتقول: لا أدري فيرفع يده وكان فاحشا خبيثا ويضرب أسماء على وجهها ضربة أطاحت قرطها .

---

١ - سورة يس الآيات (١/٩).
٢ - سورة الأنفال آية (٣٠).

وتعلن قريش عن جائزة سخية مائة ناقة لمن يأت بمحمد ﷺ ويعيده إلى مكة، ويطمع سراقة بن مالك فيركب فرسه ويتقلد سيفه وينطلق كالريح ويكاد يدرك رسول الله ﷺ حتى إذا كان على مقربة منه ساخت أقدام فرسه في الأرض ويدعو رسول الله أن يخلصه مما هو فيه على ألا يعاود الكرة فيفعل، لكنه يعود مرة ثانية فتسيخ أقدام فرسه ثم يقول يامحمد ادع الله أن يطلق فرسي وأرجع عنك وأرد من ورائي، ففعل رسول الله ﷺ ورجع سراقة فوجد الناس يلتمسون رسول الله ﷺ فصرف أنظارهم وقال لهم ارجعوا فإني قد استبرأت لكم الطريق .

٦ - قدومه ﷺ المدينة المنورة :

مضى رسول الله ﷺ في طريق الهجرة يقطع البيد والفيافي تحيطه عناية الله وترعاه بعد أن ودع مكة قائلاً والله إنك لأحب البلاد إليَّ ولولا أن أهلك أخرجوني ماخرجت .

ووصل إلى مشارف المدينة ــ قباء ــ حيث نزل على كلثوم بن الهدم وأسس فيها مسجد قباء الذي نزل فيه قوله تعالى:

لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ (١)

وبعد أيام من إقامته ﷺ تابع سيره باتجاه المدينة، راكبا ناقته القصواء والناس معه عن يمينه وعن شماله فاعترضه الأنصار لايمر بدار من دورهم إلا ويطلبوا منه أن ينزل حيث المنعة والقوة، فيقول: الرسول ﷺ خيرا، ويقول: دعوها فإنها مأمورة إلى أن بركت في الموضع الذي أقيم فيه المسجد النبوي ،، ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب الأنصاري .

١ - سورة التوبة آية (١٠٨).

وكان يوم قدومه ﷺ المدينة يوما مشهودا أضاءت له جنبات المدينة، ولم تر يوما خيرا منه. جاء في الحديث الصحيح عن البراء بن عازب: (.. ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله قد جاء) .

٧ - دورس وعبـــر :

ا - كانت الهجرة هي الفصل الأخير في المرحلة المكية، وكانت أول حدث سياسي في الإسلام، كما كانت معركة بدر أول حدث عسكري، ولأهميتها جعلها المسلمون بداية لتاريخهم .

وإن التمهيد للهجرة بإيجاد الملجأ الحصين والوطن الآمن في المدينة المنورة حيث القوة والمنعة، كان أخطر كسب حصل عليه الرسول ﷺ والمسلمون منذ بداية الدعوة، ولذلك فإن الهجرة كما يقول الغزالي لم تكن مخلصا من الفتنة والاستهزاء بل تعاونا على إقامة مجتمع جديد في بلد آمن .

ب - لحكمة أرادها الله تم اختيار المدينة لتكون دار الهجرة فأهلها أهل الحلقة والسلاح ورثوا الحروب كابرا عن كبار، وهم فرسانها وأهلها، هم أول من بايع على الحماية والتضحية والفداء فاستحقوا تشريفهم بهجرة الرسول ﷺ إلى بلدهم وحصنهم .

ثم إن المدينة حصن طبيعي فهي محاطة بحرتين تعرفان الآن بالحرّة الشرقية والحرة الغربية ، والحرة هى المكان المملوء بالصخور والحجارة بحيث لاتستطيع الجيوش السير فيها ، ومن الجنوب أشجار كثيفة تخترقها ممرات ضيقة لاتصلح لمرور جيش مهاجم، فهى إذن ليست مكشوفة إلا من جهة الشمال ، تلك الجهة التي حَفَر فيها رسول الله

ﷺ الخندق في غزو الأحزاب .

جـ - إن المطالع لهجرة الرسول ﷺ يدرك تماما جانب التخطيط والتنظيم وهذا يفيد أن أي عمل مهم لايمكن أن يتحقق له النجاح إذا لم يتوفر فيه هذان العنصران ، التخطيط والتنظيم وأن العفوية والارتجال لايولدان إلا تعثرا وفشلا في كثير من الأحيان .

فالصحابة كانوا يتواعدون فيما بينهم ويهاجرون سرا ويستعينون على ذلك بالكتمان .

ورسول الله ﷺ يتخذ من غار ثور مكانا يلجأ إليه ويقيم فيه ريثما يسكن الطلب ، ولو تابع السير على الفور لكشف ، ويطلب أبو بكر من ابنه أن يأتيه بخبر المشركين وعلى ضوء الخبر يكون التخطيط ، ويطلب من مولاه أن يمشي بغنمه حتى لاتستبين أقدام عبدالله وأسماء وهما يأتيان الغار فيكشف المكان .

ويسير رسول الله ﷺ في طريق باتجاه الساحل، وهو طريق لم تعهد قريش السير من خلاله إلى المدينة بعد أن استأجر الدليل الماهر صاحب الخبرة في الطرقات .

د - إن في الهجرة ردا على من يقول أن محمدا ﷺ يبغي مغنما مَـادِّيًّا وأن الجهاد إنما شرع لتحقيق مزيد من الكسب المادي . فأي مغنم يبتغيه الرسول ﷺ ومن معه وهم الذين تركوا المال والأهل والديار فرارا إلى الله بدينهم ، وعلى أي وجه تحمل بشرى رسول الله ﷺ لصهيب الذي تخلّى عن كل أمواله في سبيل الهجرة بقوله ربح صهيب ربح صهيب .

هـ - في بقاء علي كرم الله وجهه في بيت رسول الله ﷺ يرد الودائع إلى أصحابها دليل على مكابرة المشركين وعنادهم، رغم إدراك الحقيقة فها هم يعادون رسول الله ﷺ ويؤذونه ويتهمونه بالسحر والجنون فإذا جد الجد وبحثوا عن مكان يحفظون فيه المال والمتاع لم يجدوه إلا في بيت رسول الله ﷺ .

و - في خروجه ﷺ سالما من بيته وفي نجاته من مطاردة المشركين وماجرى لسراقة بن مالك، دليل على المعجزة الربانية التي حفظت هذا الدين بحفظ رسول الله ﷺ حتى يؤدي الرسالة ويبلغ الأمانة . فرسان مدججون بالسلاح يحيطون ببيت رسول الله ﷺ ويخرج من بينهم سالما، ورجل متقلد سيفه طامع في جائزة عظمى يصل إلى رسول الله ﷺ قاصدا قتله، وعلى بعد أمتار يمنع فلا يحس رسول الله ﷺ بسوء .

في حساب المادة جريمة القتل واقعة في الحالتين لكن عند الله غير هذا ، ألا إنها المعجزة التي لاتقبل تفسيرا ماديا .

ز - قد يتساءل المرء لِمَ هاجر رسول الله سرا؟ بينما هاجر عمر بن الخطاب علنا وعلى رؤوس الأشهاد ؟ يجيب على هذا السؤال الدكتور البوطي بقوله (إن عمل عمر بن الخطاب أو أي مسلم آخر غير رسول الله ﷺ يعتبر تصرفا شخصيا لا حجة تشريعية فيه، فله أن يتخير من الطرق والوسائل والأساليب مايحلو له ومايتفق مع قوة جرأته وإيمانه بالله تعالى .

أما رسول الله ﷺ فهو مشرع ، أي أن جميع تصرفاته المتعلقة بالدين تعتبر تشريعا لنا ، ولذلك كانت سنته التي هى المصدر الثاني من مصادر التشريع مجموع أقواله وأفعاله وصفاته وتقريره ، فلو أنه فعل كما فعل عمر بن الخطاب لحسب الناس أن هذا هو الواجب وأنه لا يجوز أخذ الحيطة والحذر والتخفيّ عند الخوف ، مع أن الله عز وجل أقام شريعته في هذه الدنيا على مقتضى الأسباب ومسبباتها وإن كان الواقع الذي لاشك فيه ، أن كل ذلك بتسبيب الله تعالى وإرادته .

النشـــاط :

١ - استخرج من كتب السيرة الحديث الذي دار بين زعماء المشركين في دار الندوة بشأن التآمر على رسول الله ﷺ ومنعه من الخروج ، وعلق على هذه الشخصيات وتصرفاتها .

٢ - برزت شخصية الصحابي الجليل أبي بكر بن أبي قحافة قبل الهجرة وأثناءها وبعدها .

صف بأسلوبك هذه الشخصية العظيمة .

الوحدة السادسة
المجتمع الإسلامي
«مرحلة التمكين للدولة المسلمة»

١ - أسس بناء المجتمع في المدينة
المسجد والمؤاخاة

٢ - أسس بناء المجتمع في المدينة
كتابة الوثيقة

أسس بناء المجتمع في المدينة
المسجد والمؤاخاة

عناصر الدرس :

١ - اختيار المكان وبداية البناء.
٢ - المشاركة في البناء.
٣ - مكونات البناء.
٤ - اتخاذ المنبر وحنين الجذع.
٥ - طبيعة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.
٦ - ذكر بعض من تمت المؤاخاة فيما بينهم.
٧ - كرم الأنصار ومدح الله تعالى لهم.
٨ - دروس وعبر.

١ - اختيار المكان وبداية البناء :

تحرك رسول الله ﷺ من قباء متوجهاً نحو المدينة، والرجال يحفونه من كل جانب ، وكان يقول للذي يحاول اعتراض سبيله من أجل النزول والمقام، دعوها وخلوا سبيلها فإنها مأمورة إشارة إلى ناقته القصواء .

ووصلت القصواء إلى حيث أراد الله لها فبركت، وكان المكان الذي بركت فيه في فناء أبي أيوب الأنصاري مربدا لغلامين يتيمين في حِجْرِ أسعد بن زرارة، وهما سهل وسهيل فساومهما رسول الله ﷺ فقالا: بل نهبه لك يارسول الله ، فأبى ﷺ أن يقبله هبة حتى ابتاعه، وكان في المكان قبور للمشركين ونخل وغرقد ، فأمر بالقبور فنبشت والنخل والشجر فقطعت

والأرض فسويت ، وبدأ البناء ، ثم بنى رسول الله ﷺ حول مسجده حُجَراً لتكون مساكن له ولأهله .

٢ - المشاركة في البناء :

شارك رسول الله ﷺ في بناء المسجد، وقام بنقل اللبن مع الصحابة، وهو يقول:

هذه الحمال لاحمال خيبر .. هذا أبر ربنا وأطهر

اللهم إن الأجر أجر الآخرة .. فارحم الأنصار والمهاجرة

اللهم لا خير إلا خير الآخرة .. فاغفر للأنصار والمهاجرة

وشارك الصحابة في بناء المسجد وهم يقولون:

لئن قعدنا والنبي يعمل .. لذاك منا العمل المضلل

٣ - مكونات البناء :

كانت جدران مسجده ﷺ من اللبن وأعمدته من خشب النخيل وسقفه من جريد النخل وأرضه من الرمال ، أما قبلة المسجد فكانت نحو بيت المقدس وبقيت كذلك إلى أن حولت بعد نزول قوله تعالى :

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ البقرة آية ١٤٤ .

٤ - اتخاذ المنبر وحنين الجذع :

لم يتخذ الرسول ﷺ في بداية الأمر منبرا يخطب عليه ، وإنما كان يتكىء على جذع من النخل ، فلما بني المنبر حَنّ الجذع إلى رسول الله ﷺ وسمع له صوتٌ كصوت العشار ، فقال النبي ﷺ : ألا تعجبون من حنين هذه الخشبة ؟ فأقبل الناس عليها فسمعوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم فنزل إليه

رسول الله ﷺ فضمه فسكن ، جاء في صحيح البخاري : كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه.

٥ - طبيعة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار وقال : تآخوا في الله أخوين أخوين ، فكانت مؤاخاة بين المهاجرين بعضهم لبعض وبين المهاجرين والأنصار ، آخى الرسول ﷺ بينهم على الحق والمؤاساة والتوارث فيما بينهم بعد الممات دون ذوي الأرحام . فلما كانت وقعة بدر وأنزل الله تعالى قوله وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ [1] انقطعت المؤاخاة في الميراث ورجع كل إنسان إلى نسبه وَوَرَثَتِهِ وذوي رحمه .

٦ - ذكر بعض من تمت المؤاخاة بينهم :

وكان أن آخى ﷺ بينه وبين علي بن أبي طالب، وبين حمزة وزيد بن حارثة ، وبين أبي بكر وخارجة بن زيد ، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت، وكانت مؤاخاة بين أبي حذيفة وعباد بن بشر ، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك وبين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، فعرض عليه سعد أن يناصفه أهله وماله، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلني على السوق ، فربح شيئا من أقط وسمن ثم تزوج ، فقال له الرسول ﷺ: (أوْ لِم وَلَوْ بشاة) . وإنْ عَجِبَ المرءُ بسماحة سعد وكرمه لا يَعْدِلُه إلا إعجابه بِنُبْلِ عبدالرحمن وعفة نفسه .

---

١ - سورة الأنفال آية (٧٥).

٧ - كرم الأنصار ومدح الله تعالى لهم :

آثر الأنصار المهاجرين في كل شيء وتلقوا مبدأ المؤاخاة برضى وسرور وطيب خاطر ، وقد ورد في بعض الروايات أن الرسول ﷺ قال لهم : إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم وقسمت لكم من الغنيمة كما قسمت لهم ، وإن شئتم كانت لهم الغنيمة ولكم دياركم وأموالكم، فقالوا بل تقسم لهم من أموالنا وديارنا ولا نشاركهم في الغنيمة ، فأنزل الله تعالى ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ .

وفي بيان كرم الأنصار وسخائهم على المهاجرين ، روى الإمام أحمد: قال المهاجرون: يارسول الله مارأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال : لا، ماأثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم . وفي بيان فضل الأنصار نتعبد الله بقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

٨ - دروس وعبـــر :

١ - إن مبادرة الرسول ﷺ لبناء المسجد فور وصوله المدينة المنورة ومبادرته إلى بناء مسجد قباء فور وصوله ، فيها دلالة على أهمية المسجد في الإسلام وأن للمسجد كما يقول الأستاذ السباعي رسالة اجتماعية وروحية عظيمة الشأن في حياة المسلمين ، فهو الذي يوحد صفوفهم

١ - سورة الحشر آية (٩).

ويهذب نفوسهم ، ويوقظ قلوبهم ، ويحل مشاكلهم ، وتظهر فيه قوتهم وتماسكهم .

ولقد أثبت تاريخ المسجد في الإسلام أنه منه انطلقت جحافل الجيوش الإسلامية لغمر الأرض بهداية الله .. وهل كان أبو بكر وعمر وعثمان وخالد وسعد وأبو عبيدة وأمثالهم من عظماء التاريخ الإسلامي إلا تلامذة المدرسة المحمدية التي كان مقرها المسجد النبوي .

من جانب المحراب يبدأ سيرنا للمجد لا من ظُلْمَةِ المأخور

ومن المسجد تنبعث كلمة الحق الأسبوعية مدوية على لسان خطيبه في إنكار منكر أو أمر بمعروف أو دعوة لحاضر أو إيقاظ من غفلة . أو دعوة إلى تجمع ، أو احتجاج على ظالم وتحذير لطاغيه .

وإذا كنا نرى تعطيلها فما ذلك إلا ذنب بعض الخطباء من الموظفين المرتزقة أو الجاهلين الغافلين ، ويوم يعتلى منابرها دعاة أشداء في الحق علماء بالشريعة ، مخلصون لله ، ولرسوله ناصحون لأئمة المسلمين وعامتهم يعود للمسجد في مجتمعنا الإسلامي مكان الصدارة . يقول الغزالي : إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي ، فهو ساحة للعبادة ، ومدرسة للعلم ، وندوة للأدب ، وقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هى لباب الإسلام، لكن الناس لما أعياهم بناء النفوس على الخلائق الجليلة استعاضوا عن ذلك ببناء المساجد السامقة تضم مصلين أقزاما، أما الأسلاف الكبار فقد انصرفوا عن زخرفة المساجد وتشييدها إلى تزكية أنفسهم وتقويمها، فكانوا أمثلة صحيحة في الإسلام .. والمسجد رمز لما يهتم به الإسلام أعظم اهتمام، وهو وصل العباد بربهم وصلا يتجدد مع الزمن ويتكرر آناء الليل والنهار ، فلا قيمة لحضارة تذهل عن الإله

الواحد ، وتجهل اليوم الآخر وتخلط المعروف بالمنكر .

ب – وأما مؤاخاته ﷺ بين المهاجرين والأنصار فيقول عنها الأستاذ السباعي إنها أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية الأخلاقية البناءة ، فالمهاجر من قوم تركوا في سبيل الله أموالهم وأراضيهم فجاءوا المدينة لايملكون من حطام الدنيا شيئا، والأنصار قوم أغنياء بزروعهم وأموالهم وصناعاتهم فليحمل الأخ أخاه ، وليقتسم معه سراء الحياة وضراءها ، وليعطه نصف ماله مادام غنيا عنه ، موفرا له فأي عدالة اجتماعية في الدنيا تعدل هذه الأخوة ؟!

إن الذين ينكرون أن يكون في الإسلام عدالة اجتماعية ، قوم لايريدون أن يبهر نور الإسلام أبصار الناس ، ويستولي على قلوبهم ، أو قوم جامدون يكرهون كل لفظ جديد ولو أحبه الناس ، وكان في الإسلام مدلوله ، وإلا فكيف تنكر العدالة الاجتماعية في الإسلام وفي تاريخه هذه المؤاخاة الفذة في التاريخ ، وهي التي عقدها صاحب الشريعة محمد ﷺ بنفسه ، وأقام على أساسها أول مجتمع ينشؤه وأول دولة يبنيها .

لقد أقام الرسول ﷺ مجتمع المدينة ـــ كما يقول الغزالي ـــ على الإخاء الكامل، الإخاء الذي تُمْحَى فيه كلمة (أنا) ويتحرك الفرد فيه بروح الجماعة ومصلحتها وآمالها ، فلا يرى لنفسه كيانا دونها ولا امتدادا إلا فيها .

ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية فلا حمية إلا للإسلام وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن ، فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه..

وقد جعل الرسول ﷺ هذه الأخوة عقدا نافذا لا لفظا فارغا ، وعملا يرتبط بالدماء والأموال لاتحية تثرثر بها الألسنة ولايقوم لها أثر .

النشـــاط :

١ - هل بقى للمسجد في العالم الإسلامي ذلك الدور الذي كان يؤديه زمن النبوة والخلفاء الراشدين ؟ ولم؟

أسس بناء المجتمع في المدينة

(٢)

كتابة الوثيقة

عناصر الدرس :

١ - مقتطفات من الوثيقة

٢ - دلالة الوثيقة

١ - مقتطفات من الوثيقة :

ما إن وصل رسول الله ﷺ المدينة المنورة وشعر بالراحة بعد بناء المسجد وبعد أن حصن الجبهة الاقتصادية الداخلية بالمؤاخاة التي عقدها بين المهاجرين والأنصار حتى شرع في كتابة أول وثيقة دستورية في تاريخ الدولة الإسلامية تنظم علاقة المسلمين بما بينهم من جانب ، وعلاقة المسلمين باليهود والمقيمين في المدينة من جانب آخر .

كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم واشترط لهم واشترط عليهم وإليك أبرز النقاط التي وردت في هذه الوثيقة :

* المؤمنون والمسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة .

* المؤمون المتقون على من بغى منهم أو ابتغى وسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو إفساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليهم جميعا ولو كان ولد أحدهم .
* لايقتل مؤمن مؤمنا في كافر ولاينصر كافرا على مؤمن .
* إن ذمة الله واحدة.يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .
* لايحل لمؤمن آمن بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولاٰيُؤوِيهِ وأنه من نصره أو والاه فإن عليه لعنة الله وعقابه يوم القيامة ولايؤخذ منه صرف ولا عدل .
* أنه لايجير مشرك مالا لقريش ولانفسا ولايحول دونه على مؤمن .
* أنه من تبعنا من يهود له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .
* اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .
* أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين .
* لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم ، فإنه لايهلك إلا نفسه وأهل بيته .
* أن ليهود بني النجار وبني الحارث بن ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وجفنة وبني الشطيبة مثل ماليهود بني عوف .
* أن بطانة يهود كأنفسهم .
* أن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصحية والْبِرّ دون الإثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم .
* أن الله على أتقى مافي هذه الصحيفة وأبرها .

* أنه لاتجار قريش ولا من نصرها.
* أن بينهم النصر على من دهم يثرب .
* أن من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم .
* أن الله جار لمن بَرّ وَاتَّقَى .

٢ - دلالات الوثيقـــة :

١ - هذه الوثيقة تعد أول وثيقة دستورية في تاريخ المسلمين وهي مظهر من مظاهر تنظيم الدولة في الإسلام وهي في حد ذاتها رد على الذين يفصلون بين الدين والدولة ويحاولون حصر الإسلام في زاوية المسجد .

يقول الدكتور البوطي :
ومن هنا تسقط دعاوَي أولئك الذين يغمضون أبصارهم وبصائرهم عن الحقيقة البدهية ، ثم يزعمون أن الإسلام ليس إلا دينا قوامه مابين الإنسان وربه ، أو ليس له من مقومات الدولة والتنظيم الدستوري شيء، وهي أحبولة عتيقة كان يقصد منها محترفو الغزو الفكري وَأَرِقَّاؤُهُ أن يقيدوا بها الإسلام كي لاينطلق فيعمل عمله في المجتمعات الإسلامية ، ولايصبح له شأن قد يتغلب به على المجتمعات المنحرفة الأخرى إذ الوسيلة إلى ذلك محصورة في أن يكون الإسلام دينا لا دولة وعبادات مجردة لا تشريعا وقوانين ، وحتى لو كان الإسلام دينا ودولة في الواقع فينبغي أن ينقلب فيصبح غير صالح لذلك ولو بأكاذيب القولِ .

٢ - وهذه الوثيقة ـــ كما يقول الغزالي ـــ تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة في ربوعها ، والضرب على أيدي

العادين وَمُدبِّري الفتن أيا كان دينهم وقد مضت بوضوح على أن حرية الدين مكفولة .

فليس هناك أَدْنَى تفكير في محاربة طائفة أو إكراه مستضعف بل تكاتفت العبارات في هذه المعاهدة على نصرة المظلوم ، وحماية الجار ورعاية الحقوق الخاصة والعامة .

٣ - إن الرسول ﷺ قد سن قوانين السماح والتجاوز التي لم تُعهد في عالم مليء بالتعصب ، والذي يظن أن الإسلام لايقبل جوار دين آخر ، وأن المسلمين قوم لايستريحون إلا إذا انفردوا في العالم بالبقاء والتسلط هو رجل مخطيء بل متحامل جريء .

النشـــاط :

١ - استخرج نص الوثيقة الكامل من سيرة ابن كثير ، وحلّلها.

٢ - من أجَلّ الصحابة ارتباطا بالرسول الكريم عبدالله بن مسعود .

ادرس شخصية هذا الصحابي الجليل مبينا دوره في الحياة الاسلامية.

الوحـدة السابعـة
الجهادُ والسَّرايَا

١ - الجهـاد
٢ - السرايا والبعوث
٣ - غزوة بدر الكبرى (١)
٤ - غزوة بدر الكبرى (٢)
٥ - غزوة أحد (١)
٦ - غزوة أحد (٢)
٧ - غزوة بني المصطلق
٨ - غزوة الأحزاب (١)
٩ - غزوة الأحزاب (٢)
١٠ - صلح الحديبية (١)
١١ - صلح الحديبية (٢)
١٢ - فتح مكة (١)
١٣ - فتح مكة (٢)
١٤ - غزوة حنين

« الجهـــاد »

عناصر الدرس :

١ - بين يدي مشروعية القتال .
٢ - مشروعية القتال .
٣ - أهداف الجهاد .
٤ - مفهوم الجهاد وفضله .
٥ - أسبابه ومبرراته .

١ - بين يدي مشروعية القتال :

كانت الهجرة فيصلا بين عهدين . عهد الحركة للإسلام المضطهدة، وعهد الدولة الناشئة . عهد الدعوة والصبر عليها ، والاضطهاد في سبيلها وعهد الاستقرار لدولة الدعوة وتثبيت أركانها والدفاع عن منجزاتها .

وقد مر بنا كيف دعا رسول الله ﷺ قريشاً بالحسنى والموعظة ، وكيف واجهته بالإعراض والصد عن دين الله ، وبالسخرية والاستهزاء ، ثم بالكذب والافتراء ، ثم بالمساومة ومحاولة الاحتواء فلما يئست من هذا كله ، سلكت طريق الفتنة والاضطهاد والأذى ، والمقاطعة والتجويع حتى هيأ الله لرسوله وللجماعة المسلمة دار الهجرة ونصرة الأنصار ، وقامت دولة الإسلام في المدينة ، وأرسى رسول الله ﷺ قواعدها على الأخوة ونظم علاقات المواطنين

القاطنين فيها ، وأصبح المسجد منطلق الدولة ومدرسة التربية . ولكن هل تتركه قريش التي أزعجتها هجرته ودولته . وهل سَيَسْكُتُ اليهود الذين يسكنون المدينة عن هذا الوضع الجديد الذي يهدد مصالحهم ويكشف ألاغيبهم ويوقف جشعهم واستغلالهم وتحكمهم باقتصاد العرب ؟

وبهذا وجد الرسول ﷺ نفسه وأصحابه ودولته مهددة بعدوين، قريش واليهود، ووجد أن الدعوة إلى الله أصبحت بحاجة إلى حماية المقاتلين ، وأن الصبر على الأذى والاضطهاد والفتنة قد أصبح لايكافىء المرحلة القادمة .

٢ - مشروعية القتال :

ولهذا فقد أذن الله تعالى للمسلمين بالقتال فقال سبحانه :

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ (الحج ٣٩-٤١) .

وبهذا فقد شرع الله للمسلمين القتال ، وقد كانوا يتمنونه من قبل ، وهو بمثابة رد للعدوان ، ووقف للاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له ، وإنهاء لمرحلة من الظلم لهم والإجحاف بحقوقهم ، وهو حماية لمستقبل دعوتهم وحرية نشرها وحماية الدولة التي تحملها . كما أنه تأمين لحرية الاعتقاد ، يختار في ظله الناس العقيدة التي يؤمنون بها حتى ولو كانوا يهوداً أو نصارى فهو تحقيق لمبدأ (لا إكراه في الدين) وقد وضحت الآية الكريمة مشروعية الجهاد، أهدافه ونتائجه .

٣ - أهداف الجهاد :

ا - نشر السمو الروحي في العالم، وعبادة الله وحده لاشريك له وذلك واضح من قوله تعالى: ﴿أقاموا الصلاة﴾ .

ب - نشر العدالة الاجتماعية بين الناس ، وتطبيق النظام الاقتصادي العادل فيما بينهم وذلك واضح من قوله تعالى ﴿وآتوا الزكاة﴾ .

جـ - الدعوة إلى الله سبحانه وتحقيق التعاون لخير المجتمع بنشر القيم الخلقية الفاضلة والنهي عن المنكرات والفساد ، وتطهير النفوس وتزكيتها ومحاربة الرذيلة والجريمة ، وذلك واضح من قوله تعالى ﴿وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ .

د - ردّ أمر الناس في شؤون حياتهم إلى الله سبحانه ، والحكم بما أنزل والعمل بما أمر ، وذلك واضح من قوله تعالى ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ .

٤ - مفهوم الجهاد وفضله :

وبهذا فمفهوم الجهاد، هو بذل الوسع والطاقة والجهد في سبيل تحقيق كلمة الله تعالى في الأرض بإعلاء سلطانه والدفاع عن حرية الإنسان وتحريره من طواغيت الأرض ومناهج البشر فالإيمان بالتوحيد جهاد، والعمل الصالح جهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد ، والصبر على أذى العدو جهاد.

والقتال في سبيل إقرار مبادىء الإسلام وحماية دولته جهاد .

ولذا فقد كان للجهاد مفهومان: أحدهما عام يشمل كل جهد لإقامة دين الله تعالى.

وثانيهما : خاص وهو حمل السلاح والقتال للأعداء في سبيل إقرار مبادىء الإسلام وتأمين حرية انتشاره والدعوة إليه ، والدفاع عن الأمة المسلمة .

ويقع هذا الجهاد في أعلى مبادىء الإسلام ، فهو كما قال عنه عليه الصلاة والسلام (الجهاد عمود الإسلام وذروة سنامه)[1] .

وقد بين الله تعالى فضله فقال: إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ (التوبة ١١١) .

وحرّض عليه المؤمنين فقال سبحانه:

ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (سورة التوبة آية ٤١) .

وحذر رسول الله ﷺ من ترك الأمة له ، لخطورة ما يحيط بهم من تآمر الأعداء عليهم فقال: (إذا تركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لاينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم)[2] .

٥ - أسبابه ومبرراته :

ومن هذا يتضح أن الجهاد ليس استعمارا للشعوب ولانهباً لخيراتها . ولكن له أسبابه ومبررات أهمها :

١ - دفع العدوان والظلم عن المسلمين كما قال تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ . وأعداء الأمة الذين يكفرون بالله ورسوله ، ويحاربون المسلمين لأنهم أصحاب عقيدة توحيد ، فكيف السبيل إلى رد أذى هؤلاء الأعداء إن لم نقابلهم بالقتال كما يقاتلوننا ؟!

---

١ ــ مسند الأمام أحمد. فتح الرباني ٨/١٣ .

٢ ــ رواه أبو دواد في السنن .

ب - تحرير ديار المسلمين والعودة إليها ، لأن الأعداء يغتصبون أرض المسلمين وديارهم . ويخرجونهم منها بالطرد والإهانة والتشريد ، ولا طريق لاسترداد الأرض وعودة أصحابها إليها ، وتطهيرها من الفساد والإفساد ، وإقامة شرع الله فيها إلا بالقتال .

جـ - تحرير البشر من الطاغوت ، فالإسلام دين الله تعالى للناس كافة ، ولابد أن يحمل دعوته المسلمون للناس ، وقوى الشر والبغي والعدوان من حكام البشر وطواغيتهم ، يقفون سداً منيعاً في وجه كلمة الخير لشعوبهم . ولا سبيل إلى وصول كلمة الله إلى خلق الله إلا بالقتال الذي يكسر شوكة الطاغوت ، ويبيد جيوش الكفر والظلام، ويحرر العباد من عبادة البشر وطغيانهم إلى حرية الاعتقاد وعبادة الله وحده لاشريك له . ولهذه الأسباب والمبررات كلها شرع الجهاد .

النشـــاط :

١ - يدعي بعض المستشرقين أن الإسلام انتشر بالسيف وهم يعنون (القوة) انقد هذا الرأي.

السرايـــا والبعـــوث

عناصر الدرس :

١ - بين يدي السرايا .
٢ - مفهوم السرايا .
٣ - أهداف السرايا .
٤ - سرايا قبل غزوة بدر الكبرى .
٥ - المهاجرون دون الأنصار في السرايا الأولى .

١ - بين يدي السرايا :

أكمل النبي ﷺ بناء دولة الإسلام . وظهر واضحاً أن قريشا قد أصبحت العدو اللدود للإسلام وأهله . وأنها لن تترك عداءها للإسلام ودولته . فأخذت تهدد أهل المدينة ـــ الأنصار ـــ لإيوائهم للرسول ﷺ وللمهاجرين . كما حاول زعماء قريش إذكاء نار العداوة بين المهاجرين والأنصار فكتبوا إلى رأس النفاق عبدالله بن أُبَيّ ابن سلول يحرضونه على إثارة الفتنة بين المسلمين . ولذا لما بلغ النبي ﷺ خبر فتنة بين المسلمين حذرهم من الاستجابة لسياسة قريش فقال : (لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ماكانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم . وإخوانكم ، فلما سمعوا بذلك تفرقوا)[1] .

كما كانت المدينة تضم مشركين مازالوا على شركهم ، وهؤلاء يتربصون بالإسلام وأهله الفرصة السانحة . ومن هؤلاء من أظهر الإسلام وأبطن الكفر وشكل ظاهرة خطيرة في المجتمع الإسلامي في المدينة وهى ظاهر النفاق .

---

١ - سنن أبي داود. خبر بني النضير.

والمنافقون أعداء داخل الصف المسلم ولهم خطورة عظيمة .

أما خارج المدينة فيقيم أعراب مشركون ، وقبائل متناثرة ، تعيش على النهب والسلب ، والإفادة من طرق التجارة وقوافل التجار ، كل مايهمها مصالحها وأرزاقها .

وهناك خطر حقيقي على الإسلام والمسلمين ، وهو الخطر اليهودي في المدينة بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . وقد أُسقط في أيديهم بالهجرة النبوية وقيام الدولة الإسلامية ، فحسدوا الإسلام وحقدوا على الرسول والمسلمين ، وكانت لهم صلات وثيقة مع المنافقين، كما كانوا يتحينون الفرص لإثارة الفتن بين الأوس والخزرج ، بإثارة النعرات بينهم ، وتذكيرهم بما كان بينهم من حروب طاحنة .

كل هذه التحديات جعلت المسلمين في وضع يتمنون فيه أن يأذن الله تعالى لهم بالجهاد ـــ القتال ـــ إذ كانوا ممنوعين منه في مكة . فنزل قول الله تعالى على رسوله ﷺ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ (سورة الحج آية ٣٩) .

فشرع النبي ﷺ بعدها بتجهيز السرايا .

٢ – مفهوم السرايا :

السرايا جمع سرية وهى دورية مؤلفة من مجموعة من المقاتلين ، لها أهداف استطلاعية أو قتالية محدودة وتختلف عن الغزوة في أمرين :

أولهما : السرية أقل عدداً وعدة من الغزوة لأنها دورية استطلاعية أو قتالية محدودة الهدف . بينما الغزوة أكثر عدداً وعدة لأنها تنتهي إلى معركة ، وهى أساسا قد أعدت لذلك .

ثانيهما : اصطلح كتاب المغازي والسير من علمائنا أن كل بعث خرج فيه النبي ﷺ يسمى غزوة ، وأن كل بعث لم يخرج فيه يسمى سرية .

٣ - أهداف السرايا :

للسرايا أهداف عامة ، فهي جزء من الحياة الجهادية للرسول ﷺ وأصحابه ، فهى تسهم في نشر الدعوة الإسلامية ، كما أنها جزء من التحضير للمعارك الكبرى كما أن لكل سرية أهدافا محددة . ونقتصر على ذكر بعض أهداف السرايا الأولى قبل غزوة بدر وهي :

ا - تهديد قريش في تجارتها ، وقطع الطريق عليها إلى الشام وقريش تعتمد على التجارة في حياتها ، فضرب اقتصادها يضعفها . وأخذ أموالها حق مشروع للمسلمين الذين أخرجوا مكرهين من ديارهم ، واستعادة أموالهم يعين المسلمين ويضعف عدوهم .

ب - تخويف قريش باستعراض المسلمين لقوتهم وتحديهم لعدوهم مما يرفع من معنويات المسلمين ، ويحول دون تفكير قريش في ملاحقة المسلمين في المدينة ، أو التفكير بغزوها .

جـ - تهديد المشركين داخل المدينة وإرهاب المنافقين واليهود ، بحيث يحبط كيدهم وتفكيرهم في إثارة الفتن بين المسلمين .

د - تأمين حدود المدينة وماحولها من تهديد القبائل والأعراب وتأديب هذه الفئات المرتزقة ، كي لاتفكر في غزو المدينة ونهب خيراتها .

هـ - ربط القبائل والأعراب في طريق التجارة بمعاهدات أمان وعدم اعتداء ، لتكون محايدة في موقفها بين قريش والمسلمين .

أضف إلى هذه الأهداف هدفين آخرين ودوّنهما في دفترك .

٤ - سرايا قبل غزوة بدر الكبرى :

ا - سرية حمزة بن عبدالمطلب :

كانت أول سرية عقدها النبي ﷺ بقيادة حمزة في رمضان في السنة الأولى للهجرة على رأس سبعة أشهر من الهجرة وقد شارك فيها ثلاثون مسلم من المهاجرين .

وهدفها تهديد قافلة لقريش قادمة من الشام فيها ثلاثمائة رجل ، ولما وصلت السرية سيف البحر في مكان يسمى العيص بين ينبع والبحر الأحمر واصطفوا للقتال حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني فلم يقتتلوا ، وعادت السرية إلى المدينة ونجت القافلة .

ب - سرية عبيدة بن الحارث :

وهي مُشكّلة من ستين مهاجراً وكان هدفها أيضا تهديد تجارة لقريش وصلت وادي رابغ ، وانتهت دون قتال .

جـ - غزوة وَدَّان :

وهى أيضا سرية إلا أن الرسول ﷺ كان قائدها فسميت غزوة وعدد قواتها مائتا مقاتل وهدفها تهديد طريق قريش والتحالف مع بني ضمرة في (وَدّان) .

د ــ غزوة العُشيرة :

وهى أيضا ذورية قتال بقيادة الرسول ﷺ لمائتي مقاتل، وكان هدفها تأديب بني مُدلج وأحلافهم من بني ضُمْرَة وتهديد قافلة لقريش بقيادة أبي سفيان . وقد نجحت هذه الدورية فأظْهَرَتْ قوة المسلمين . أمام هذه القبائل في طريق التجارة وعقدت موادعة بينها وبين بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة، وأرهبت قريشا في طريق تجارتها .

د ـ غزوة بدر الأولى :

وهي دورية قتالية مكونة من مائتي رجل بقيادة الرسول ﷺ ، خرجت لمطاردة كُرز بن جابر الفهري وقواته التي أغارت على مراعي المدينة ونهبت بعض إبلها وأغنامها .

هـ - سرية عبدالله بن جحش :

وهي دورية استطلاعية مكونة من ثمانية مهاجرين بقيادة عبدالله جحش . ومع قائدها رسالة مكتوبة أمره النبي ﷺ ألا يفتحها إلا بعد يومين من مسيره ، ثم يفتحها بعد ذلك وينفذ مافيها من أوامر وكان مضمونها «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل (نخلة) بين مكة والطائف (فترصّد) بها قريشا وتعلّم لنا من أخبارهم»[1] .

وقد التزم عبدالله بالأوامر ففتح الرسالة في موعدها إلا أنه لما رأى المشركين، أخذه الحماس للجهاد هو ومن معه وهاجموا القافلة فقتلوا من المشركين عمرو بن الحضرمي وأسروا مشركين من قريش، وكان ذلك في شهر رجب وهو من الأشهر الحرم ، فأخذ المشركون واليهود والمنافقون يروّجون الفتن والإشاعات ، ويعيبون على المسلمين كيف يقاتلون في الأشهر الحرم ، ونزل قول الله تعالى

---

١ - السيرة النبوية لابن هشام (الروض الانف) ٣/٢٢ -٢٤.
مسند أحمد : الفتح الرباني ٢١/٢٥ -٢٦.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (سورة البقرة آية ٢١٧)

ا - ماذا تفهم من الآية الكريمة ؟ هل يعيب الله على المسلمين القتال أم يعيب على الكفار أفعالهم . وكيف يمكنك أن تفيد من هذا الأسلوب من الحجاج ؟ عَدّد الأشهر الحرم.

٥ - المهاجرون دون الأنصار في السرايا الأولى :

نلاحظ أن الرسول ﷺ لم يطلب من الأنصار الخروج في هذه السرايا ، وجعلها مقتصرة على المهاجرين فما الحكمة من ذلك ؟

ا - لم يرد النبي ﷺ أن يكلف الأنصار بتبعة القتال من أول لحظة خارج حدود المدينة ، لأن شرط نصرتهم له كما في بيعة العقبة الكبرى أن يحموه داخل المدينة مما يحمون منه أنفسهم وأهليهم .

ب - رفع الروح المعنوية للمهاجرين ، حتى لايشعروا بأنهم لاجئون في حالة ضعف ، وإنما هم مجاهدون يتحرشون بقريش التي أخرجتهم من ديارهم .

جـ - حتى يتعرف المهاجرون على طرق المدينة وأعرابها وقبائلها ، لأن هذه المناطق ستكون ميادين العمليات العسكرية القادمة . أما الأنصار فهم أهل المنطقة ولهم بها معرفة سابقة .

د - حتى يعرف الأنصار أن إخوانهم ليسوا عبئاً أمنياً عليهم ، وإنما هم رجال ويدافعون عن المدينة ويطاردون من يعتدي عليها من الأعراب .

المصطلحات : سرية . غزوة . مهاجر . أنصاري . أعراب . دورية . استطلاع. الأشهر الحرم .

نشـــاط :

ارجع إلى كتاب المغازي والسير للواقدي واجمع منه السرايا منظمة في كشف مختصر على النحو التالي :

رقم	اسم السرية	زمنها	عدد قوات المسلمين	عدد قوات المشركين	نتائجها
١					
٢					
٣					
٤					
٥					
٦					
٧					
٨					
٩					
١٠					
١١					
١٢					
١٣					
١٤					
١٥					
١٦					

الصراع مع قريش وأهل الجزيرة
غزوة بدر الكبرى (١)

عناصر الدرس :

١ - تاريخ الغزوة.

٢ - سبب الغزوة وأهدافها.

٣ - قوات الطرفين واستعداداتهما.

٤ - دروس وعبر :

١ - تاريخ الغزوة :

خرج النبي ﷺ من المدينة في الثامن من رمضان من السنة الثانية للهجرة ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر مسلما ، وكانت المعركة بينه وبين المشركين في (بدر) يوم الجمعة في السابع عشر من رمضان[١] .

٢ - سبب الغزوة وهدفها :

ا - سبب الغزوة وهدفها من جهة المسلمين :

علم رسول الله ﷺ أن أبا سفيان خرج إلى الشام في تجارة لقريش ، وبعث (بسبس) ـــ أحد عيونه ـــ لرصد القافلة في طريق عودتها إلى مكة ، فعاد وأخبره بأن أبا سفيان يحمل أموال مكة وقدرها أربعة آلاف أو خمسة آلاف مثقال ذهب على ألف بعير ، فندب رسول الله ﷺ المسلمين للخروج من أجل توجيه ضربة قاصمة لاقتصاد قريش وقال لهم : (هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا لعل الله أن ينفلكموها)[٢] .

---

١ - سنن أبي داود في كتاب الصلاة. رقم ١٣٨٤. وسنن البيهقي ٤/٢٣١٠. ومغازى الواقدى ١/.

٢ - ابن هشام : السيرة النبوية والسيرة النبوية لابن كثير ٢/٣٥٤. والسيرة لابن هشام ٣/٣٢. والمغازى للواقدى ١/٢٠.

ولما نجت القافلة أصبح هدف رسول الله ﷺ دفع عدوان قريش، وتلقينها درسا قاسيا في بدر ، حتى لاتطمع في الهجوم على المسلمين في المدينة .

ب - سبب الغزوة وهدفها من جهة قريش :

أرادت قريش أن تخرج بجيشها لحماية أموالها وتجارتها حينما علمت أن المسلمين قد خرجوا لمصادرتها . كما أرادت أن تثأر من المسلمين بسبب قتلهم عمرو بن الحضرمي في سرية عبدالله بن جحش قبل شهرين من رمضان .

ولما علمت قريش أن القافلة قد نجت . أصر قائد جيشها أبوجهل على الخروج حتى يلقنوا المسلمين درسا في بدر ، وأخذه وجيشه الغرور وقال : (والله لانرجع حتى نرد بدرا فنقيم فيها ثلاثا ، ننحر الجزور ونطعم الطعام ، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا)[1] .

٣ - قوات الطرفين واستعداداتها :

ا - القوات المسلمة واستعداداتها :

ندب رسول الله ﷺ المسلمين للخروج لاعتراض قافلة أبي سفيان واستشار أصحابه ، فتكلم أبو بكر وقال خيرا ، كما تكلم عمر بن الخطاب وقال خيراً ، ولكن رسول الله ﷺ كان ينظر وكأنه يريد أن يسمع موقف الأنصار ، فقام سعد بن عبادة من زعماء المسلمين في الأنصار فقال : يارسول الله هل تريدنا ؟ والذي نفسي بيده ، لو أمرتنا أن نخوض البحر لخضناه معك . فسر رسول الله ﷺ وقال لمن تجهز من المسلمين : انطلقوا .

---

١ - ابن هشام : السيرة ٣/٣٥. مغازي الواقدي ١/٤٤.

ـ دورية الاستطلاع :

وكان رسول الله ﷺ قد بعث قبل خروجه دورية مكونة من طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، تستطلع خبر القافلة وأمرها أن تلاقيه في بدر .

ـ عدد قواته وتوزيعها :

خرج من المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا ، وهم من كانوا جاهزين ، ولم يخرج كثير من أصحابه ، لأنهم ظنوا أنها ربما تكون سرية من السرايا أو غزوة صغيرة كما هو المعتاد . ولم يكن مع هذا العدد من الجيش ما يحملهم سوى فرسين وسبعين بعيرا . ولذلك كانوا يتناوبون الركوب على كل بعير رجلان وثلاثة رجال . واستخلف النبي ﷺ أبا لبابة بن عبدالمنذر على المدينة كما استخلف عبدالله بن أم مكتوم على الصلاة .

وقسم الجيش إلى كتيبتين : كتيبة المهاجرين وحامل لوائها علي بن أبي طالب ، وكتيبة الأنصار وحامل لوائها سعد بن معاذ ، وجعل لواء القيادة العامة بقيادة مصعب بن عمير وحمَّله راية بيضاء ، كما جعل للجيش ميمنة بقيادة الفارس الزبير بن العوام ، وميسرة بقيادة الفارس المقداد بن عمرو ، ومؤخرة بقيادة قيس بن أبي صعصعة. وكان عليه الصلاة والسلام هو القائد الأعلى للقوات المسلمة .

تحرك الجيش المسلم بهذا التنظيم والترتيب باتجاه بدر وهي تبعد مائة وستين كيلومترا جنوب غربي المدينة باتجاه الساحل . وكان عليه الصلاة والسلام يلهج لسانه بالدعاء إلى الله تعالى : «اللهم إنهم حفاة فاحملهم، وعراة فاكسهم ، وجياع فأشبعهم ، وعالة فأغنهم من فضلك» . ووصل الجيش المسلم بدرا ولم يجد القافلة .

ب – قوات المشركين واستعداداتها :

نجاة القافلة :

عرف أبو سفيان أن المسلمين خرجوا لاعتراض تجارته ، وذلك بتخليله لَبعْرِ جملين كانا قد أناخا إلى تل ، وعليهما رجلان شك فيهما ، فلما وجد في البعر نوى قال : هذه علائف يثرب ، فترك الطريق المعتاد في بدر وتوجه نحو الساحل . وبعث ضمضم بن عمرو الغفاري على بعير جدع أنفه . وشق قميصه ، وأخذ يستنهض همم قريش : اللطيمة – أي المال – أموالكم مع أبي سفيان عرض لها محمد في أصحابه لأرى أن تدركوها ، الغوث ! الغوث !(١).

قريش تستعد للخروج :

ما أن وصل نذير أبي سفيان إلى قريش، حتى قام أبو جهل ، يستنهض الهمم ، ويثير أحقاد المشركين على الرسول ﷺ وعلى المسلمين ، ويذكرهم بما فعل المسلمون من قتل ابن الحضرمي في الأشهر الحرم ، ولم يترك سيدا من سادات قريش إلا وحفزه ، رغم أن بعضا منهم لم يكن يحبِّذ الخروج . فتجهَّز أهل مكة ، وكانوا بين رجلين ، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً . فكان قوام هذا الجيش مابين تسعمائة وخمسين إلى ألف رجل ، معهم سبعمائة بعير ومائة فرس يقودهم أبو جهل ومعه زعماء قريش أمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط والعاصي بن هشام بن المغيرة ، وسهيل بن عمرو وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وزمعة بن الأسود .(٢)

---

١ – مغازي الواقدي ٢٦/١.

٢ – ابن هشام: السيرة ٣١/٣.

وقد جمعوا معهم المغنيات وحملوا الدفوف وخرجوا بَطِرِينَ وفي الطريق جاءهم خبر من أبي سفيان يقترح عليهم فيه أن يرجعوا ويبشرهم بنجاة القافلة . فحصل اختلاف في وجهات النظر في الجيش ، وكاد يحصل انشقاق ، ولكن الطاغية أبا جهل أصر على إكمال مسيرة الجيش إلى بدر ليلقن المسلمين درسا ، وليحافظ على مهابة قريش ، ولتعزف عليه القيان وتضرب الدفوف ويشرب الخمر وينحر الإبل ويستعرض قوته وغطرسته ، وأخذ الجيش مَسِيَرهُ إلى بدر . وكان المسلمون قد وصلوا أيضاً إلى بدر .

استخبارات النبي ﷺ :

أمسك طلائع الاستخبارات النبوية وهما علي والزبير وسعد بن أبي وقاص غلامين من المشركين ، وأخذوا يحققون معهما ليتعرفا هويتهما أهما من قافلة أبي سفيان أم من جيش مكة ؟ فكانا كلما أخبراهما أنهما من جيش مكة ضربوهما وإن قالا: من قافلة أبي سفيان تركوهما ، وكان النبي ﷺ يصلي ، فلما فرغ من صلاته ، قال لأصحابه: (إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقا والله إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش .. فأخبروه ثم قال لهم : كم القوم ؟ قالا: كثير، قال: ماعدتهم ؟ قالا: لاندري، قال: كم ينحرون ؟ قالا: يوما تسعا ويوما عشرا . فقال ﷺ: القوم مابين التسعمائة والألف[1] .

ولما سألهم عن أسماء زعماء جيش المشركين، فأخبراه ، قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «هذه مكة قد ألقت إليكم بأفلاذ كبدها»[2] .

---

١ - رواه أحمد في المسند ١١٧/١ وأبو داود في السنن والحاكم في المستدرك ١٨٨/١٨٧/٣ وسنده صحيح .
٢ - الواقدي ١٧٥/١ وابن هشام : السيرة ٣٤/٣ . وابن هشام: السيرة النبوية ٣٤/٣ .

٤ - دروس وعبر :

نستنبط مما مرّ من أحداث هذه الغزوة الدروس والعبر التالية :

ا - يشرع للمسلمين محاربة أعدائهم اقتصاديا ، كما ندب النبي ﷺ أصحابه للتعرض لقافلة قريش .

ب - المسلمون يجاهدون لمرضاة الله تعالى ، ويقاتلون عدو الإسلام الذي يقف في وجه نشر دعوة الإسلام ، بينما يقاتل المشركون بطرا ومفاخرة ورياء ، وطمعا في حب الزعامة ، وكسب السمعة كما رأينا قول أبي جهل في عدم التراجع حتى يرد بدرا ويقيم عليها ثلاثاً ينحر الجزور .

جـ - كان عدد المشركين ثلاثة أضعاف عدد المسلمين ، وكانت عدة المشركين في الإبل تعادل عشرة أضعاف عدة المسلمين ، كما كانت عدتهم في الفرسان تعادل خمسين ضعفا من عدة المسلمين . وكانوا مستعدين عسكريا معهم الدروع والأسلحة الكثيرة والتموين الكثير لأنهم خرجوا متجهزين تماما للحرب ، بينما لم يكن المسلمون حين خرجوا يعتقدون أنهم سيحاربون ، وإنما كان عددهم وعدتهم واستعدادهم لمجرد أخذ القافلة التجارية .

د - كانت معنويات المسلمين عالية ، يتضح هذا من كلام أبي بكر وعمر وسعد بن عبادة عند الخروج من المدينة ومن دعاء النبي ﷺ للمسلمين . بينما كانت معنويات المشركين رغم كثرة عددهم ، ضعيفة ، وقيادتهم متصدعة فقد خرج كثير من زعمائهم خجلا من العار أو محرجا من البقاء في مكة عند النساء .

هـ - كان رسول الله ﷺ يأخذ بالأسباب، كما كانت له عناية عسكرية رائعة ، فهو يبعث عيونه لجمع الأخبار ويعتمد السرية ، وينظم الجيش ، ويحلل المعلومات الاستخبارية فيعرف عدد القوم من عدد مايذبحون من جزور يوميا .

النشـــاط :

١ - كيف تتجلى لك عبقرية الرسول الكريم العسكرية من خلال أحداث غزوة بدر الكبرى ؟

٢ - كيف تفسر من الناحية النفسية والسياسية .. أحداث هذه الغزوة في مسيرة الحضارة الإسلامية ؟

استعن بالمراجع والمصادر المتخصصة في كتابة الموضوعين .

مفردات : عير : جمال.

ينفلكموهما : يجعلها لكم غنيمة.

عالة : فقراء.

غزوة بدر الكبرى (٢)

عناصر الدرس :

١ - المسلمون قبل المعركة.
٢ - المشركون قبل المعركة.
٣ - سير المعركة.
٤ - من بطولات جيش المسلمين.
٥ - نتائج المعركة.
٦ - من دروس المعركة.

١ - المسلمون قبل المعركة :

ا - المسلمون يواجهون موقفا جديدا:

نجت قافلة قريش ، وفات المسلمين هدف السيطرة عليها . ونقلت الاستخبارات النبوية حركة جيش المشركين واستعداداته ، وأصبح المسلمون أمام موقف جديد ، وتحدٍّ يحتاج إلى تغيير في الخطة فقام النبي ﷺ يعلن لأصحابه مستجدات الموقف والأحداث وسألهم أن يشيروا عليه . فقام أبو بكر وتكلم فأحسن ، ثم قام عمر فتكلم وأحسن . ثم قام المقداد بن عمرو فقال: «يارسول الله امْضِ لما أراك الله فنحن والله لانقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا ، إناهههنا قاعدون ، ولكن اذْهَب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون»[1] . ثم قال رسول الله ﷺ أشيروا

(١) ابن هشام: السيرة النبوية بإسناد صحيح وشواهد في رواية البخاري والنسائي ومسند أحمد. انظر ابن كثير البداية والنهاية ٣/٢٦٢ - ٢٦٣ .

علي أيها الناس ، وكأنه يريد أن يسمع قول الأنصار بعد أن تكلم المهاجرون . فقام سعد بن معاذ من سادة الأنصار فقال : «قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك . فو الذي يبعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ماتخلف منا رجل ، ومانكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصُبُر في الحرب ، صُدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ماتقر به عينك . فَسِرْ على بركة الله[1] وبهذه الشورى أيقن النبي ﷺ أن جنوده قد تحولت نيتهم إلى المواجهة بدل القافلة ، وأنهم تجاوبوا مع التحدي الجديد ، وتجاوزوا الرغبة في السيطرة على التجارة والأموال إلى القتال ، فبشرهم بما يرفع من معنوياتهم وقال : (سيروا وأبشروا فإن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين والله لَكَأَنِّي أنظر إلى مصارع القوم)[2]

ب ــ الجيش الإسلامي يسبق إلى المواقع العسكرية:

عسكر المسلمون قرب ماء بدر ، فسأل الحباب بن المنذر رسول الله ﷺ بقوله : يارسول الله أهذا المنزل منزلا أنـزَلَكَـهُ الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال رسول الله : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال الحباب: يارسول الله ليس هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فنعسكر ثم نُغَوِّر (ندفن) ماوراء من الآبار، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل فنشرب ولايشربون فسُرَّ النبي ﷺ لهذا الرأي العسكري وأمر الجيش ليفعل بما أشار به الحباب .

---

١ ، ٢ : ابن هشام : السيرة النبوية باسناد صحيح وشواهد من رواية البخاري والنسائي ومسند أحمد. انظر ابن كثير: البداية والنهاية ٣/٢٦٢ - ٢٦٣.

اتخاذ مقر القيادة :

ثم أشار سعد بن معاذ بأن يُبنى للنبي ﷺ عريش وعليه حماية وحراسة ومعه ركائب ، بحيث يصدر النبي ﷺ أوامره من هذا المقر للقيادة ، وحتى إذا ما أصيب المسلمون لاسمح الله نجا النبي وعاد إلى المدينة ، لينضم إليه المسلمون من هناك ، وبهذا الأسلوب العسكري لاتتعرض القيادة للخطر . فصنع الجيش العريش وهيأ له الحماية .

جـ - التعبئة المعنوية :

وقف النبي ﷺ في العريش وأخذ يدعو على قريش ، ويدعو الله تعالى لدينه ولجيشه بالنصر ، ويقول : «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنهم (أي أهلكهم) الغداة»[1] ، «اللهم إن تهلك هذه الفئة لاتعبد» وَيُبَشِّرُ أصحابه ويشير إلى مصارع قادة قريش موضعا موضعا .

د - النبي يصف الجيش :

ثم صف النبي ﷺ جيشه صفوفا وأخذ يُعَدِّلُهَا ويسويها ، وقد طعن في بطن أحد أصحابه ــ سواد بن غُزْيَةَ لِيسوّى الصف فقال يارسول : قد أوجعتني . فلما انتهى الرسول من تسوية الصفوف. قال: ياسواد استقدمنيّ وكشف عن بطنه فقام غزية فأخذ يقبل بطن النبي ﷺ فلما سأله رسول الله ﷺ عن فعله هذا قال: يارسول الله حضر ماترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك[2] فدعا له النبي ﷺ بالخير . وهكذا يكون حب الأصحاب لرسولهم وقائدهم عليه الصلاة والسلام .

---

١ - ابن هشام : السيرة النبوية ٣٦/٣.

٢ - الطبراني ورجاله ثقات والحديث حسن انظر الاصابة ٩٩/٢ ومجمعه الروائد ٢٨٩/٦.

ثم عاد النبي ﷺ إلى العريش يدعو ربه ويقول: اللهم أنجز لي ماوعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لاتعبد في الأرض[1] ومازال يهتف بربه ماداً يديه ، مستقبلا القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأعاده على منكبيه، وقال له : يارسول الله، كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ماوعدك. ثم خفق النبي ﷺ خفقة ثم انتبه، فقال: أبشر ياأبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامته آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع ، أتاك نصر الله الذي وُعِدتُّه[2] .

نعاس وطمأنينة وغيث بشرى لجيش المسلمين :

وكان جيش المسلمين في حالة من التعب شديدة ، فأكرمهم الله تعالى بنعاس ونوم خفيف أزال به هذا التعب عنهم ، وأنزل غيثا هَدَّأ به الرمال وثبّتها تحت أرجلهم استعداداً للمعركة ، وهذا ماعناه الله تعالى بقوله ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾[3]

٢ - المشركون قبل المعركة :

١ - موقع جيش المشركين :

عسكر المشركون في العدوة القُصْوَى من ماء بدر ويبدو أن موقعهم الذي اختاروه قد أسهم في هزيمتهم ، حيث سبقهم المسلمون لاتخاذ الموقع الأسلم للقتال في العدوة الدنيا القريبة من ماء بدر مما مكنهم من التحكم فيه وحرمان المشركين منه .

---

١ - صحيح البخاري كتاب المغازي ومسلم في الجهاد.

٢ - البيهقي: دلائل النبوة ٣/٧٤. وأحمد في المسند ٥/٤٣١ والحاكم في المستدرك ٢ - ٣٢١ وصححه .

٣ - سورة الأنفال آية (١١).

ب - استطلاعات قريش والانشقاق في صفوفها :

بعثت قوات المشركين عمير بن وهب الجُمَحِيّ ، في عمل استطلاعي حول معسكر المسلمين ، فعاد إليهم بأخبار لاتسرهم حيث قال: (يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلاّ سيوفهم ، والله ماأرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك[1] .

فأصيب جيش المشركين بالذعر . وقامت معارضة واضحة لأبي جهل ، تقنعه بالعودة دون قتال ، فأصر القائد العنجهي على عدائه للإسلام ، ودخل المعركة بجيش خارت أعصابه وبقيادات غير مقتنعة بجدوى القتال .

٣ - سير المعركة :

١ - تحرش المشركين بالمسلمين :

خرج الأسود بن عبدالأسد المخزومي من جيش المشركين يعاهد الله أن يشرب من حوض المسلمين أو يهدمه أو يموت دونه ، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقتله في الحوض . ثم دعا عتبة ومعه أخوه شيبة وابنه الوليد يتحدى المسلمين للمبارزة ، فخرج إليه ثلاثة من الأنصار ، فلم يقبل إلاّ ثلاثة من المهاجرين ، فأمر النبي ﷺ عَمّهُ حمزة بن عبدالمطلب وعليًا وعبيدة بن الحارث، وكلهم من أهله وأقاربه، أن يخرجوا لمبارزة عتبة ومن معه ، أما حمزة فلم يمهل شبية حتى قتله، وقتل عليّ الوليد وتبارز عبيدة وعتبة فجرح كل منهما الآخر وكر حمزة فأجهز على عتبة وحمل عبيدة جريحا ثم استشهد في طريق عودته بالمدينة .

---

١ - ابن هشام : السيرة ٣/٣٧.

ب - الأمر بالهجوم :

ثم أمر النبي ﷺ جيشه بالهجوم على المشركين ، هجمة رجل واحد ، وجهد النبي ﷺ في الدعاء إلى الله تعالى . وأوحَى الله تعالى إلى ملائكته أن تثبت المؤمنين وأن تتراءَى للمشركين ، فيكثر عدد المؤمنين في أعينهم ، وتقلل من عدد المشركين في أعين المسلمين ، وقام المشركون بهجوم شرس مضاد لهجوم المسلمين .

وقال النبي آمرا المسلمين شُدُّوا عليهم ، والذي نفسي بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيُقْتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة. قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، شدد المسلمون هجومهم، وجعلوا يخترقون صفوف المشركين ، يقطعون أيديهم وأعناقهم ، ونزل النبي ﷺ يقاتل مع المسلمين ويثبت في روع الجيش ويقول : سيهزم الجمع ويَوَلُّون الدبر .

٤ - من بطولات جيش المسلمين :

ا - وقد ظهر من بطولات جيش المسلمين الشيء الكثير . فهاك منها ، بطولة عمير بن الحمام حينما سمع تبشير النبي بدخول الجنة ، فيرمي تمرات في يده كان يأكلها ويقول . بخ بخ لئن أنا بقيت حتى آكل هذه الثمرات ، إنها لحياة طويلة طويلة، واستعجعل في القتال حتى قاتل فقتل من المشركين واستشهد .

ب - وهذا عوف بن الحارث يسأل رسول الله ﷺ عما يرضي الرب من عبده ، فيجيبه أن يغمس يده في عدوه حاسرا الرأس ، فينزع درعه ويرميها ويقاتل قتالا شديدا حتى استشهد .

جـ - وينقطع يومئذ سيف عكاشة بن محصن الأسدي ، فيأتي للرسول يخبره ، فيعطيه عودا من الحطب ليقاتل به فإذا به ينقلب في يده سيفا

طويل القامة شديد القوة يلمع ، فقاتل به سائر يومه في بدر، ولم يزل عنده حتى قتل في حروب الردة وكان يسمى العون لأنه من إكرام الله تعالى وعونه لرسوله ولعكاشة .

د - وأقبل غلامان معاذ ومعوّذ ابنا عفراء ، فمشى أحدهما عن يمين عبدالرحمن بن عوف ومشى الآخر عن شماله وأخذ كل منهما يسأله خفية عن صاحبه أن يدله على أبي جهل ، يريد كل منهما أن يقتله ، فدلهما عبدالرحمن فانطلقا عليه كالصقرين فقتلاه ، ثم عادا إلى النبي ﷺ يبشرانه وَيَدّعِيى كل واحد منهما أنه هو الذي قتله فقال لهما: (هل مسحتم سيفيكما ؟ قالا: لا، فنظر في السيفين فقال : كلاكما قتله)[1] .

هـ - وجاء عبدالله بن مسعود ، وَصَعَدَ على صدر أبي جهل وبه رمق ، فقال : أي عدو الله قد أخزاك الله ؟! فقال أبو جهل: وبم أخزاني ، أعمد من رجل قتلتموه، أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ فقال ابن مسعود: لله ولرسوله . فقال أبو جهل : لقد ارتقيت مرتقي صعبا يارويع الغنم ! فقطع ابن مسعود رأسه وحمله إلى رسول الله ﷺ فقال الرسول : الله الذي لا إله إلا هو.. هذا هو فرعون هذه الأمة)[2] .

وكما قتل بلال بن رباح سيده في الجاهلية أمية بن خلف وكان يحتمي بعبدالرحمن بن عوف . وهكذا تفرقت صفوف المشركين وقتل من صناديد قريش وزعمائهم عدد كبير .

---

١ - صحيح مسلم : كتاب الجهاد رقم (١٧٥٢) وصحيح البخاري: كتاب المغازي رقم (٣٩٨).
٢ - ابن هشام : السيرة النبوية ٤٢/٣ والحديث صحيح رواه الطبراني، والبيهقي في الدلائل ٢٦٢/٢.

٥ - نتائـج المعركة :

ا - انجلت المعركة عن هزيمة ساحقة في صفوف المشركين ، حيث قتل منهم سبعون قتيلا وفيهم كثير من ساداتهم وقائد معركتهم أبو جهل بن هشام كما أسر منهم سبعون رجلا وهرب الباقون ، واندحرت قوات الشرك بسمعة هزيلة ، أفقدت قريشا هيبتها بين العرب .

ب - انتصر المسلمون نصرا مُؤَزَّراً ، وكانت أول معركة بين الحق والباطل في ميادين القتال ، رغم قلة عدد جيش المسلمين وقلة عدتهم ، ولم يكونوا قد خرجوا للقتال ، في حين أن قريشا كانت كثيرة العدد والعدة ، متجهزة للقتال ، مستعدة أضعاف استعداد المسلمين، ولهذا سمى الله تعالى هذه الغزوة لأهميتها (يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) . فهى أهم معركة كانت في الإسلام وأول فرقان بين الإيمان والشرك .

جـ - إذا فاتت المسلمين تجارة قريش وأموالها ، فقد عوضهم الله تعالى فدية أسرى بدر ، وهذه الأموال التي دفعها المشركون فدية الأسرى أدت إلى إضعاف اقتصاد قريش ، وتقوية اقتصاد المسلمين . كما أن طريق تجارة قريش أصبحت الآن مهددة بهذه النتجية للمعركة بشكل محقق . كما حصل المؤمنون كذلك على الغنائم الكثيرة التي خلفها جيش المشركين . وقد وصل الحال بين المسلمين أول الأمر إلى الاختلاف فيها ، إذ كل يَدَّعي أنه أبلى في المعركة أكثر من الآخر ، حتى قال بعضهم حينما نزلت سورة الأنفال يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (الآية ١) . هذه السورة نزلت على أصحاب رسول الله أهل بدر ، حينما ساءت أخلاقنا في الغنائم .

د - ارتفعت هيبة دولة الإسلام في المدينة مما أغاظ المشركين فيها والمنافقين واليهود ، كما عقدت أكثر القبائل العربية معاهدات عدم اعتداء مع المسلمين .

٦ - من دروس المعركة :

ا - إذا علم الله صدق المسلمين وحسن توكلهم على الله أكرمهم بنصر دينه على أيديهم ، ولذلك لما أخذوا بأسباب القوة والاستعداد ودعوا الله تعالى في بدر نصرهم وأنزل ملائكته تقاتل معهم ، وأكرمهم بالغيث ثبت به أقدامهم، وجعله وبالا على المشركون فانساحت الأرض من تحت أقدامهم وكثّر المسلمين في أعين المشركين فخاف المشركون وذعروا ، وقلّل المشركين في أعين المسلمين ، فأقدم المسلمون وثبتوا وهجموا . كما أعمى الله عيون الكفار بما وقع في عيونهم من الرمل التي رمى بها رسول الله ﷺ في وجوههم وقال شاهت الوجوه ، فأصابتهم جميعا كما قال الله تعالى في سورة الأنفال وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

ب - تجلت قدرات الرسول القائد العسكرية في هذه الغزوة ، بصف الصفوف للقتال ، ورفع الروح المعنوية للجند، وأسلوب الكر والفرّ واختراق الصفوف والمواصلة في الشد على الكفار والصبر حتى القضاء على العدو . كما انتظر النبي ﷺ العدو حتى يتحرش بالمسلمين ليقوى دافع التحدّي لدى جيشه . كما كانت كلمة السر في القتال: أحد ، أحد، وهي شعار التوحيد للمسلمين . وكانت قيادة المسلمين مُوَحَّدَةً في حين كانت قيادة المشركين ممزقة لايثق بعضها بالبعض الآخر .

جـ - كان للتربية الإيمانية أثرها الواضح في المقاتلين المسلمين ، إذ كانوا يتسابقون للقتال والشهادة في سبيل الله ، إيمانا منهم بالإسلام وإسراعا لدخول الجنة ، بينما ظهر أثر الشرك في جيش الكفار الذين كانوا يبتغون السمعة وشرب الخمر ونحر الجزور وعزف القيان .

د - التقى في هذه الغزوة الآباء بالأنباء والإخوة بالإخوة والأقارب بالأرقاب ، جمعت بينهم القرابة وخالفت بينهم العقيدة والمباديء ففصلت بينهم السيوف . فأبو بكر كان يبحث عن ابنه ليقتله وأبو عبيدة عامر ابن الجراح يقتل والده ، ومصعب بن عمير يرى أخاه أبا عزيز أسيرا فيطلب من أخيه المسلم أن يشد قيده ، وحين يستغيث به باسم الأخوة ، يقول له: إنه أخي دونك وأنت مشرك نجس . وكان عمر يقترح على النبي ﷺ أن يقتل الأسرى جميعا وأن يبدأ هو بأقاربه ، ويبدأ علي بأخيه عقيل بن أبي طالب ، وحمزة بأخيه العباس.. وهكذا!

هـ - أعطى النبي ﷺ في هذه الغزوة مثلا أعلى في الشورى ، فقد استشار القائد ـــ رغم أنه رسول يوحَى إليه ـــ أصحابه في كثير من المواقع من بداية الغزوة في المدينة، وفي وسطها في بدر ، وفي نتائجها في الموقف من الأسرى ، هل يقتلون أو يقبل منهم الفدية حتى انتهى إلى الأخذ برأى أبي بكر ومن معه في قبول الفداء، وغلّبه على رأي عمر ومن معه في قتلهم، ولما أنزل الله تعالى قوله ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ.﴾ قال ﷺ : لو نزل عذاب مانجامنه الإعمر[1]

---

١ - الواقدي : المغازي ١/١٠٦.

و - أظهر النبي ﷺ خلقاً كريماً ، في احترام الإنسان ، فحين اقترح عليه عمر أن ينزع ثنيتي سهيل بن عمرو حين أسر ، وكان خطيب المشركين ، حتى يدلع لسانه ولايقوم خطيبا بعدها ، رفض النبي ﷺ هذا الاقتراح وقال: (إني لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا)[٢] .

كما أطلق النبي ﷺ سراح بعض الأسرى الفقراء كما منَّ بإطلاق سراح صهره ، زوج ابنته أبي العاص شريطة أن يخلي سبيل ابنته زينب فتهاجر إلى المدينة .

كما أمر النبي ﷺ بإكرام الأسرى حيث وزعهم على بيوت المسلمين، وكانوا يطعمونهم أحسن مما يأكلون كما حدث لبعض الأسرى .

ز - جعل النبي ﷺ فدية بعض الأسرى ممن لا مال له تعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة. وهذا درس بالغ الأهمية في اهتمام رسول الله ﷺ بالعلم والتعلم .

حـ - أمر النبي ﷺ بقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث حامل راية المشركين في الأسرى قبل أن يعود إلى المدينة ، لأنه عاملهما معاملة مجرمي الحرب ، لشدة إيذائهم للإسلام والمسلمين وللرسول قبل المعركة في مكة ومنذ بدايات الدعوة وحتى آخر لحظة لقاءٍ بهما .

---

٢ - ابن هشام : السيرة .

مفـردات :

خيلاتها : كبرها، أحنهم : ائتِ بأجلهم وأهلكم، استقد : خذ ثأرك، خفق : غشيته إغفاءة قصيرة .

معتجر بعمامته: معتصب بعمامته. النقع ، الغبار، البلايا: جمع بلية وهى الناقة تربط على القبر فلا تطعم حتى تموت .

المنايا : جمع منيه وهى الموت ، شاهت: خابت وهزمت ، الثنايا : الأسنان الأمامية .

نشـــاط :

١ - اشتهر في غزوة بدر الكبرى أبطال بعضم استشهد وبعضهم مد الله في عمره تحدث عن اثنين من شهداء بدر واكتب عنهما بأسلوبك وتصورك مستعينا بالمراجع .

غـــزوة أحـــد (١)

عناصـــر الـــدرس :

١ ــ بين يدي الغزوة.

٢ ــ تاريخ الغزوة.

٣ ــ سبب الغزوة وأهدافها.

٤ ــ قوات الطرفين واستعداداتهما.

١ - بين يدي الغزوة :

بعد هزيمة المشركين في بدر ، قررت قريش أن تنتقم من المسلمين ، وأن تثأر لقتلاها وقياداتها . ففاجأ أبو سفيان المدينة المنورة ومعه مائتا جندي ، بغارة خاطفة ، وتآمر معه (سلام بن مشكم) من سادة اليهود ، وحرق أسوارا من أطراف المدينة وما بها من نخيل ، وقتل رجلاً من الأنصار وحليفا له ، وانطلق هو ومن معه هاربين من المدينة ، وقد لحق بهم المسلمون ، وأخذ المشركون يتخففون مما معهم من تموين من السويق ، حتى سميت غزوة ملاحقتهم بغزوة السويق، وكان ذلك في ذي الحجة من آخر السنة الثانية. وظن أبوسفيان أنه نال من المسلمين شيئا إلا أن تهديد المسلمين لطريق التجارة الغربي (الشام) . ولطريق نجد إلى العراق في سرية زيد بن حارثة التي غنمت تجارة كبيرة من المشركين في القردة ــ عين ماء في نجد ــ. جعل أبا سفيان وقادة الشرك في مكة يقومون بالتفكير بحرب شاملة، وهجوم كاسح على المسلمين في المدينة .

٢ - تاريخ الغزوة :

تحرك جيش الكفار من مكة في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وكانت المعركة على وجه التحديد يوم السبت السادس من هذا الشهر على رأس اثنين وثلاثين شهرا[١] .

٣ - سبب الغزوة وأهدافها :

ا - السبب الأول الانتقام. قرر زعماء قريش أن تنفق أرباح القافلة التي نجت في الاستعداد لمعركة المواجهة الشاملة انتقاما من المسلمين في المدينة . وبعد سنة تقريبا قام زعماء قريش أبوسفيان وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل ، وكلهم مصاب بعزيز قتيل في بدر ، قاموا بستحثون قريشا الاستعداد والتجهيز يمثل هذه الرغبة في الانتقام تصريحات قياداتهم . فهذا أبوسفيان يقسم ألا يغتسل حتى يثأر من محمد وأصحابه . وذاك صفوان بن أمية يقول: يامعشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا ندرك ثأرنا بمن أصاب منا[٢] .

ب - أما السبب الثاني فهو فك الحصار الاقتصادي الذي فرضته نتائج غزوة بدر ، ذلك أن المسلمين فرضوا سيطرتهم وقوتهم وهيبتهم على طريقي التجارة لقريش من جهة المدينة إلى الشام ، ومن طريق نجد إلى العراق ، يعبر عن هذا القلق مقالة صفوان بن أمية (بأن محمدا وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه ، لايبرحون الساحل ، وأهل الساحل قد وَادَعُوهُمْ ودخل عامتهم معهم ، فما

---

١ - ابن هشام : السيرة النبوية ١٤٧/٣، ومغازي الواقدي ١٩٩/١.

٢ - ابن هشام: السيرة النبوية ١٤٧/٣ ، ومغازي الواقدي ١٩٩/١ - ٢٠٠.

ندري أين نسلك ، وإذا أقمنا نأكل رءوس أموالنا ونحن في دارنا هذه مالنا بها نفاق)[1]

جـ - أما هدف المسلمين فهو الدفاع عن المدينة وعن دولة الإسلام فيها والوقوف في وجه قريش ، والاستمرار في الإبقاء على روح النصر الذي حققته غزوة بدر الكبرى .

٤ - قوات الطرفين واستعداداتها :

ا - قوات قريش واستعداداتها :

رصدت قريش خمسين ألف ديناراً ذهبيا هى أرباح قافلة أبي سفيان .. لتغطية نفقات المعركة مع الرسول ﷺ .

كما نجح قادة قريش في جمع أهل مكة للخروج ومن اتبعم من العرب الأحابيش حتى بلغوا ثقيفا . فخرج من هذه القبائل جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل فيهم سبعمائمة دارع ومائتا فارس ومائة رام وألفان من المشاة . ومحمولون على مائتي فرس. وثلاثة آلاف بعير وسبعمائة دِرع وسلاح كثير .

وكان الجيش موزعا على ثلاثة ألوية، أولها بقيادة سفيان بن عوف وآخر بقايدة طلحة بن أبي طلحة وثالثها بقيادة رجل من الأحابيش والقائد العام لجميع هذه القوات أبو سفيان .

كما حرص أبو سفيان وزوجته هند بنت عتبة بن ربيعة والتي قتل والدها وعمها شبية وأخوها الوليد على ضرورة خروج النساء مع الجيش يحفزنَهُم على القتال ، ويضربن عليهم الدفوف لتحميهم .

وشنت قريش حملة إعلامية بشعرائها وشعراء بني ثقيف لتأليب المشركين ،

---

١ - مغازي الواقدي ١٩٧/١ وانظر د. محمد أبو فارس: غزوة أحد ص/١٤.

ورفع معنوياتهم في قتال المسلمين. وتحركت قريش بمجموعها ومن سار معها إلى المدينة .

ب - قوات المسلمين واستعداداتهم :

(١) الاستخبارات النبوية : بعث العباس سرا للرسول ﷺ يخبره ، بخروج جيش المشركين واستعداداتهم وقواتهم حتى لايأخذوه على حين غرة . وقد وصل معبوث العباس بسرعة كبيرة ، حيث اشترط عليه العباس أن يوصل الكتاب المختوم في ثلاثة أيام أي في مدة تقترب من نصف المدة التي يحتملها السفر بين مكة والمدينة ، حتى يسبق وصوله وصول جيش المشركين . وفوراً بعث رسول الله ﷺ الحباب بن المنذر يستطلع أخبار المشركين . وبدأ استعداد الرسول والمسلمين للمواجهة المحتومة مع قريش .

(٢) استشارة النبي ﷺ للمسلمين : جمع رسول الله ﷺ المسلمين ، وشكل المسلمون دوريات حراسة تحمي الرسول ﷺ ، ودوريات حراسة أخرى للمدينة، حتى لاتدخل دوريات المشركين فتفاجئهم. وذكر النبي ﷺ لأصحابه رؤيا رآها في منامه ليلة الجمعة ومفادها أنه رأى كأنه في درع حصينة ، وأن سيفه قد انقصم من عند طرفه ، وأن بقراً تذبح وأنه يحمل كبشا. وأول لهم النبي ﷺ هذه الرؤيا بأن الدرع الحصينة هى المدينة فامكثوا فيها. وأما انقضام سيفه فمصيبة في نفسه وأهل بيته وأما البقر المذبح فقتلى في أصحابه وحمل الكبش فيعني كبش يقتل إن شاء الله[1] . وقال أشيروا على أيها الناس . فكان المسلمون على رأيين :

---

١ - رواه الواقدي في المغازي ٢٠٨/١ - ٢٠٩ ووردت أحاديث متقاربة بنفس المعنى عند أحمد في مسنده وابن ماجة والدارمي وعلق البخاري، وقال الهيثمي في المجمع رجاله الصحيح وحسنه الترمذي .

أحدهما أنّ القتال داخل المدينة أولى ، لأن المشركين مهاجمون ، والمهاجم داخل المدينة خاسر ، لأنه خائف لايدري من أين يضرب ، والمسلمون يقاتلون قتال شوارع ولهم ظهر يحميهم وهي بيوتهم ، ويمكن للنساء والأولاد المشاركة بالحجارة من داخل البيوت وكأن رسول الله ﷺ مال إلى هذا الرأي. والغريب أن عبدالله بن أبي رأس النفاق في المدينة كان يرى هذا الرأي أيضا .

أما الرأي الآخر: فكان يرى أن دخول الكفار للمدينة فيه إهدار لكرامتها ولهيبة المسلمين ، وهذا يطمع قريشا والمشركين والأعراب واليهود في المسلمين، وإنما تقتضي الرجولة الخروج للعدو وتدميره في أرض المعركة خارج المدينة. وتحمس لهذا الرأي بعض كبار الصحابة والشباب ومن لم يشهدوا بدرا، وكانوا متشوقين لقتال المشركين. ولما رأى النبي ﷺ غلبة هذا الرأي وإن كان لايراه، دخل بيته وتجهز للخروج ولبس لباس الحرب، وخرج فظن أصحابه أنهم أحرجوه بالأخذ برأيهم فقالوا: يارسول الله، ندمنا على مخالفتك والأمر لك. فقال لهم بصرامة القائد وحزمه: إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل أو حتى يحكم الله بينه وبين عدوه[1] .

(٣) عقد النبي ﷺ ثلاثة ألوية بألف جندي. إلا أن عبدالله بن أبيّ زعيم المنافقين. أقنع ثلث الجيش بالعودة من الطريق إلى أحد، مدعيا أن المسلمين خالفوا رسول الله ﷺ، وأنه خرج معهم مكرها، فانطلت حيلته على ثلث الجيش، ولم يبق مع النبي ﷺ سوى ستمائة وخمسين رجلا وخمسين فارسا ومائة دارع ولحق به في الطريق كتيبة سمع لها

---

١ - المرجع السابق - الواقدي ٢١٤/١ والسيرة النبوية لابن هشام ١٤٩/٣.

زجلا فاستغربها وسأل عنها فقيل له هؤلاء حلفاء إبن أبيّ من يهود بني قينقاع وهم قوم عبدالله بن سلام، فردهم النبي ﷺ وقال: (لانستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك أو لا نستعين بالمشركين على المشركين) [1].

جـ - حركة القوات :

وصلت قوات المشركين إلى البساتين في شمال المدينة قرب جبال أحد. وخرج المسلمون من المدينة من ديار بني النجار وصلوا فيها المغرب والعشاء وشدّدوا الحراسة في الليل حتى السحر ، واستعان النبي ﷺ بالأدلاء وسار الجيش حتى الفجر، وصلى النبي ﷺ الفجر وكان المسلمون قد وصلوا مع طلوع الشمس، جعلوا الشمس في ظهورهم واستدبروا جبل أحد .

وبدأ تنظيم الطرفين للقوات انتظارا لساعة الصفر لبدء المعركة .

---

١ - المرجع السابق - الواقدي ٢١٤/١ والسيرة النبوية لابن هشام ١٤٩/٣ .

٢ - روايتان أولاهما عند الواقدي ٢١٥/١ - ٢١٦ والأخرى بإسناد حسن عن إسحق بن راهون انظر المطالب العالية (٤٣١٩) .

مفـردات :

السويق : قمح أو شعير مقلي ثم يجرش ويعجن بالسمن أو العسل.

أول الرؤيا : فسرها ، لأمته : لباس القتال.

يرحون : يتركون

نفاق : بقاء

انقصم وانفَصم : كُسِرَ

النشـــاط :

١ – استنبط من هذا الدرس أربع عبر واكتبها في دفترك.

٢ – كانت غزوة أحد درساً تربويا عظيما للمسلمين حلّل ومثّـل .

غـزوة أحـــد (٢)

عناصر الدرس :

١ - التعبئة القتالية على أرض المعركة.
٢ - الجولة الأولى في القتال.
٣ - الجولة الثانية.
٤ - نتائج القتال.
٥ - حمراء الأسد.
٦ - دروس وعبر.

١ - التعبئة القتالية على أرض المعركة :

ا - تنظيم الجيش الإسلامي وتعبئته :

صفَّ النبي ﷺ أصحابه ، وجعل ظهر جَيْشِه إلى جبل أحد وجعل على الميمنة المنذر بن عمرو وعلى الميسرة الزبير بين العوام ، وفرز قوة من شجعان المسلمين في مقدمة الجيش . وكان على بعد من الجيش المسلم إلى الجنوب الشرقي جبل صغير ، وفرز له النبي ﷺ خمسين راميا ، حتى يحموا الجيش الإسلامي من حركة الْتِفَاف خطيرة للمشركين لو نجحوا فيها، ولذا شدد النبي ﷺ أوامره للرماة بقيادة عبدالله بن جبير، وقال له: انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لانؤتين من قبلك ، وقال للرماة: احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن

رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم) .

وخطب النبي ﷺ المسلمين خطبة يحضهم فيها على الجهاد والصبر والطاعة لله ورسوله، ووحدة الصف وعدم الاختلاف. وأخذ يحمسهم ويستجيش روح البطولة فيهم، وينادي في أصحابه: من يأخذ هذا السيف بحقه، فقام بعض أصحابه يتنافسون حتى قام أبو دجانة، وقال: ماحقه يارسول الله ؟ فقال: أن تضرب به وجوه العدو حتى يَنْحَني، فقال أبو دجانة وهو متعصب بعصابتة الحمراء ، دلالة الفتوة والقوة والرجولة : أنا آخذه بحقه يارسول الله، فأعطاه إياه وأخذ أبو دُجَانةً يتبختر بين الصفوف حتى قال النبي ﷺ إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في مثل هذا الموطن[1] .

تنظيم قوات المشركين وتعبئتهم:

تمركزت قوات المشركين وأخذت مواقعها عند بعض السفوح من جبل أحد ، ونظمت قواتها صفوفاً . وكان لها ميمنة بقيادة خالد بن الوليد ، وميسرة بقيادة عكرمة بن أبي جهل ، وأمنوا الحماية بالفرسان، وكانت النساء تقوم بدور التعبئة المعنوية للجيش بضرب الدفوف ، والنشيد الذي يذكر بالثأر لقتلى بدر من المسلمين .

٢ - الجولة الأولى في القتال :

برز من جيش المشركين خائن من الأوس أبو عامر سَبَقَ وأن خرج إلى المشركين ومعه مجموعة من المشركين في المدينة ، وقد التحق بجيش المشركين ، وأخذ ينادى الأوس ويقول لهم : استجيبوا لي واتركوا محمدا وانحازوا إلى

---

١ - الحديث صحيح أخرجه الحاكم ٢٥/٣ وحسنه الترمذي ٢٨/٣.

قريش فقام له الأوس وقالوا: لا أنعم الله بك عينا يافاسق وهاجموه، وأذن النبي ﷺ للمسليمن ببدء القتال. وهتف حمزة بكلمة التعارف بين المسلمين وهى (أَمِتْ أمت) ثم اندفع إلى قلب جيش المشركين، وانقض عَلِيٌّ عَلَى حامل رايتهم طلحة ابن أبي طلحة الذي طلب المبارزة فقتله. واندفع أبو دجانة وفي يده سيف رسول الله ﷺ، وعلى رأسه عصابته الحمراء، عصابة الموت، وشق صفوف المشركين وأعمل فيهم سيفه حتى قتل منهم عددا كبيرا. ورفع سيفه وإذا بهند بنت عتبة زوجة أبي سفيان فارتدت يده عنها إكراما لسيف رسول الله أن يضرب به امرأة .

واشتد القتال بين الطرفين. وكانت هند قد وعدت مولى لجبيربن مطعم هو وحشي إن قتل محمدا أن تحرره، فترصد وحشي لحمزة حتى رماه بحربته في أسفل بطنه فوقع حمزة شهيدا.. وكان لواء قريش كلما قتل حامله حمله آخر من بني عبدالدار حتى قتل المسلمون منهم تسعة رجال، حتى حملته امرأة بعد أن تفرق المشركون وانهزموا وهربوا تاركين غنائمهم حتى أنهم قد تركوا صنما لهم كانوا قد حملوه معهم لينصرهم. وأخذ المسلمون يجمعون الغنائم التي لاتُحْصَى لكثرتها .

ولكن المفاجأة الكبرى كانت في نزول الرماة المسلمين عن الجبل، وقائدهم عبدالله بن جبير يناديهم ويثبتهم ، فما بقي معه إلا أقل من عشرة رماة، ونزل الباقون ليجمعوا الغنائم، فخالفوا أمر رسول الله وأمر قائدهم فرأى ذلك خالد ابن الوليد فقام بحركة التفاف مع مجموعة من المشركين فقتلوا عبدالله بن جبير ومن معه وتحولت المعركة إلى جولة أخرى غيّرت مجرى المعركة .

٣ - الجولة الثانية :[1]

لم يتوقع المسلمون ماكان من الرماة ، وإذا بجيش المشركين يعيد تنظيم صفوفه ، ويعطيهم خالد بن الوليد الفرصة للهجوم على المسلمين وهم في حالة جمع الغنائم معتقدين أن المعركة قد انتهت لصالحهم ، فتفرق المسلمون ، وتبعثرت قواتهم وخسروا قتلى وجرى ، ومابقي حول النبي ﷺ إلا القليل، يدافعون عنه ، ويفدونه بأجسامهم وأرواحهم، حتى وصل المشركون إليه وجرحوه، وكسروا رباعيته، ودخل حديد المغفر في وجنته وسالت دماؤه، ووقع في حفرة رفعه منها علي وطلحة بن عبيد الله. وكانت أم عمارة نسيبة بنت كعب تسقي الجرحى، فلما رأت رسول الله ﷺ يتعرض للأذى ألقت شعارها واستلت سيفا وأخذت تذود عن رسول الله وتقاتل أشد مما يقاتل الرجال حتى جرحت، وجاء أبو دجانة يَصُدُّ بجسمه النبال حتى لاتصل إلى رسول الله. ووقف سعد بن أبي وقاص يرمي بالنبل دونه، ورسول الله ﷺ يقاتل بنفسه حتى تحطمت قوسه، وتساقط كثير من الصحابة وهم يدافعون عن رسولهم، وأشاع المشركون خبر مقتل النبي ﷺ. صعد المسلمون بصعوبة بالغة وتحصنوا إلى شق في جبل أحد ووقفوا في مقابل المشركين على مرتفع آخر مقابل المشركين واعتقد المشركون أنهم كسبوا المعركة وثأروا لهزيمتهم القريبة في الجولة الأولى ولهزيمتهم في بدر، حيث قتلوا حمزة وكثيرا من المسلمين .

وأخذ أبو سفيان ينادي: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه، فنادى: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه. فنادى: أفيكم عمر بن الخطاب فلم يجيبوه. فظن أنهم قد قتلوا فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم. فلم يتمالك عمر إلا أن أجابه: ياعدو

---

١ - انظر تفاصيل الأحداث في السيرة النبوية لابن هشام وفي المغازي للواقدي ١/٢٤٠ فما بعدها .

الله إن الذين ذكرتهم أحياء وقد أبقى الله لك مايسؤوك وإن محمداً يسمع كلامك الآن. وانصرف أبو سفيان وهو يقول يوم بيوم، والحرب سجال، فقال له عمر: لا سواء قتلاكم في النار وقتلانا في الجنة. ثم انصرف ومعه جيش المشركين وهو يتوعد المسلمين ويقول: إن موعدكم ببدر للعام القادم .

٤ - نتائج القتال :

ا - خسر المشركون اثنين وعشرين رجلا منهم، وكانت هزيمتهم في الجولة الأولى، وخسروا كثيرا من معداتهم وأسلحتهم وأموالهم. إلا أنهم في الجولة الثانية استعادوا هيبتهم العسكرية في نظرهم وانسحبوا معتقدين أنهم حققوا هزيمة المسلمين، وأرادوا أن يعودوا سريعا إلى مكة حتى يحافظوا على هذه النتيجة .

ب - أما المسلمون فقد كانت الجولة الثانية بالنسبة لهم مؤلمة في نتائجها القتالية حيث استشهد منهم سبعون رجلا على رأسهم حمزة عم رسول الله ﷺ. ولقد كانت نهاية حمزة وقد مثل به المشركون. ولاكت كبده هند بنت عتبة مؤثرة جدا في رسول الله ﷺ حَتىَّ هدد بالتمثيل لولا نهاه الله تعالى عن ذلك. وأمر رسول الله ﷺ بدفن الشهداء بملابسهم بعد الصلاة عليهم في موقع المعركة .

٥ - حمراء الأسد :

عاد المسلمون إلى المدينة متعبين ومُثخنين بجراحات كثير منهم، وكان البكاء يسمع على شهدائهم، حتى قال رسول الله ﷺ: أما حمزة فلا بواكي له، فبعث سادة الأنصار نساءهم يواسين أخواتهن المهاجرات من بني هاشم في البكاء على حمزة، حتى نهاهن النبي ﷺ عن النواحِ، وقبل أن يرتاح الجيش

العائد من أحد، أمر النبي ﷺ كل المقاتلين في أحد بالخروج لملاحقة جيش أبي سفيان، ولم يسمح حتى للجرحى بالبقاء في المدينة حتى وصلوا وعسكروا بحمراء الأسد على طريق المدينة مكة. وحينما سمع أبو سفيان بأن جيش المسلمين يطارد جيشه، أسرع المسير عائدا إلى مكة ليحافظ على نصر موهوم، ولأنه لم يعد جيشه قادرا على الصمود في معركة أخرى وقد أصبح في وضع وتموين وأرض لا يضمن فيها النتائج لصالحه .

وبهذه الحركة استطاع الرسول ﷺ، أن يرفع من معنويات جيشه، فهم يطاردون عَدُوَّهم ولو بقوا في المدينة لانشغلوا بجراحاتهم وبكائهم على شهدائهم، وهو بهذا يُفَوِّتُ الفرصة على المنافقين واليهود المُتَشَفِّينَ بهذه النتيجة .

٦ - دروس وعبر من غزوة أحد :

ا - السمع والطاعة للقائد لها أهمية كبيرة، وهما من عوامل النصر ولذلك كانت مخالفة الرماة خطيرة جدا حوّلت مجرى المعركة من نصر محقق إلى خسائر فادحة .

ب - أن الطمع المادي حتى ولو كان مباحا يؤدي إلى الهزيمة، ولذلك أنسى هذا الطمع الرماة أوامر رسولهم الشديدة بعدم النزول عن الجبل حتى ولو هزم المسلمون .

جـ - على المسلمين أن يعرفوا أن للنصر أسبابا وللهزيمة أسبابا ، وأن سنن الله تعالى لا يُحَابِىَ فيها أَحَدٌ، فالمقدمات توصل إلى النتائج. وأن الخلل في الأسباب عرّض المسلمين لدرس قاس، فجرح نبيهم وقتل سبعون منهم وجرح الكثير .

د - يجب ألا يستسلم المسلمون للضعف أو الهزيمة، وأن الله تعالى يمحصهم بالنقمة، فإذا ماتعلموا الدروس ونجحوا في الامتحان كان لهم النصر في الدنيا والرضى بالجنة في الآخرة، ولذلك يُسَلِّى الله المؤمنين بقوله

وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

نشـــاط :

اقرأ غزوة أحد من كتاب السيرة النبوية لابن هشام واجمع منه أربعة مواقف بطولية لأصحاب رسول الله ﷺ في المعركة .

واستخلص منها العبر والدروس .

---

١ - سورة آل عمران (١٣٩ - ١٤٣).

غزوة بني المُصطلق (المريسيع)

عناصر الدرس :

١ - بين يدي الغزوة.
٢ - تاريخ الغزوة.
٣ - سبب الغزوة وأهدافها.
٤ - قوات الطرفين وتحشدها.
٥ - النتائـج.

١ - بين يدي الغزوة :

سببت نتائج معركة أحد اهتزازا في تقدير الوضع العام للمسلمين في المدينة، فقد طمعت بعض القبائل العربية واليهود في المسلمين. فكان لابد لرسول الله ﷺ من استعادة الهيبة للمدينة كما كانت قبل أحد وبعد بدر. فأخذ يوجه السرايا والبعوث بهدف نشر الدعوة وتأديب القبائل واستعادة الهيبة. فبعث بعد شهرين من أحد سرية أبي سلمة في مائة وخمسين جنديا إلى بني أسد حين سمع بأنها أعدت نفسها للهجوم على المدينة، ففاجأتهم السرية وهم مازالوا في مرحلة الاستعداد، فهاجمتهم وغنمت منهم وطاردتهم. كما بعثت دورية عبدالله بن أنيس ليستطلع أخبار بني لحيان مقتل قائد جموعهم. ثم لقّن النبي ﷺ بني النضير[1] درسا قاسيا لتآمرهم على اغتياله .

وفي السنة الرابعة في رمضان خرج رسول الله ﷺ إلى بدر الموعد حيث توعد أبو سفيان المسلمين في أحد اللقاء على بدر في السنة التالية . وكان مع النبي ﷺ أكثر من ألفي جندي، ولكن قريشا رجعت بعد أن أوهَـمت أنها خارجة لسوء موسمها ذلك العام. كما أدب النبي ﷺ في غزوة دومة الجندل

---

١ - كما سنبين في الوحده الثامنة.
كما رجح ابن حجر في فتح الباري ٤٣/٧. والمغازي للواقدي ٤٤٠/١.

القبائل التي تسكنها بسبب قطعها للطريق ونهبها للقوافل . وتحشدها على مهاجمة المدينة.

٢ - تاريخ غزوة بني المصطلق :

وقعت هذه الغزوة ليلة الإثنين في الثاني من شعبان في السنة الخامسة للهجرة .

٣ - سبب الغزوة وأهدافها :

ا - السبب المباشر لهذه الغزوة أن بني المصطلق وهم إحدى قبائل خزاعة من الأحابيش الذين اشتركوا في أحد ، طمعوا في غزو المدينة ظانين أن المسلمين بعد معركة أحد أصبحوا ضعافا. فقام سيدهم الحارث بن أبي ضرار يُجَمِّع العرب ويحشد قومه للهجوم على المدينة في منطقه تسمى المريسيع وهي عين ماء .

ب - ولهذا أراد النبي ﷺ الانتقام من هذه القبيلة المعادية، وقد سبق لها أن حاربت مع المشركين، وأصبح من الضروري تأديبها وتشتيت جمعها، لاسيما وأن موقعها في الطريق الرئيسي المؤدي إلى مكة ، ولذا كانت تشكل حاجزا في وجه النفوذ الإسلامي على هذا الطريق .

٤ - قوات الطرفين وتحشدها :

ا - كانت قوّات المشركين جموعا كثيرة من بني المصطلق وممن أقنعوهم من العرب بقيادة الحارث بن أبي ضرار، وقد جهزوا سلاحا كثيرا وخيلا وتهيَّئوا للمسير حتى وصلوا ماء المريسيع .

ب - ولما علم النبي ﷺ بذلك أرسل بُرَيْدَةَ بن الحُصيب الأسلمي عينا عليهم وهم لايعرفونه، فوجدهم مغرورين فسألوه عن نفسه، فطمأنهم أنه لما سمع بمسيرهم جاء إليهم ليأتيهم بقومه يشاركهم في استئصال الإسلام، فسروا بذلك، وعاد بريدةَ وأخبر النبي ﷺ خبر القوم،

فحشد النبي ﷺ ألف رجل من المسلمين معهم ثلاثون فرسا، وكان في القوم كبار الصحابة. وخرج من المدينة خلق كثير من المنافقين لم يخرجوا سابقا طمعاً في الغنائم حيث المسافة قريبة .

جـ - سار جيش المسلمين ليلا حتى لاتكشف حركته، وكان لواء المهاجرين لأبي بكر، ولواء الأنصار لسعد بن عبادة، ووصل الجيش إلى المريسيع وكانت قد أمسكت دورية المسلمين الاستطلاعية جاسوساً من بني المصطلق على مسافة أربعة عشر ميلاً من المدينة. فقال له عمر: لتصدقن أو لأضربن عنقك، فاعترف. فدعاه رسول الله ﷺ الى الإسلام، وأجل البتّ في هذه القضية حتى يرى مايصنع قومه فإن أسلموا أسلم، وإلا فهو على دين قومه. فأمر النبي ﷺ بضرب عنقه لأنه محارب جاسوس ورفض الدعوة إلى الله، ولما علم بنو المصطلق بقتله، خافوا خوفا شديدا وتفرق من كان معهم من جموع الأعراب، وانكشفوا وحدهم. وأمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب أن يدعوهم إلى الإسلام فأبوا فأمر النبي بأن يشد المسلمون عليهم شدة واحدة فما أفلت منهم أحد، وكان شعار المسلمين في هذه الغزوة يامنصور أمت أمت ولهذا الشعار وقع شديد في نفوس المجاهدين، يبشرهم أنهم منصورون وأنه ليس لعدوهم إلا الموت .

٥ - النتائـــج :

ا - تَشَتَّت الجمع وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم من الرجال ومعهم مائتان من النساء غير الذرية. وغنم المسلمون مواشيهم وكانت كثيرة جدا بلغت ألفي بعير وخمسة آلاف شاة. وقسّم النبي ﷺ السبي بين الرجال والغنائم بين المقاتلين. وجعل منها سهما للصدقات على اليتامى والمساكين والضعفاء .

ب ـ كان في السبايا جويرية بنت زعيم بني المصطلق، وكانت من نصيب ثابت ابن قيس وابن عم له ، فدفع ثابت لابن عمه ، ثم طلب منها تسعة أواق ذهب ليحررها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تقول له: (يارسول الله إني امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وأنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، أصابنا من الأمر ماقد علمت ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له فتخلصني من ابن عمه بنخلات له بالمدينة، فكاتبني على مالا طاقة لي به ولايدان، وماأكرهني على ذلك إلا أني رجوتك صلى الله عليك، فأعني في مكاتبتي)[1] فرق النبي لحالها وأراد إكرامها فهى بنت سيد قومها، فعرض عليها أن يدفع عنها كتابتها وأن يتزوجها، فوافقت فدفع عنها وحررها وتزوجها. ولما علم المسلمون بذلك، ترك كثير منهم مافي أيديهم من السبايا وأعتقوها وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، حتى قالت عائشة: فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها[2] .

جـ - وقعت أحداث في هذه الغزوة من المنافق عبدالله بن أبي ابن سلول، ولم يكتف بذلك بل أشاع خبر الإفك في المدينة وفي طريق العودة من الغزوة كما سيعالج في وحدة قادمة.

---

(١)، (٢): من حديث عائشة في مسند أحمد ٢٧٧/٦ والحاكم في المتدرك ٢٦/٤. وابن هشام في السيرة ٨/٤ - ٩.

النشـــاط :

ارجع إلى كتاب (فقه السيرة النبوية) للبوطي واقرأ ماكتبه عن غزوة بني المصطلق بتدبر.

واكتب تقريرا عن حكم العزل في الاسلام مستفيداً من المراجع الفقهية.

غزوة الأحزاب ـ الخندق (١)

عناصر الدرس :

١ - تاريخ الغزوة.
٢ - أسباب الغزوة وأهدافها.
٣ - قوات الأحزاب واستعداداتهم.
٤ - استعدادات المسلمين للحصار وقواتهم.

١ - تاريخ الغزوة :

خرج المشركون في أواخر شهر شوال وبدأ النبي ﷺ ومن معه يحفرون الخندق في بداية شهر ذي القعدة واستمر حصار الأحزاب للمدينة لسبع بقين من شهر ذي القعدة في السنة الخامسة للهجرة[1] .

٢ - أسباب الغزوة وأهدافها :

ا - رغبة قريش في استئصال المسلمين، وقد توعّدوا يوم أحد أن يخرجوا إليه في موسم بدر، فتحداهم وخرج ولم يخرجوا وأرادوا هذه المرة أن يخرجوا مع كل قبائل الشرك في الجزيرة .

ب - خيانة اليهود من بني النضير الذين شَتَّتَهُم النبي ﷺ بسبب تآمرهم عليه، فذهب زعماء يهود إلى قريش وغَطَفَان وسليم وبني مرة وأشجع وسائر القبائل المشركة يؤلبونهم على قتال المسلمين وَيَعِدُونَهُمْ أنهم سينقضون عهدهم من محمد ، كما أَطْمَعُوا بعض القبائل العربية بموسم كامل من تمر المدينة .

---

١ - بالجمع بين روايات ابن هشام وابن سعد والواقدي.

جـ - أما أهداف المسلمين فهو دفع العدوان الذي أحاط بالمدينة ، حفاظا على الإسلام ورسوله ودولته ، وعلى هيبة المسلمين .

٣ - قوات الأحزاب واستعداداتهم :

تحشدت قوات الأحزاب وقوامها عشرة آلاف مقاتل، ستة آلاف منهم من قريش وأهل مكة ، وأربعة آلاف من قبائل غطفان وأشجع وبني سليم وأسد وفزارة، يضاف إلى هذه القوات العدو الداخلي الماكر يهود بني قريظة في المدينة لأنهم نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ وكان لهذه القبائل ألوية بقيادة زعمائهم منهم عُيَيْنَةَ بن حِصْن الفزاري وكان القائد الأعلى للقوات أبو سفيان .

وقد عسكرت هذه القوات من الجهة الشمالية للمدينة، وهي المنطقة المفتوحة، فعسكرت غَطَفَان إلى جانب جبال أحد وعسكرت قريش في وادي العقيق، وأكملت سائر العساكر إحاطتها بالمدينة حتى بانت المدينة محاصرة تماما .

٤ - استعدادات المسلمين للحصار وقواتهم :

١ - الاستعلامات : وصلت أخبار الأحزاب ومسيرهم إلى رسول الله ﷺ عن طريق ركب من خزاعة[١] وهى قبيلة محالفة للرسول ﷺ ولبني المطلب حتى قبل الإسلام، وقد وصل هذا الركب مسرعا في أربعة أيام. ولما سمع النبي ﷺ منهم الخبر أرسل دورية استطاع للأخبار مكونة من صَحَابِيَّيْن هما سليط وسفيان بن عوف فأمسك بهما المشركون وقتلوهما وأتي بهما للرسول ﷺ فأمر بدفنهما في قبر واحد[٢] .

---

١ - المغازي للواقدي ٤٤٤/٢ وامتاع الاسماع للمقريزي ٢١٩/١.
٢ - السيرة الحلبية ٦٣٦/٢. د. أبو فارس: غزوة الأحزاب ص/٩٤.

ب - استشارة النبي ﷺ لأصحابه: جمع رسول الله ﷺ أهل الرأي من زعماء المهاجرين والأنصار، وأخبرهم بمسير الأحزاب ، فما الرأي ؟ هل يقاتلون داخل المدينة أم خارجها ؟ ولاشك أن الرأي هذه المرة سيرجح القتال داخل المدينة، لأن درس أحد والقتال خارجها مازال شاهدا. ولكن رأيا جديدا برز إلى التخطيط العسكري في ميدان القتال وهو رأي سلمان الفارسي، إذ قال: يارسول الله إنا إذ كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل، خندقنا علينا، فهل لك يارسول الله أن نخندق؟ أي نضع خندقا؟ فأعجب رسول الله ﷺ برأي سلمان كما أعجب المسلمون به، ولم يكونوا يعرفون هذه الخطة في القتال، لأنها لم تكن معروفة لدى العرب .

حفـر الخنـدق :

(١) الأمر بحفر الخندق: وحفر الخندق يعني إقفال الجهة الشمالية الوحيدة المفتوحة للمدينة، وطول هذه المنطقة قد يتجاوز العشرين كيلومترا. وحتى يمنع الخندق اختراق الخيل وقفزها قرر النبي ﷺ أن يكون عرضه قرابة الأربعة أمتار، وأن يكون عمقه يتجاوز الثلاثة أمتار. وبهذا يكون المسلمون قد فاجأوا المشركون بخطة عسكرية لايعرفونها، ولا يستطيعون اختراقها، لأنهم لايعرفون هذا النوع من الخطط ولايعرفون عواقب اختراق هذا الخندق، وصدرت الأوامر بالحفر وشارك في الحفر قرابة ألف من المهاجرين والأنصار وكان نصيب كل عشرة رجال أربعين ذراعا ، وقسّم النبي ﷺ عليهم العمل عشرات حتى أتموا حفره في ستة أيام من غرب المدينة ـــ من عند مسجد الفتح حاليا ـــ إلى منطقة ذباب إلى جبل رانج في شمال شرق المدينة. وأصبح جبل سلع خلف ظهور المسلمين يتحصنون به.

(٢) النبي يشارك المسلين في الحفر: وكان رسول الله يشارك المسلمين في حفر الخندق، حتى إذا ما اعترضت صخرة صلبة طريقهم، فعجزوا عنها جاء رسول الله ﷺ فأخذ معوله وقال بسم الله فكسر ثُلُثَهَا وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشَّام والله إني لأبصر قصورها الحمراء، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثها الآخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض، ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر، فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر صنعاء من مكاني هذه الساعة[١]. فكان لهذه البشارة وقعها في نفوس المسلمين، وكانت قبسة أمل بالنصر في ظروف من الخوف والتعب والحصار. كما كان عليه الصلاة والسلام ينشد مع أصحابه وهم ينشدون ليحفز الهمم ويخفف التعب وينشط سواعدهم :

اللهم لولا أنت مااهتدينا.. ولا تصدقنا ولا صلينا ..
فأنزلنا سكينة علينا.. وثبت الأقدام إن لاقينا..
إن الألى قد بغوا علينا.. إذا أرادوا فتنة أبينا..)[٢] .

(٣) النبي يواسيهم ويدعو لهم : وقد كان المسلمون في غاية التعب والإرهاق، والجوع وهم يسابقون الزمن في سرعة إنجاز الحفر، قبل أن يصل إليهم عدوهم ويدخل عليهم مدينتهم. حتى إذا ماكان يشكو أحدهم الجوع لرسول الله ﷺ وأنه ربط حجرا على وسطه ليسكت جوعه، رفع له النبي عن بطنه فوجده قد ربط حجرين على بطنه كذلك، وهكذا يشارك القائد شعبه تعبهم والعمل معهم في الحفر،

---

١ - أحمد في المسند ٣٠٣/٤ وحسنه ابن حجر في فتح الباري ٣٩٧/٧ وله شاهد في البخاري (فتح الباري) رقم ٤١٠١ جزء ٣٩٥/٧ .

٢ - صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الخندق رقم ٤١٠٦ وصحيح مسلم: كتاب الجهاد رقم ١٨٠٣ .

ويشاركهم جوعهم، ومع ذلك كانوا في غاية النشاط والجد، ويجدِّدُون العهد للرسول ﷺ فينشدون :

نحن الذين بايعوا محمدا.. على الجهاد مابقينا أبدا

فيجيبهم رسول الله ﷺ ، ويدعو لهم اللهم إن العيش عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة[1] .

(٤) من معجزاته ﷺ : كان جابر بن عبدالله يحفر مع المسمين في الخندق فرأى رسول الله ﷺ وهو يعمل معهم جائعا، فذهب إلى زوجته فقال لها اصنعي طعاما فأخذت تخبز وتذبح جديا، ودعا رسول الله ﷺ، وإذ بالرسول ينادي المهاجرين والأنصار من الذين كانوا يحفرون، إلى بيت جابر، ففزعت امرأته إذ كيف لها أن تطعم هذا العدد الكبير، وكل ماعندها خبز قليل وجدي تشويه، فأمرها النبي ﷺ ألا تخرج الخبز واللحم من التنور (الفرن) وصفّ المسلمين وجعل يأخذ الخبز ويضع لهم عليه من اللحم حتى شبعوا جميعا، وبقى طعام كثير لأهل بيت جابر وطلب منهم أن يهدوا الناس منه لكثرته[2] . وهذه من معجزاته عليه الصلاة والسلام، إذ كثّر الله الطعام ببركته .

د – قوات المسلمين: بدأت قوات المسلمين كبيرة جدا، فقد شارك في الحفر مايزيد على ألف مهاجر وأنصاري، وتجهز للقتال نحو ثلاثة آلاف في بداية الأمر، ولكن انسحب المنافقون يدعون أن بيوتهم عورة أي تحصيناتها ضعيفة، ويمكن أن يدخل الأحزاب من جهتهم، وتراجع بعضهم بسبب ماعلموه من نقض يهود بني قريظة للعهد، وبقي ثمانمائة

---

١ – صحيح البخاري رقم ٤٠٩٩ ٤٩٢/٧ وصحيح مسلم رقم ١٨٠٥.

٢ – القصة في الصحيحين البخاري رقم ٤١٠١ ومسلم رقم ٢٠٣٩.

أو تسعمائة يتبادلون الحراسة وأعمال الدوريات، حتى تجد الثلاثمائة في كل دورية .

وقد جعلت القوات الإسلامية ظهرها إلى جبل سلع، وأخذت تحرس الخندق على امتداده حراسة قوية، كما كانت حراسات خاصة لخيمة القيادة خيمة رسول الله ﷺ ــ وبذلك اكتمل حصار القوات الغازية للمدينة. واكتملت تحصينات المسلمين بالخندق والدوريات المسلحة. وجمع الرسول النساء والأطفال في بيوت قوية البنيان داخل المدينة، وبدأ الحصار وكان شعار المسلمين (هم لاينصرون) .

النشـــــاط :

١ - راجع في كتاب السيرة النبوية لابن هشام.

خطة اليهود في تأليب الأحزاب على الرسول ﷺ واستنبط منها عبرتين ودونهما في دفترك .

غزوة الأحزاب ـ الخندق ـ (٢)

عناصر الدرس :

١ - يهود بني قريظة ينقضون العهد.
٢ - اشتداد الحصار.
٣ - الحرب خدعة.
٤ - الهزيمة الكبرى للأحزاب.
٥ - نتائج المعركة وأهميتها.
٦ - دروس من غزوة الخندق.

١ - يهود بني قريظة ينقضون عهد النبي ﷺ :

كان رسول الله ﷺ قد عقد لليهود عهدا يقوم به بنو قريظة بالدفاع عن المدينة مع المسلمين، وقد كانوا يسكنون في أعالى المدينة، وقد حصن النبي ومن معه المدينة من دخول الأحزاب من الجهة الشمالية، على أن يحمي بنو قريظة المدينة من جهتهم. وإذا بِحُيِّ بن أخطب ينتقم لبني النضير الذين طردهم النبي من المدينة، فيقنع زعيم قريظة كعب بن أسد بنقض عهده مع الرسول ﷺ. ولما علم الرسول ﷺ بأنهم نقضوا العهد بعث إليهم حواريه الزبير بن العوام يستطلع خبرهم، فعاد فأخبره بأنهم يصلحون حصونهم، وَيُدَرِّبُونَ طرقهم وقد جمعوا ماشيتهم وهذه دلالات واضحة على أنهم إنما يريدون أمرا. فدعا رسول الله ﷺ سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وعبدالله بن رواحة وأخبرهم، وبعثهم إليهم وفدا يذكرونهم بالعهد، فتنكر بنوقريظة وأنكروا العهد، فعاد أصحاب رسول الله ﷺ يخبرونه بأن يهود قد

خانت، ولكن رسول الله ﷺ بعث الأمل في نفوس المسلمين فقال: (الله أكبر أبشروا بنصر الله وعونه)[1] .

وأخذ المنافقون يروجون الإشاعات، ويخوفون المسلمين من عاقبة الحصار، فقال المنافق مغيث بن قُشير: يَعِدُنا محمد أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب فيقضي حاجته، ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا. ولما سمع النبي ﷺ بما يقوله المنافقون جدد بشراه للمؤمنين بالنصر وإنه ليرجو من الله أن يطوف بالبيت العتيق وأن يأخذ مفاتيح الكعبة وأن يهلك الله له كسرى وقيصر، ولَيُنفِقنَّ أموالهم في سبيل الله .

٢ - اشتداد الحصار :

اشتد حصار الأحزاب للمدينة، وقد جن جنون أبي سفيان، حينما فوجيء بخطة للقتال حصّنت المدينة تحصينا تاما، ولم يكن له ولا لقومه خِبرة بقتال الخنادق. فبعث رسالة للنبي ﷺ يقول له فيها: أحلف باللات والعزى، وأساف ونائلة وهبل، لقد سرت إليك أريد استئصالكم فأراك قد اعتصمت بالخندق، وكرهت لقاءنا، ولك منا يوم كيوم أحد. فبعث له النبي ﷺ ردا يُجيبُ على استفزازاته وغيظه منه: قد أتانا كتابك، وقديما غرك ياأحمق بني غالب وسفيهم بالله الغرور، وَسَيَحوُلُ الله بينك وبين ماتريد، ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأسافا ونائلة وهبل ياسفيه بني غالب [2]

أخذ أبو سفيان وقواته تدور حول الخندق، بحثا عن نقطة ضعف لاختراقِهِ ، فلايجدون، والمسلمون يقفون من داخل الخندق يرشقونهم بالنبل،

---

١ - مغازي الواقدي ٤٥٩/٢.

٢ - السيرة الحلبية ٦٥٧/٢ . وإمتاع الأسماع للمقريزي ٢٣٩/١ .

ويرمونهم بالحجارة التي استخرجوها من الحفريات. حاولت مفرزة من جنودهم بقيادة عمرو بن ود وعكرمة بن أبي جهل أن تقتحم منطقة ضيقة من الخندق، وتصدّى لهم علي بن أبي طالب فقتل عمرو بن ود وانهزم الباقون .

وكان رسول الله ﷺ يحرس بنفسه نقطة ضعيفة في الخندق، ومعه كبار الصحابة وشجعانهم من المهاجرين والأنصار حتى شغلوه والمسلمين عن صلاة العصر.

وقد نظم النبي ﷺ جنوده في حراسات مستمرة متناوبة لأن مدة الحصار طالت على المسلمين، ولا تعدو الأحداث المناوشات والتراشق بالنبال، حتى لاينفذ المشركون رغم محاولاتهم المستمرة من الخندق. وقد أصاب المشركون سعد بن معاذ بسهم فجرح جرحا شديدا وكان عليه الصلاة والسلام منتبها جدا لإمكانية غدر اليهود، حيث كانت له حراسات ودوريات لحماية المدينة. فقد دخلت دورية يهودية من عشرة أفراد المدينة ليلا حتى وصلت البقيع، فتراشقوا النبال مع دورية للمسلمين وهرب اليهود وطاردهم المسلمون حتى دخلوا حصونهم .

وقد استشار الرسول الأنصار في فك الحصار عن المدينة، بشق صف الأحزاب، ومداراة غطفان وقائدهم عُيَيْنَة بثلث ثمار المدينة على أن يرجع مع قومه ويضعف الأحزاب، فأشاروا بغير ذلك، وقالوا: يارسول الله كنا وهؤلاء على الشرك لايطمعون أن يأكلوا منا تَمْرَةً إلا قرى – طعام ضيفَ – أو بيعا، فالآن وقد أعزنا الله بك والله لا نعطيهم إلا السيف فسر النبي ﷺ لرأيهم[1].

---

١ – ابن هشام : السيرة النبوية ٢٦٣/٣ والحديث حسن.

٣ - الحـــرب خدعـة : [1]

وأثناء هذا الحصار الشديد على المسلمين، كما هو أيضا شديد على الأحزاب لأنه طالت غيبتهم، فقد خرجوا منذ شهر من مكة، وكلما زادت الأيام نقص ثمونهم وأرزاقهم، وتسرب اليأس إلى جيشهم، والمدينة يزداد تحصينها يوميا، واليهود جبناء وأضعف من أن يوفوا لهم بعدهم، فقد جبنوا واختبأوا في حصونهم. وإذا بنعُيم بن مسعود وهو مسلم سرا وممن خرج مع عُيَيْنَةَ بن حصن يأتي إلى النبي ﷺ ويعرض عليه أن يخذل عنه، فقال النبي ﷺ: خذل عنا فإن الحرب خدعة. وذهب نعُيم إلى يهود بني قريظة وكان صديقا لهم حميما، يأكل ويشرب عندهم وموضع ثقتهم. وقال لهم: إن قريشا وغطفان ليست مثلكم، فقد طال الحصار وتضايقوا فإذا ماغادروا إلى بلادهم فسينتقم منكم محمد وأصحابه. ولذا فاطلبوا منهم رهنا حتى تقاتلوا معهم، ولاتقبلوا الرهن إلا رجالا من أشرافهم. وطلب منهم أن يكتموا خبره. وذهب إلى قريش على أنه من غطفان ويريد نصيحتهم، فقال: علمت أن بني قريظة ندموا على نقضهم العهد مع محمد، ووعدوه حتى يرضى عنهم أن يسلموه أشرافا من رجالات قريش فيقتلهم، ثم ذهب إلى غطفان وأخبرهم كذلك . وعاد إلى يهود يشدّد عليهم ويخبرهم أن جواب قريش يوم أن أرسلت إليها بنو قريظة بطلب الرهائن، أنها لايمكن أن تأمن اليهود، وبالتالي زرع نعيم الفساد بين اليهود والأحزاب وكانت الأحداث تجرى بين الأطراف تؤكد صدق ماقاله نعيم لدى كل طرف .

٤ - الهزيمة الكبرى للأحزاب :

١ - أثر خطة نعيم : نفد صبر قريش وسائر الأحزاب، وقرروا أن ينهوا هذا

---

١ - انظر القصة بالتفصيل في السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٥/٣ - ٢٦٦ ومغازي الواقدي ٤٨٠/٢ - ٤٨٧ وفتح الباري لابن حجر ٤٠٢/٧.

الحصار بالهجوم الشامل على المدينة،ولكنهم شكوا في أن قريظة التي أوهمتهم وخدعتهم أنها ستكون اليد القوية الغادرة بالإسلام ، فبعثوا لقريظة وفدا ليلة السبت، وقال لقريظة: لقد لقينا من البلاء وطول الانتظار والحصار دون جدوى مالقينا، هلكت جمالنا، وخيولنا، وتعب جنودنا، وأنتم مرتاحون في حصونكم وقد آن الأوان أن تقفوا معنا حتى نقاتل محمدا وننتهى من استئصاله. فأجابهم اليهود، بأننا لانقاتل يوم السبت، فهو يوم مقدس عندنا، وقد أحدث فيه قوم منا سابقا فمسخهم الله تعالى ، كما أننا لايمكن أن نقاتل حتى نأمن جانبكم بألا تعودوا عنا وتخذلونا، وذلك بأن تعطونا رهنا من أشرافكم. فتأكدت قريش والأحزاب من كلام نعيم بن مسعود، وقالوا لبني قريظة، والله لانعطيكم رجلا واحدا، ودبت الفرقة بينهم وتخلخل موقف الأحزاب .

ب - دعاء النبي ﷺ على الأحزاب :

وأخذ رسول الله ﷺ يقوم الليل ، ويدعو في صلواته وخارجها أن ينصر الله دِينَهُ ويهزم عدوه، وكان من دعائه: (اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم)[1] (لا إله إلا الله وحده أعز جنده، ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده)[2] ومن دعائه كذلك: (اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إنك إن تشأ لاتُعْبَد)[3] وهكذا يكون للدعاء أثره ، فإذا كانت الخطط العسكرية من عوامل النصر ، فإن الدعاء سبب من أسبابه كذلك ، لأنه عبادة واتصال بالله تعالى الذي بيده نصر المؤمنين وهزيمة الكافرين .

---

١ - صحيح البخاري : كتاب المغازي. رقم (٤١١٥) ٤٠٦/٧ ومسلم في كتاب الجهاد رقم ١٧٤٢.
٢ - صحيح البخاري : رقم (١٤١٤) ومسلم رقم (٢٧٢٤).
٣ - البيهقي : دلائل النبوة ٤٠٣/٣ - ٤٠٤ ومغازي الواقدي ٤٧٧/٢.

جـ ــ ريح شديدة وهزيمة الأحزاب وانسحابهم :

وجاءت ليلة باردة وريح شديدة ، والمسلمون يثبتون ويصبرون في حراسة رسولهم ومدينتهم ورسول الله ﷺ يقوم الليل ، ويلتفت ويقول: من رجل ينظر لنا أخبار القوم ، فما قام أحد من شدة الجوع والبرد ، فدعا رسول الله ﷺ أمين سره حذيفة بن اليمان وأمره بالذهاب إليهم يقول حذيفة، فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل ماتفعل، لاتقر لهم قدر ولا نار ولا بناء فقام أبو سفيان ابن حرب، فقال يامعشر قريش لينظر امرؤ إلى جَليسِه، فقال حذيفة فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي، فقلت من أنت؟ ثم قال أبو سفيان: يامعشر قريش إنكم والله ماأصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع ــ الخيل ــ وأخلفتنا بنو قريظة.. ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا إني مرتحل.. ولولا عهد رسول الله ﷺ: لا تحدث شيئا حتى تأتيني لقتلته بسهم. ثم رجعت إلى رسول الله وهو قائم يصلّي فكأني أمشي في حمام[1] ولما علمت غطفان وسائر الأحزاب ، برحيل قريش ارتحلوا ، وهكذا أعز الله الإسلام ، وهزم الأحزاب وعادت خائبة خاسرة .

٥ – نتائج المعركة ، وأهميتها :

ا– خسرت قريش والأحزاب معها المعركة وانقلبوا بهزيمة منكرة، وفرق الله جمعهم، ولم يظفروا بأهدافهم، وَبَقِيَ الإسلام قويا بل زادت قوته، وخسروا سمعتهم التي يتفاخرون بها، وكانت المعركة معركة أعصاب ولم تكن معركة خسائر[2] .

ب – نجح المسلمون في الدفاع عن الإسلام والرسول والمدينة، وارتفعت معنويات المسلمين، وأعز الله تعالى هذا الدين وجنوده .

---

١ – صحيح مسلم رقم (١٧٨٨).

٢ – فقه السيرة للغزالي ص ٣٢١.

جـ - انكشف منافقون كثير في هذه المعركة ، كما انكشف غدر يهود بني قريظة، فكانت غزوة الأحزاب سببا مباشرا في تصفية هذا الوكر آخر أوْكار اليهود في المدينة، ولذلك ما أن انتهى انسحاب الأحزاب حتى أصدر الرسول ﷺ أوامره بالهجوم على بني قريظة لتصفيتهم، فقال (لايصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)[1].

د - ولذلك كان لهذه الغزة أهمية كبرى حيث الأحزاب والقبائل بقيادة قريش على المدينة وفشلهم وهزيمتهم، فمن يجرؤ بعد ذلك على الاعتداء على الإسلام وأهله ؟ وما أجمل تحليل النبي ﷺ لنتائج هذه الغزة وبيان قيمتها إذ قال (الآن نَغْزُوهُمْ ولا يغزوننا. نحن نسير إليهم)[2].

وكانت نهاية عهد الدفاع عن الدعوة وبداية عهد الهجوم على المشركين .

---

١ - صحيح البخاري رقم (٤١١٩).

٢ - صحيح البخاري رقم (٤١٠٩ - ٤١١٠) ٤٠٥/٧.

٦ - دروس من غزوة الخندق :

ا - شيمة اليهود الغدر دائما، فهم لا عهود لهم ولا مواثيق فحقدهم على الإسلام لايتوقف، ولادين لليهود يردعهم ، فهم يتآمرون مع الوثنين المشركين عبدة الأصنام، على المسلمين الذين يعبدون الله وحده .

ب - لقد كان للقيادة الحازمة ، وللشورى أثر كبير في توجيه المعركة وكسب النصر، فرسول الله ﷺ أخذ رأى سلمان الفارسي في خطة عسكرية جديدة، مما يؤكد حرص المسلمين على إدخال كل جديد نافع في حياتهم ، لأن الحكمة ضالة المؤمن. كما أخذ برأي أصحابه بعدم معاهدة عُيَيْنَةَ بن حصن على أن يعودوا له بِبَعْض ثمار المدينة .

جـ - كان حرص جنود المسلمين كبيرا على قائدهم رسول الله ﷺ ، وكانت حراسة مشددة دائما حوله عليه الصلاة والسلام .

د - ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى للقائد الذي يشارك المسلمين أعمالهم ، فحفر معهم في الخندق ، وشاركهم في حماية الخندق وحراسته واشترك معهم في كثير من عمليات المناوشة والقتال .

هـ - إن للدعاء أثره الكبير في النصر، فما ترك النبي ﷺ الدعاء يوما في سلم أو حرب، كما كان يقوم الليل ، لأن الصلة بالله من أوثق عوامل النصر .

نشـاط :

اقرأ غزوة الخندق في هذا الدرس والدرس السابق ونظم جدولا في أسباب نصر الله للمسلمين وهزيمته للأحزاب .

٢ - شخصية الصحابي الجليل سلمان الفارسي ترتبط بهذه الغزوة (غزوة الأحزاب) ارتباطا حميما .

تكلم عن مكانة هذا الصحابي الجليل مستعينا بكتاب رجال حول الرسول لخالد محمد خالد .

صلح الحديبية (١)

عناصر الدرس :

١ - تاريخ غزوة الحديبية.
٢ - سببها وأهدافها.
٣ - قوات الطرفين.
٤ - مسير المسلمين إلى مكة.
٥ - موقف قريش.
٦ - بيعة الرضوان.
٧ - دروس وعبر.

١ - تاريخ غزوة الحديبية :

خرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين من المدينة يوم الإثنين في بداية شهر ذي القعدة في السنة السادسة للهجرة .

٢ - سببها وأهدافها :

ا - قصد النبي ﷺ من خروجه وخروج المسلمين معه أداء مناسك العمرة ، وذلك لرؤية رآها أنه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ مفتاح البيت ووقف بعرفة، فاستبشر بهذه الرؤيا كما استبشر أصحابه ، وعقد العزم على أداء العمرة .

ب - ومن أهداف هذا الخروج لأداء العمرة إثبات وجود الإسلام بعد غزوة الأحزاب وفشلهم ، وأن المسلمين أصحاب الحق في البيت الحرام .

جـ - كما أن في هذا الخروج دعوة لقريش بأن تتوقف عن القتال وأنه من الأفضل لها أن تسالم المسلمين فهم لايريدون الاعتداء رغم مافعلت بهم قريش. وإذا ماوقفت قريش في وجه من يريدون زيارة البيت الحرام ، فإنها تحرج نفسها أمام العرب وسائر القبائل لأنها تُسِيءُ إلى البيت وتمنع المعتمرين ، وبالتالي فإنها لا تصلح أن تكون وصية على قبلة العرب ومهبط أفئدتهم .

د - وأما قريش فكان هدفها أن تقف في وجه المسليمن حتى لايدخلوا مكة ، رغما عنهم على الأقل، وإن كانت لو استطاعت أن تمنعهم من الدخول نهائيا إلى البيت لما قصرت، فإنها بالأمس القريب كانت قد جمعت جموعها وأحزابها لاستئصالهم .

٣ - قوات الطرفين :

ا - كان عدد المسلمين الخارجين في هذه الغزوة بين مقاتلين ورجال ونساء وأطفال مايقارب ألفا وخمسمائة وليس معهم إلاّ سلاح المسافر .

ب - بينما كانت مكة بكل قواها وجيشها تقف في وجه المسلمين .

٤ - مسير المسلمين إلى مكة :

طلب الرسول من المسلمين أن يتجهزوا لأداء مناسك العمرة، وألا يحملوا معهم من السلاح إلا مايحمله الراكب، لأنه لايريد قتال قريش، وساق معه الهدي الذي سيذبحه لإطعام فقراء مكة، وطلب من الأعراب المنتشرين حول المدينة، أن يخرجوا معه، إمعانا في إحسان الظن، حتى تتأكد قريش أنه يريد عمرة ولايريد قتالا. واختار كذلك لخروجه شهر ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال عند العرب .

كما بعث النبي ﷺ عيناً له يخبر قريشا أن محمداً يريد العمرة ويعود ليخبر ردة فعلهم. كما حرص عليه الصلاة والسلام أن يغير الطريق المعتاد إلى طرق أخرى صعبة المسير حتى لايصطدم أصحابه ببعض دوريات المشركين ، فتنشب معركة لايريدها .

ومع هذا كله حرص رسول الله ﷺ أن يكون في طليعة المسير عبّاد بن بشر معه عشرون فارسا. حتى لايؤخذ المسلمون المحرمون ولحماية هذه الأعداد الكبيرة .

ووصل المسلمون إلى الحديبية، قريبا من مكة ، وهناك بركت ناقته ، فتشاءم المسلمون من بروكها، وقالوا خلأت أي حَرَنت وعاندت القصواء اسم ناقته عليه الصلاة والسلام، فقال الرسول ﷺ ماخلأت ولا هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل ، أي إن الله تعالى منعها من دخول مكة ، وأقسم رسول الله ﷺ فقال: والله لاتدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها[1] .

٥ - موقف قريش :

جن جنون قريش مما ترى، واجتمع ساداتها وقالوا: يريد أن يدخل علينا في جنوده معتمراً فتسمع العرب، والله لايدخلها علينا هكذا بالقوة، فإما أن يعود وإما أن نحاربه. وجهزوا قواتهم وأخذت بعض دورياتهم تطوف بمعسكر المسلمين، وأسر المسلمون بعضهم فعفا عنهم رسول الله وأرجعهم .

وجاء بديل بن ورقاء الخزاعي لرسول الله ﷺ يتوسط لديه فأخبره النبي ﷺ أنه ماجاء لقتال، وإنما يريد العمرة، وأنه لا مانع لديه من أن تتوقف الحرب بينه وبين قريش، فعاد بديل لقريش فرفضت ثم جاء الحليس بن علقمة

---

١ - ابن هشام : السيرة النبوية ٤/٢٥.

سيد الأحابيش، فبعث المسلمون في وجهه الهدي، فعاد قبل أن يصل وهدد قريشا أنهم إن أصروا على منعه فسوف يتخلّى عن الوقوف معهم. وجاء بعده عروة ابن مسعود وعاد أيضا مقتنعا أنه لاحق لقريش في منع من أراد العمرة، وأصرت قريش على موقفها، فبعث رسول الله ﷺ وفدا من المسلمين برئاسة عثمان بن عفان، يقنعهم، ومع ذلك رفضوا وحبسوا عثمان ومن معه فشاع في المسلمين خبر مقتل عثمان .

٦ - بيعة الرضوان :

فدعا رسول الله ﷺ المسلمين، وأخذ منهم بيعة الرضوان، فبايعوه على الشهادة وعدم الفرار من المعركة. لأن المشركين إن ثبت أنهم قتلوا عثمان ووفد النبي ﷺ، فقد أمعنوا في الشر وأصبح القتال واجبا. ثم بلغ النبي ﷺ أن عثمان لم يقتل وأنه حي، وأن المشركين خيروه إن أراد أن يطوف بالبيت، فرفض عثمان وقال: والله لو أقمت بمكة سنة ماطفت بالبيت والنبي ﷺ مقيم بالحديبية ممنوع من الطواف بالبيت .

٧ - دروس وعبر :

يتجلى في هذه الأحداث من غزوة الحديبية دروس وعبر أهمها :

ا - صدق النبي ﷺ وحسن نواياه وأنه كان يريد العمرة وليس القتال فقد اختار شهر ذي القعدة من الأشهر الحرام .

ب - حكمة رسول الله ﷺ في الخروج للعمرة، لإحراج قريش وكشف أمرها وأنها لاتستأهل البلد الحرام .

جـ - طبق النبي ﷺ حكمته إثر غزوة الأحزاب إذ قال اليوم نغزوهم ولا يغزوننا فهاهو ذا رسول الله ﷺ يصل قريبا من مكة وقريش لاتملك

من الجرأة الخروج إليه في طريق مسيره، مع علمها بقدومه بعدد كبير، لم يسبق له أن خرج مثله معه، فهو أشبه بمحاولة احتلال سلمي لمكة، ومن هنا كان اسم هذه العمرة غزوة الحديبية .

د - كما يظهر احتياط القائد وحرصه على رعيته، فقدم النبي ﷺ دورية الفرسان أمام الجموع، كما أرسل العيون، وأسرت دورياته بعض المشركين .

هـ - شجاعة رسول الله ﷺ وحبه لأصحابه فلما علم بإشاعة مقتل عثمان طلب المسلمين للبيعة على الثبات حتى الشهادة .

و - كما يظهر حب أصحاب رسول الله ﷺ وطاعاتهم، فلم يتخلف منهم أحد عن البيعة سوى منافق واحد. وأما موقف عثمان فكان رائعا جدا حيث رفض الطواف بالبيت حبا للنبي ﷺ وإيثارا له على نفسه وكان لهذا الموقف منه أثر في نفوس المشركين حيث أغاظهم فحبسوه .

النشـــــاط :

ابحث عن عبر أخرى لهذه الغزوة من المراجع المتوفرة في السيرة النبوية ولخص ذلك بأسلوبك.

صلـــح الحديبيـــة (٢)

عناصر الدرس :

١ - قريش تستعد للمفاوضات.

٢ - كتاب الهدنة.

٣ - آثار هذا الصلح.

٤ - نهاية غزوة الحديبية.

٥ - نتائج غزوة الحديبية وأهميتها.

١ - قريش تستعد للمفاوضات :

أرادت قريش أن تتخلص من هذه الورطة، فالمسلمون مصرون على تحقيق هدفهم، والعرب لاتعذر قريشا في موقفها ، وقد اتضحت نية الرسول وأصحابه في العبادة، كما علمت قريش أنها بموقفها تصعد الأمور ، فالمسلمون قرروا القتال، وبايعوا على الشهادة، ومطلبهم مشروع. فبعثت هذه المرة رجلا مفاوضا هو سهيل بن عمرو، وقد أدرك النبي ﷺ أن قريشا أرادت الصلح من معرفته بشخصية الرجل القادم فقال: قد أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل، ولما وصل وأراد المفاوضة، اشترط عليه رسول الله ﷺ أن تطلق قريش سراح عثمان وأصحابه، فاقتنع الرجل وأرسل إلى قريش فأطلقوهم، وتفاوض رسول الله ﷺ مع سهيل بن عمرو على مبادىء لهدنة بين المسلمين والمشركين مشروطة بعدة شروط واتفقا على كتابة هذا الصلح خطيا .

٢ - كتاب الهدنـة :

ا - كتابته : دعا رسول الله ﷺ علياً يكتب الكتاب وقال له: اكتب

بسم الله الرحمن الرحيم فاعترض سهيل وقال: لا أعرف الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم. فقال رسول الله ﷺ لعلي: اكتب باسمك اللهم، هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله ماحاربتك ولكن اكتب هذا ماصالح عليه محمد ابن عبدالله، فوافق رسول الله ﷺ، ولم يقف عند هذه الأمور حيث لاينشغل بالأمور الشكلية، وإنما المهم أن تكتب مبادىء الهدنة وشروطها .

ب - قواعد الهدنة (الصلح):

- أن تَقِف الحرب بين المسلمين والمشركين عشر سنين.
- أن يعود الرسول والمسلمون هذا العام إلى المدينة ليعودوا في السنة القادمة لأداء العمرة فَتُخْلي لهم قريش مكة ثلاثة أيام، ولا يدخلوا معهم إلا سلاح الراكب والسيوف في أغمارها .
- من أراد الدخول من القبائل والأعراب في حلف محمد فله ذلك ومن أراد الدخول في حلف قريش فله ذلك .
- من جاء محمدا من قريش من غير إذنها رده عليهم، ومن جاء قريشا من المسلمين من غير إذْنٍ لم ترده قريش على المسلمين .

٣ - آثار هذا الصلح :

ا - ثار عمر بن الخطاب ظنا منه أن في هذا الصلح هضما وتنازلا للمشركين، وأخذ يقول: يارسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ فقال رسول الله: بلى. قال عمر: ففيم نعطى الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟ فَهَدَّأ

النبي ﷺ من ثورة عمر الذي كان يريد القتال للمشركين، وطمأنه فقال: ياابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني ابدا[1]

ب - حضر أبو جندل ابن سهيل بن عمرو هارباً من المشاركين بعد أن كُتِبَ كتاب الصلح. فلما رآه والده ضرب وجهه وأخذ يجره، ويطالب النبي برده حسب شروط الصلح، وحاول الرسول أن يتوسط له لدى والده، ولكن سهيلا لم يقبل، فأخذ أبو جندل يصيح: يامعشر المسلمين، أنقذوني فإنهم سيفتنوني عن ديني.. ولكن رسول الله ﷺ لايخالف عهدا قطعه على نفسه، وما كان منه إلا أن قال له: ياأبا جندل، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

جـ - وقدم أبو بصير من مكة مسلما مهاجرا بعد الصلح، فجاء رجلان من مكة يطلبانه حسب الشروط في الهدنة، فسلمه الرسول لهما، وفي الطريق قتل أحدهما بسلاحه وهرب الآخر، وعاد للرسول وقال يارسول الله لقد وفيت لهم بالشرط. فقال الرسول: مسعر حرب لو كان معه أحد ، فخرج أبو بصير حتى وصل إلى مكان أمين في طريق تجارة قريش، ثم انضم إليه أبو جندل ومن على شاكلتهم من المسلمين الهاربين من مكة، وشرط الهدنة يمنع النبي من قبولهم، وشكلوا مجموعة عسكرية فدائية تقطع على المشركين طريق تجارتهم، وتقتل من يأتي في طريقهم. فما كان من قريش إلا أنها أرسلت للنبي ﷺ تناشده صلة الرحم أن يضم هؤلاء الأشقياء إليه، وهى متنازلة عن هذا الشرط في الهدنة .

---

١ - صحيح البخاري رقم (٤١٧٧).

٤ - نهاية غزوة الحديبية :

وهكذا انتهت عمرة الحديبية دون دخول المسلمين مكة، ولكنهم عادوا بصلح فيه كل الخير للمسلمين فطلب النبي من المسلمين أن يحلوا إحرامهم ويحلقوا ويذبحوا ذبائحهم. وعاد بالمسلمين على أمل أن يعودوا في السنة القادمة لأداء العمرة وفي الطريق أنزل الله تعالى على رسوله سورة الفتح ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾. ففهم المسلمون أن صلح الحديبية فتح مبين .

٥ - نتائج غزوة الحديبية وأهميتها :

ا - كانت هذه الغزوة فتحا مبنيا للمسلمين ، حيث اعترفت قريش بدولة الإسلام فعقدت معهم صلحا.

ب - أعطت سنوات الهدنة فرصة لالتحاق القبائل العربية بالإسلام ومحالفتها للمسلمين فقد دخلت خزاعة في حلف المسلمين مما أضعف قريشا وأضاع هيبتها وقوّى دولة الإسلام ورفع هيبة المسلمين ومعنوياتهم.

جـ - لم يخسر المسلمون عمرتهم، فقد عادوا في السنة التالية لقضاء عمرتهم وبهذا يكون المسلمون قد كسبوا عبادة وكسبوا ثمرات كثيرة من صلح الحديبية كان من أهمها فتح مكة كما سنبينه إن شاء الله تعالى .

نشـــاط :

١ - راجع كتاب السيرة النبوية لابن هشام وسَجّل في دفترك عناوين الأحداث من نهاية غزوة الحديبية إلى أولَ فتح مكة .

٢ - قد يرى بعض المتعجلين في صلح الحديبية ضعفا من المسلمين تجاه قريش ، حلل موقفك على ضوء الوقائع مستخلصا منها العبرة .

فتـــح مكـــة (١)

عناصر الدرس :

١ - تاريخ فتح مكة.
٢ - سبب الغزوة وأهدافها.
٣ - أبو سفيان يطلب تجديد الهدنة.
٤ - أمر النبي ﷺ أصحابه بالاستعداد والمسير.
٥ - سقوط القيادة.

١ - تاريخ فتح مكة :

خرج النبي ﷺ بجيشه في العاشر من رمضان في السنة الثامنة للهجرة ودخل مكة فاتحا يوم العشرين من رمضان .

٢ - سبب الغزوة وأهدافها :

ا - كان من شروط صلح الحديبية أن لقبائل العرب الحرية في دخول حلف محمد و حلف قريش، وأن من يدخل مع أحد الطرفين، فلابد له من أن يلتزم بقواعد الصلح، فدخلت قبيلة بني بكر في حلف قريش، ودخلت قبيلة خزاعة في حلف النبي ﷺ. وكان لبني بكر ثَأْرٌ عند خزاعة فثارت بنو بكر بتشجيع من قريش بالاعتداء على خزاعة، حتى حاصروهم وقاتلوهم وقتلوا منهم في الحرم، وقريش تنظر حتى قالت بعض رجال قريش لا إله له اليوم. فذهب عمرو بن سالم الخزاعي يخبر رسول الله ﷺ أن بني بكر وقريشا قد قاتلوهم وقتلوا منهم في الحرم. فقال رسول الله ﷺ نُصِرْتَ ياعمرو بن سالم .

ب – قرر النبي ﷺ أن يهاجم قريشا في عقر دارها فيفتح مكة وينصر حليفته خزاعة على قريش وبني بكر، ولأن قريشا قد أخلت بأهم قواعد الصلح وهو الهدنة بوقف الحرب وعدم الاعتداء عشر سنوات .
دخل النبي ﷺ بيته وأمر عائشة أن تجهزه للخروج إلى القتال وأمرها بالكتمان والسرية التامة، حتى كان والدها أبو بكر يسألها: أين وجهة رسول الله ﷺ، فلا تجيبه وتحتفظ بالسر .

٣ – أبو سفيان يطلب تجديد الهدنة :

شعرت قريش بخطئها في مناصرة حليفتها بني بكر على حَلِيفَةِ المسلمين خزاعة، فأرسلت أبا سفيان إلى المدينة، يطلب من رسول الله تجديد الهدنة ولما دخل إلى بيت أم حبيبة ابنته زوجة رسول الله ﷺ وأراد الجلوس على فراش رسول الله سحبت الفراش من تحته فقال لها: يابنية هل رغبت بي عن الفراش أم رغبت به عني، فقالت له: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس ولا أحب أن تجلس عليه، فغضب منها وقال لها: لقد أصابك بعدي شر .

وخرج إلى رسول الله يكلمه في الهدنة، فأعرض النبي ﷺ عنه و لم يكلمه، ثم ذهب إلى أبي بكر ليشفع له عند رسول الله ﷺ فرفض، وذهب إلى عثمان وإلى علي فرفضوا جميعا، وكان قد ذهب إلى عمر فقال له: أأنا أشفع لك، والله لو لم أجد إلا الغبار لجاهدتكم به. فرجع أبو سفيان خائبا. وسقط في أعين البقية الباقية من زعماء الشرك في مكة حتى هزأوا فقالوا: ماجئتنا بحرب نستعد لها ولا جئتنا بصلح نأمن فيه .

٤ - أمر النبي ﷺ أصحابه بالاستعداد والمسير :

جهز النبي نفسه وأمر المسلمين بالاستعداد والخروج دون أن يعلمهم بوجهة المعركة القادمة، فكانت قواته عشرة آلاف مقاتل من مهاجرين وأنصار ومن التحق به. من المقاتلين من القبائل المسلمة الجديدة من سُلَيْم ومُزَيْنَةَ وغيرها، وعقد عليه الصلاة والسلام راية لكل قبيلة، كما عقد ألوية المهاجرين والأنصار .

وتحرك الجيش المسلم نحو مكة ، ولتعمية الأخبار على أهل مكة كان قد بعث النبي ﷺ سرية مكونة من ثمانية جنود إلى منطقة أخرى على قرب من المدينة، وكأنها دورية استطلاع للجيش الذي سيتجه إلى تلك المنطقة .

وفي الطريق إلى مكة لقى الرسول ﷺ العباس بن عبدالمطلب قد خرج بأهله مهاجرا فانضم إلى الجَيشّ، حتى وصل الجيش منطقة قريبة من مكة (مر الظهران)، أَدْرَكَ العباس أن الرسول ﷺ سيدخل مكة، فخرج على بغلة للنبي ﷺ يبحث عمن يبلغ قريشا أن تَسْتَسْلم حتى لاتكون ملحمة عظمى في مكة. وأوقد المسلمون نيرانهم وعسكروا وإذا بأبي سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام وبأهل مكة يرون النيران كثيرة، فظنوا أنها لخزاعة تريد أن تنتقم من بني بكر، ولكن أبا سفيان قال: إن خزاعة أقل وأذل أن تكون هذه نيرانها وعسكرها . وسمع العباس صوت أبي سفيان فناداه وقال له : ويحك ياأبا سفيان هذا جيش محمد لاَقِبَلَ لكم به، ولئن ظفر بك ليضربن عنقك فتعال معي استأمنه لك، فأردفه خلفه على البغلة حتى دخل به معسكر المسلمين فعرفه عمر وقام ليقتله، فنجاه العباس وأسرع به إلى رسول الله ﷺ وأجاره، فاحترم المسلمون جوار عم رسول الله وبات ليلته عند العباس يقنعه بالإسلام حتى جاء الصباح، فجاء به العباس إلى رسول الله ﷺ فأمسكه

النبي ﷺ بجيب قميصه من أَعْلَى قال له: ويحك أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله ؟ فقال: ماشككت بها قط. فقال له: وأن تشهد أني رسول الله فقال هذه في النفس منها شَيْءٌ فقال له العباس: ويحك اشهد وإلا ضربت عنقك، فشهد شهادة الحق وأسلم .

٥ - سقوط القيـادة :

وبهذا سقطت قيادة قريش ، وأسلم زعيمها المطاع وأصبح في معسكر المسلمين . وقرر النبي ﷺ دخول مكة على أهلها ورسم خطة الدخول بحيث تدخل كتيبة عبدالله بن الزبير من جهة كُـدَىً، وتدخل كتيبة خالد بن الوليد من أسفل مكة من الجنوب، وهى ميمنة الجيش، وتدخل كتيبة الأنصار بقيادة سعد بن عبادة من الغرب، وتدخل كتيبة المهاجرين بقيادة أبي عبيدة من اتجاه جبل هند. وتدخل سائر القوات من الشمال وقائدها الزبير بن العوام .

وبعث رسول الله ﷺ من ينادي في مكة، من دخل بيته فأغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل الحرم فهو آمن. فهمس أبو سفيان للعباس أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فهمس العباس لرسول الله ﷺ: أن أبا سفيان يحب الفخر فاجعل من دخل داره فهو آمن، فأرضى رسول الله ﷺ هذه النفسية فأمر بأن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. وأي شيء أكبر نصرا للإسلام أن من كان قبل ساعات عدوا للإسلام، يستجدي الآن رحمة الإسلام ويفتح بابه لأمان الإسلام والمسلمين. بل إن في هذا النداء لضربة قاصمة لسائر زعامات قريش بعد أن استسلم زعيمها الأكبر أبو سفيان .

النشـــاط :

ابحث في أحد كتب السيرة النبوية عن أسباب وأهداف فتح مكة وقارن ذلك بما ورد بالدرس.

فتـــح مكـــة (٢)

عناصر الدرس :

١ - المسلمون يدخلون مكة.
٢ - الرسول ﷺ يدخل البيت الحرام.
٣ - دروس وعبر من فتح مكة.

١ - المسلمون يدخلون مكة :

دخلت كتائب جيش المسلمين كما نظمها رسول الله ﷺ مكة ، وأمرها بعدم القتال ، وعدم استباحة البيت الحرام ، حتى لما قال سعد بن عبادة وقد أخذته حماسة، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستَحَلُّ الحرمة، أخذ النبي ﷺ الراية من يَدِهِ وأعطاها لابنه، وقال: اليوم يوم المرحمة اليوم تُعَظَّمُ الكعبة. وليس ذلك غريبا على رسول الله، وهو رحمة للعالمين يريد أن يدخل مكة ويكسب أهلها للإسلام، ولايريد أن يذلهم ويقتلهم، فالإسلام دعوة لإحياء القلوب وليس لقتل الناس .

وقد أمر رسول الله ﷺ العباس أن يحشر أبا سفيان في مضيق الوادي ويقف معه حتى يدخل الجيش الإسلامي أمام ناظريه، حتى لاتبقى في نفسه روح مقاومة للإسلام وأهله ، وحتى يسارع من إيمانه ويقينه بعزة الإسلام وقوته، وبدأت القبائل المسلمة بألويتها ورياتها تمر أمام أبي سفيان، فيسأل العباس: من هؤلاء ياعباس ؟ فإذا قيل له: هؤلاء بنو غفار مثلا فيقول: مالي ولبني غفار.. وهكذا حتى طلعت الكتيبة الخضراء ، وأثارت الخيل بسنابكها الغبار ومر رسول الله ﷺ على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير في المهاجرين والأنصار ، والرسول خافض رأسه إلى مقدمة رَحْلِهِ تواضعا

لله ، قال أبو سفيان: من هؤلاء فقال: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار، فقال أبو سفيان: لقد بات ملك ابن أخيك عظيما اليوم ياعباس، فأجابه العباس بأنها النبوة ياأبا سفيان. ثم دخل أبو سفيان وهو يصيح بأعلى صوته: لقد جاءكم محمد بما لاقبل لكم به، فمن دخل البيت فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه امرأته هند تعنفه وتقول اقتلوا هذا الجبان .

دخلت كتائب الإسلام مكة ، ولقي خالد بعض المقاومة فاضطر لقتل بعض المشركين وقتل رجلان من الكتيبة وهدأت مكة، واستأمن الناس في بيوتهم وفي الحرم. وعسكر النبي في مكة ولم يدخل بيتا من بيوتها .

٢ - الرسول ﷺ يدخل البيت الحرام :

استراح رسول الله ﷺ ، حتى اطمأن إلى دخول جيشه بأكمله مكة ، ثم ذهب ومعه المهاجرون والأنصار حتى دخل المسجد فطاف بالبيت العتيق، وكان في الكعبة ثلاثمائة وستون صنما. وطلب مفتاح مكة ، وأخذ يكسر هو وأصحابه تلك الأصنام ويقول (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) .

ولما انتهى من تكسير الأصنام، وخرج النَّاسُ من بيوتهم وتجمعت ألوف من أهل مكة في المسجد ، أشرف عليهم رسول الله ﷺ وقال: الحمدلله الذي صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ماتقولون وماتظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. وأقول لكم ماقال يوسف لإخوته: لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . وبدأت جموع المشركين تدخل في دين الله أفواجا .

وهكذا انتهى عهد الوثنية من مكة، وعادت مكة إلى التوحيد بحمدالله ، كما كانت في عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام وصعد بلال يرفع الأذان على ظهر الكعبة الله أكبر الله أكبر .

٣ - دروس وعبر من فتح مكة :

ا - نصرة الحليف واجبة، ولذا لما سمع النبي ﷺ من عمرو بن سالم أن قريشا وحليفتها بني بكر اعتدوا عليهم قال: نصرت ياعمرو بن سالم .

ب - حَزْم النبي ﷺ مع أعدائه ، فلم يكلم أبا سفيان.

جـ - التمويه على العدو وَمُبَاغَتَتُهُ والسرية والكتمان من فنون القتال كما فعل رسول الله ﷺ في المسير والتمويه بالسرية وعدم ذكر وجهة الجيش .

د - ثقة المسلمين بقائدهم جعلتهم يتجهزون ويمشون دون أن يعرفوا أين سيقاتلون ومن سيقاتلون .

هـ - أعطتنا هذه الغزوة - كغيرها - درساً في التخطيط والتنظيم .

و - التواضع في حالة النصر، فالرسول يدخل مكة وهو واضع لحيته على مقدمة رحله تواضعا لله وشعورا بنعمته عليه بالنصر .

ز - أم حبيبة يدفعها إيمانها وعقيدتها أن تسحب فراش رسول الله من تحت والدها لأن حبها لله جعلها تكره والدها المشرك النجس.

ح - شدة عمر في الحق تجعله لايجامل أبا سفيان بل يهدده بالقتال .

ط - تظهر في المعركة حنكة العباس وذكاؤه حيث أقنع أبا سفيان بالاستسلام، ثم وضعه في المضيق حتى ينهَي آخر روح للمقاومة في نفسه ، فتخور عزائمه من عظمة جيش المسلمن الفاتح لمكة حتى أن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان لم تطق موقفه واتّهمته في رجولته وزعامته .

ى - أظهر الرسول شعار الإسلام الرحمة وليس القتل والبطش ، فَلَمَّا تحمس سعد بن عبادة وأرادها ملحمة عاقبه فأخذ الراية منه، وقال : اليوم يوم الرحمة. ولما وقف في الناس خطيبا قال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.. يغفر الله لكم .

ك - وهكذا تظهر عظمة صلح الحديبية وأهميته ، فإن فتح مكة كان بسبب نقض قريش وبني بكر أحد شروط ذلك الصلح ، ولذا كان صلح الحديبية فتحا مبينا وكان فتح مكة الفتح الأعظم. ففي غزوة الحديبية خرج ألف وأربعمائة مسلم واليوم في فتح مكة خروج عشرة آلاف مسلم ، والزمن بينهما عامان فقط .

النشـــاط :

١ - كيف يتجلى لك موقف الرسول الكريم من قومه إبان فتح مكة ؟

٢ - اشرح أبعاد فتح مكة في الحضارة الإسلامية.

غزوة حنين

عناصر الدرس :

١ - تاريخ الغزوة.
٢ - سببها وأهدافها.
٣ - قوات الطرفين.
٤ - سير المعركة.
٥ - نتائج حنين.
٦ - دروس وعبر.

١ - تاريخ الغزوة :

كانت عزوة حنين في السادس من شوال من السنه الثامنة للهجرة.

٢ - سببها وأهدافها :

ا - لما فتح الله مكة للمسلمين ، ضعف موقف هوازن وثقيف فلم يبق على الشرك غيرها ، وتأكدت أن المسلمين سيفرغون لها، فقررت أن تهاجم المسلمين.

ب - وأما رسول الله ﷺ فكان يهدف إلى أن تستسلم ثقيف وهوازن وبعض القبائل العربية ، وتدخل في الإسلام دونما قتال ، حتى أنه بعث عبدالله بن أبي حَدْرد الأسلمي من المسلمين ليستطلع خبرهم ، فأعلمه أنهم يحشدون له ، وأن قائدهم مالك بن عوف قد أمر أن تخرج معهم نساؤهم وأبناؤهم وأموالهم ، فَعَلَّقَ النبي ﷺ بقوله «تلك غنيمة المسلمين غَداً إن شاء الله»[1] .

---

١ - السيرة النبوية لابن هشام . وزاد المعاد ٣/٤٦٨ .

٣ - قوات الطرفين :

ا - تحشدت للقتال قبيلة هوزان ومعظم قبيلة ثقيف بقيادة مالك بن عوف ومعهم كل أسلحتهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم.

ب - كانت قوات المسلمين اثنى عشر ألفا ، عشرة آلاف ممن فتحوا مكة وألفان من المسلمين الجدد من أهل مكة . وكانت عدة القتال التي جاءوا بها من مكة ، كما استعار النبي ﷺ من صفوان بن أمية، دروعا وأسلحة قوامها مائة درع . ونظم ﷺ قواته وأقبل حتى أتى وادي حنين ليفاجئهم قبل خروجهم.

٤ - سير المعركة :

احتل المشركون هضاب وادي حنين ومضايقه وقممه ونصبوا كمينا للمسلمين ، وفعلا لما جاءت قوات المسلمين ، وقعت في كمين المشركين ، لأن المسلمين لا يعرفون طبيعة الأرض في هذه المنطقه، وكان الظلام سائدا ، فلما رَمَى المشركون أوائل الجيش المسلم بوابل من السهام، رجعوا ، وحصل خلل في جيش المسلمين، وساء ظن أبي سفيان، فقال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وكان في الجيش مسلمون جدد ، لم يتمكنوا بعد من إيمانهم وإسلامهم فلم يثبتوا وهربوا وانتشر الفزع والفوضى في جيش المسلمين .

ولكن رسول الله ﷺ ثبت في المعركة ومعه أهل بيته ومن المهاجرين، وأخذ ينادي الناس : هلموا، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله ، ثم أخذ العباس ينادي: يا معشر الأنصار، ياأصحاب البيعة يوم الحديبية، واجتمع مائة مسلم حول رسول الله ﷺ وصمدوا في وجه المشركين، وأخذ عدد المسلمين يتزايد، فانسحب المشركون ولم يكن لهم قوة تغطي انسحابهم، فتركوا وراءهم نساءهم وأبناءهم. وقام المسلمون بمطاردتهم، وأعلن النبي ﷺ للمسلمين أن

من قتل مشركا فله كل ما يغنمه منه، فأوقع المسلمون بالمشركين من هوازن قتلى كثيرين، وأسروا منهم عددا كبيرا.

وقد وصلت بعض القوات المسلمة تطارد ثقيفا إلى الطائف وحاصروها، ولكنها كانت مدينة محصنة ذات أسوار قوية، وأغلق المشركون أبواب المدينة. وتجمع المسلمون لإجبار ثقيف على الاستسلام، وأخذت ثقيف ترمي المسلمين من داخل الأسوار بالنبال، فقتلوا بعض المسلمين، فقرر رسول الله ﷺ الانسحاب عن مرمى نبال المشركين. وأشار سلمان الفارسي بأن تضرب الطائف بالمنجنيق لحرق أسوارها ، ولكن لم ينجح المسلمون فى ذلك بعد شهرين من الحصار، فترك النبي ﷺ الطائف وعاد إلى مكة، وترك أولئك المشركين إلى الزمن فقد يسلمون بلا قتال ، وما عادت لهم قوة مؤثرة على الإسلام والمسلمين وقد فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا.

٥ - نتائج حنين :

ا - كانت خسائر المشركين في حنين كبيرة جدا، فقد قتل منهم أرواح كثيرة لا تُحْصَى، كما خسروا أربعة وعشرين ألف بعير وأربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة، وسبي منهم ستة آلاف أسير.

ب - أما خسائر المسلمين في الأرواح فكانت كثيرة أيضا عند تفرقهم وانهزامهم حيث كان كثير من الذين انهزموا وأثروا في معنويات الجيش المسلمين الجدد بعد فتح مكة.

جـ - وزع النبي ﷺ الغنائم والسبي، ثم أقبل وفد هوزان مسلما، وسألوا رسول الله ﷺ أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم، فخيرهم بين السبي أو الأموال فاختاروا أبناءَهم ونساءهم ، ورد لهم النبي ﷺ ما كان له ولبني عبد المطلب، واقتدى المسلمون برسولهم فردوا عليهم كافة سباياهم.

٦ - دروس وعبـــر :

ا - المفاجأة درس من دروسه ﷺ في القتال ، فقد خرج لهوزان وثقيف قبل أن يخرجوا إليه.

ب - استعمل النبي ﷺ الأسلحة الجديدة في القتال مثل المنجنيق لحصار الطائف.

جـ - أعطى الرسول ﷺ مثلا أعلى في الصبر والثبات والصمود في المعركة ، ولولا هذا الصمود لكانت نتائج هذه المعركة خطيرة جدا وخسائرها فادحة.

د - إن الكثرة بلا عقيدة قوية وإيمان عميق خطيرة، فقد غر المسلمين كثرتهم ، مع أن حديثي الإيمان منهم لم يكونوا قد تشربوا روح الاستشهاد. وقد ذكر الله تعالى أن الاغترار بالكثرة كان سبب وقوع الهزيمة أولا في هذه المعركة فقال: لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

«التوبة »

النشـــاط :

١ - ماهو أقوى درس استفاده المسلمون من غزوة حنين. تربية وتوجيها؟ علّل.

٢ - جاء ذكر غزوة حنين في إحدى السور الكريمة، كيف تحدث القرآن عنها؟

الوحدة الثامنة

الصراع مع اليهود والمنافقين

١ – غزوة بني قينقاع.

٢ – غزوة بني النضير.

٣ – غزوة بني قريظة.

٤ – غزوة خيبر.

٥ – النفاق والمنافقون (١).

٦ – النفاق والمنافقون (٢).

الصراع مع اليهود
غزوة بني قينُقاع

عناصر الدرس :

١ - بين يدي غزوة بني قينُقاع .
٢ - سبب الغزوة .
٣ - الرسول ﷺ يضرب الحصار عليهم .
٤ - عبد الله بن أبيّ يتعاطف مع اليهود .
٥ - موقف عبادة بن الصامت منهم .
٦ - حكم الرسول ﷺ فيهم .
٧ - دروس وعبر .

١ - بين يدي غزوة بني قينقاع :

كان رسول الله ﷺ قد نظم علاقه اليهود بدولة الإسلام، منهم مواطنون لهم حريتهم في العبادة والتجارة وفي كل شئون حياتهم ، ومن واجبهم حماية المدينة وعدم تعريضها للفتنة . ولكن اليهود قد أكل قلوبهم الحسد على محمد ودينه وأخذوا يشيعون البلبلة في صفوف المسلمين ، وينشرون الشائعات، ويدفعون بعض المؤمنين لإثارة أسئلة الجدل والتشكيك في الدين. كما كانوا متحالفين مع المنافقين. ولما نصر رسول الله ﷺ ببدر ، زاد غيظهم فأخذوا يجاهرون بالعداوة.

وكان من أشجع قبائلهم بنو قينقاع ، حيث كانوا تجاراً للذهب والمال في سوق الصياغة ، وأصحاب حرف للأواني والسلاح، وعدد مقاتليهم سبعمائة

مقاتل. وخرج رسول الله ﷺ إلى سوقهم وجمعهم ووعظهم ودعاهم إلى الإسلام وإلى المحافظة على العهد، فقال: يامعشر اليهود أسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله فبل أن يوقع الله بكم مثل ما وقع بقريش. فقالوا: يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، وإنا والله لئن حاربناك لتعلم أنا نحن الناس [1] وهذا تهديد واضح من يهود بني قينقاع للإسلام وأهله

٢ - سبب الغزوة :

كان يتحين رسول الله ﷺ الوقت المناسب لتلقين يهود بني قينقاع درسا لا ينسوه أبدا، ويكون درسا لكل يهود المدينة حتى جاء السبب المباشر، حيث جاءت امرأة مسلمة سوق الصياغه ، فلما جلست عند صائغ يهودي فطلب اليهود منها أن ترفع نقابها عن وجهها، فرفضت المرأة المسلمة أن تكشف وجهها لهؤلاء المفسدين. فقام الصائغ فعقد طرف ثوبها من الخلف إلى رأسها دون علمها، فلما قامت انكشفت عورتها، فصاحت المرأة مستغيثة، فأقبل رجل من المسلمين، فقتل الصائغ اليهودي ، واجتمع اليهود في السوق فقتلوا المسلم ، وكانت هذه الحادثة الشرارة التى ينتظرها الرسول ﷺ للانتقام من بني قينقاع.

٣ - الرسول يضرب الحصار عليهم :

لما سمع رسول الله ﷺ بنقض العهد من بني قينقاع ، فقد قتلوا مسلما وقبل ذلك تعرضوا لعرض مسلمة كشفوا عورتها، وهم يتهددون الإسلام، جمع لهم جمعا كبيراً من المسلمين في المدينة علي رأسهم حمزة بن عبد المطلب، أسد

---

١ - السيرة النبوية لابن هشام ١٣٧/٣ .

الله وأسد رسوله. وحاصر جمع المسلمين خونة اليهود بني قينقاع خمسة عشر يوما من منتصف شهر شوال حتى بداية ذي القعدة من السنة الثانية للهجرة، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وانتهى فيها مأكلهم ومشربهم فاستسلموا أذلاء، فأمر الرسول بتكتيفهم لتضرب أعناقهم.

٤ - عبد الله بن أبّي يتعاطف مع اليهود :

فأقبل عبد الله بن أبي رأس النفاق ، يشفع لهم عند رسول الله ﷺ وقد كانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية ، ويقول : يامحمد أحسن في موالي ، ورسول الله ﷺ يعرض عنه فلا يجيبه ، وغضب من مراجعة ابن أبي وإلحاحه ، وابن أبي متحسر عليهم ، متعاطف معهم يقول: أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد حموني سابقا تحصدهم مرة واحدة.

٥ - موقف عبادة بن الصامت منهم :

وجاء الصحابي الجليل عبادة بن الصامت، وفد كانوا أيضا حلفاءه في الجاهلية. ووقف موقفا حازما معهم، ويقول:يارسول الله أتولّى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار والخونة وولايتهم، ويتنازع مع ابن أُبَيّ ويقول له: تغيرت القلوب ومحا الإسلام عهودنا مع هؤلاء اليهود الخونة.

٦ - حكم الرسول ﷺ فيهم :

فحكم رسول الله ﷺ فيهم بالإجلاء عن المدينة خلال ثلاثة أيام فقط لا يحملون إلا أولادهم ونساءهم ، ويتركون أموالهم غنيمة للمسلمين. وكان بهذا الحكم قد عفا عنهم فلم يقتلهم، حتى لا يثير المنافقون فتنة، وإنما اكتفى بالتخلص من شرهم في المدينة، وطهر أسواقها منهم، لعل غيرهم من اليهود يتعظون ويعتبرون.

وبقي عبادة يطاردهم ، ويطرد ما بقي منهم بعد ثلاثة أيام حتى وصلوا أذرعات ببلاد الشام. وقد هلكوا بعد ذلك ولم تعد لهم آثار تذكر.

٧ - دروس وعبـــر :

ا - الغدر والخيانة طبع اليهود، قديما وحديثا، وهم أهل فساد خلقي، يهدفون الإساءة لأعراض المسلمين.

ب - المسلمة غيورة على شرفها وكرامتها، والمسلم غيور على أعراض المسلمين، يقاتل في سبيلها، حتى ولو كلفه روحه وحياته.

جـ - لامعاملة مع اليهود الغادرين إلا القتل، ولطالما حاول النبى ﷺ دعوتهم إلى المسالمة والهدوء واحترام العهود ولكنهم أبوا إلا الظهور على حقيقتهم.

د - ظهرت في هذه الغزوة معرفة النبي ﷺ العسكرية لفنون القتال ، فقد اتبع أسلوب الحصار، وهو أسلوب مؤثر في قوم غير مُحَصَّنين بالطعام والشراب.

هـ - إصرار الجيش المسلم على هدفه، وصبره عليه ، فالنصر صبر ساعة، ولهذا أحكم النبي ﷺ الحصار وأطال هذا الحصار خمسة عشر يوما حتى استسلم اليهود.

و - أظهرت هذه الغزوة صنفين من الناس وميزت بينهما:

ـــ المنافقين من خلال تعاطف ابن أبيّ مع يهود بني قينقاع.

ـــ المؤمنين الصادقين أصحاب الولاء لله حيث تبرأ عبادة بن الصامت منهم، رغم أنهما كانا يرتبطان سابقا في الجاهلية بحلف واحد معهم.

ز - كما برزت حنكة الرسول ﷺ في تخفيف الحكم عليهم من القتل إلى الإجلاء، حتى لا يثير المنافقون وسائر قبائل اليهود فتنة في المدينة، وحتى لا يفسح الرسول المجال لإقامة حلف ظاهر بين اليهود وما زالت لهم قوة مع المنافقين وإنما اكتفى بطردهم، وإجلائهم بأنفسم دون أموالهم ليُلَقّنَ من وراءهم درساً ليعتبروا ويتعظوا.

نشـــاط :

١ - تحدث عن دور اليهود الخطير في الكيد للمسلمين وحلل نفسية هذه الفئة المفسدة.

غـزوة بنـي النضيـر

عناصر الدرس :

١ - سبب الغزوة وهدفها.
٢ - تاريخ الغزوة.
٣ - جدل بين زعماء اليهود.
٤ - حصار بني النضير.
٥ - إيثار المهاجرين.
٦ - دروس وعبر.

١ - سبب الغزوة وهدفها :

ا - ذهب النبي ﷺ في عشرة من أصحابه إلى ديار يهود بني النضير ليعينوا المسلمين في دية رجلين مسلمين قتلهما أحد المسلمين خطأ. فتآمر حيي ابن أخطب زعيم بنى النضير وأمر عمرو بن جحاش اليهودي بإلقاء صخرة علي رسول الله ﷺ ، فأخبر جبريل النبي بمؤامرتهم، فقام مسرعا كأنه يريد قضاء حاجته، وعاد إلى المدينة، ثم لحق به أصحابه، فقرر النبي ﷺ أن ينتقم من بني النضير وكانت هذه الحادثة سببا مباشرا للغزوة.

ب - كما أن الرسول ﷺ كان ينتظر اليوم الذي ينتهي به وجود اليهود من المدينة، لأنهم أهل غدر، ولم يتعظوا مما حل بإخوانهم بني قينقاع وما حَلّ بكعب ابن الأشرف أحد زعمائمهم الذي اغتاله المسلمون لسوءخلقه وإيذائه لرسول الله وتآمره مع المنافقين ، حيث ربطهم بكتاب بعد مقتل ابن الأشرف ومع ذلك يجلسونه ليضيفوه ، فيتآمرون على قتله.

٢ - تاريخ الغزوة :

وكان هذا في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة، حيث عالج المسلمون آثار معركة أحد، وأدب الرسول ﷺ القبائل الطامعة في المدينة. وكان من الواجب على اليهود أن يدافعوا عن المدينة لا أن يتآمروا علي قيادتها ورسولها.

٣ - جدل بين زعماء اليهود :

بعد أن كشف النبي ﷺ تآمرهم، دار نقاش بين زعماء اليهود وندم بعض عقلائهم ممن سبق له أن نصحهم بعدم الإقدام على هذه الجريمة فاقترح عليهم كنانة بن صويراء بأن يسلموا، لأنه نبي عرفوا صفاته في التوراة، وبهذا يأمنون على أنفسهم وأولادهم وأموالهم وإلا فلا ينتظرون منه إلا أن يجليهم ويطردهم كما طرد إخوانهم بني قينقاع من قبل.

ولكن زعيم بني النضير حيي بن أخطب كان عنجهيا مغرورا ، رفض الدخول في الإسلام حتى ولو كان الأمر بالخروج والجلاء.

الأمر بطردهم :

وقد بعث لهم النبي ﷺ أن يخرجوا من المدينة وأعطاهم مهلة عشرة أيام يحملون فيها كل ما يستطيعون من أهلهم وأموالهم، وأنّ من تأخر بعد هذه المدة تضرب عنقه.

ولكن ابن أبيّ بعث إليهم ألا يستجيبوا لحكم رسول الله ﷺ بالجلاء ووعدهم بالنصر مع حلفائه ، كما وعدهم بإقناع بني قريظة بالوقوف معهم، إلا أن بني قريظه رفضوا نقض العهد مع رسول الله ﷺ وخافوا من عاقبة الوقوف مع حيي بن أخطب، لأنه رجل شؤم . وبعث حيي إلى النبي ﷺ يخبره بأنه لا يريد الجلاء، فكبّر النبي ﷺ وقال فرِحَا : يهود تريد الحرب.

٤ - حصار بني النضير :

خرج المسلمون بقيادة رسولهم ﷺ يحاصرون بني النضير في حصونهم وقد كانت حصونهم منيعة ، وفي داخلها طعام وشراب يكفيهم سنة.وظنوا أن هذه الحصون ما نعتهم من رسول الله ﷺ ووقفت قريظة على الحياد، كما خذلهم المنافق عبد الله ابن أبي بن سلول فلم يخرج إليهم ولم يبعث لهم أحداً. وأخذ اليهود يرشقون المسلمين بالنبل والحجارة من على الجدران. وغاب عليّ بن أبي طالب فتخوف المسلمون عليه فإذا به قادم برأس يهودي قد خرج في نفر من اليهود يفاجيء المسلمين، فبعث النبي ﷺ مجموعة من المقاتلين تطارد اليهود حتى قتلوهم. وكان حيي بن أخطب يدرك خطأه ولكنه ثابت علي عدائه للإسلام ويقول: ملحمة كتبت علينا[1] وطال حصارهم خمسة عشر يوما ولكن هذا الحصار لا يؤثر كثيرا فيهم إذ أن عندهم تموينهم ومياههم، فقرر النبي ﷺ أن يؤذيهم، وأن يحطم معنوياتهم، فأمر بقطع بعض النخيل وحرق بعضه ، فجن جنون اليهود واضطروا للاستسلام شريطة أن يعفوا عنهم النبي ﷺ ويعطوه ما يريد . فلم يقبل النبي ﷺ إلا الجلاء عن المدينة والخروج منها بما تحمله دوابهم. وأخذ سلام ابن مشكم أحد عقلائهم يقنع حيي بالقبول وإلا فليس أمام محمد إلا قتل المقاتلين وسبي النساء والأطفال وغنيمة الأموال وإنه من الخير أن تسلم النفوس والدماء وشيء من الأموال.

خرج يهود بني الضير عن آخرهم، وحملوا معهم ما استطاعوا من أموالهم وأخذوا يخربون بيوتهم ويحملون خشبها حتى لا يفيد منها المسلمون وتطهرت المدينة من خبائثهم ولحقوا بإخوانهم يهود خيبر .

وتركوا وراءهم خمسين درعا وثلاثمائة وأربعين سيفا وطعاما

---

١ - مغازي الواقدي ٣٧٢/١

كثيرا.ومزارع للنخيل وغنائم كثيرة وزعها النبي ﷺ بين أصحابه.

٥ - إيثار الأنصار للمهاجرين :

جمع رسول الله ﷺ الأنصار والمهاجرين وهو يوزع غنائم بني النضير وكان رسول الله ﷺ قد أشرك المهاجرين مع إخوانهم الأنصار في أراضيهم ومزارعهم ومساكنهم بالمؤاخاة في الهجرة فخيَّر الأنصار أن يرد إليهم إخوانهم المهاجرون ما شاركوهم فيه وأن يقسم بينهم الغنائم بين المهاجرين فقط أو أن يقسم الغنائم بينهم جميعا ويبقى المهاجرون مشاركين للأنصار فيما يشاركونهم فيه فبم أجاب الأنصار رسول الله ﷺ ؟ .

قالوا : يارسول الله : بل نقسم الغنائم بين إخواننا المهاجرين فقط ويبقى إخواننا المهاجرون يشاركوننا في مساكننا وأراضينا ومزارعنا. فقال رسول الله ﷺ «اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار»[1] وقسم الغنائم بين المهاجرين ، وأعطى فقراء الأنصار دون غيرهم .

---

١ - مغازي الواقدي ٣٧٩/١. وسنن ابي داود ١٤٠/٢

٦ - دروس وعبـــر :

تعلمنا هذه الغزوة دروسا وعبرا منها:

ا - اليهود لا يعتبرون ولا يتعظون ولا يتراجعون عن شيم الغدر فيهم.

ب - اليهود يعرفون أن محمداً رسول الله ، ولكنهم لا يؤمنون به فهم كافرون حتى بتوراتهم ولاتجري معهم الآيات وقد رأوا آية صدق رسالته، فقد أخبره جبريل بتآمرهم على حياته ، ومع ذلك أصروا على عدائهم له.

جـ - جواز الاستعانه المالية بغير المسلمين إذا كانوا معاهدين[1] فقد خرج النبي ﷺ يطلب من يهود بني النضير أن يدفعوا دية رجلين.

د - المنافقون متآمرون ولكنهم جبناء فقد وعد عبدالله بن أبي يهود بني النضير بالقتال معهم ونصرتهم، ولما حاصرهم النبي ﷺ اختبأ في بيته وظهرت حقيقة جبنه.

هـ - كان إيثار الأنصار لإخوانهم المهاجرين مثلا رائعا للخلق الإسلامي يصلح للاقتداء.

النشـــــاط :

١ - اقرأ سورة الحشر واستخرج منها الآيات الدالة على أحداث غزوة بني النضير.

٢ - في سورة الحشر تنويه رباني بمكانة الصحابة تحدث عن هذه المكانة وواجب المسلم من صحابة رسول الله ﷺ.

---

١ - د. ابو فارس : الصراع مع اليهود ١٦٨/١

غـــزوة بنـــي قريظـــة

عناصر الدرس :

١ - تاريخ الغزوة.
٢ - سبب الغزوة وأهدافها.
٣ - قوات المسلمين تحاصر بني قريظة.
٤ - اليهود يَسْتَشِيرُونَ أبا لبابة .
٥ - نتيجة الحصار.
٦ - دروس وعبر.

١ - تاريخ الغزوة :

انصرفت الأحزاب بعد هزيمتها في غزوة الخندق، وعاد النبي ﷺ إلى بيته، وما كان ليغتسل حتى جاءه جبريل عليه السلام فقال له: «قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه بعد، فاخرج إليهم قال: إلى أين؟ قال: ههنا، وأشار إلى بني قريظة»[1] وكان ذلك يوم الأربعاء في الثالث أو الثاني والعشرون من ذي القعده في السنة الخامسة للهجرة، واستمرت خمسة وعشرون يوما.

٢ - سبب الغزوة وأهدافها :

١ - علمت أن يهود بني قريظة قد نقضت عهدها مع النبي ﷺ ، يوم الأحزاب. ويبدو أن زعيمهم كعب بن أسد، الذي رفض الاستجابة سابقا لنصرة بني النضير، قد أقنعه هذه المرة حيي بن أخطب زعيم

---

١ - صحيح البخاري رقم (٤١١٧) ومسلم رقم (١٧٦٩)

بني النضير الذي أجلاه رسول الله ﷺ مع قومه. وقام حيي بوعد قريش والأحزاب أن يقنع بني قريظة بمناصرتهم ونقض عهدها مع المسلمين. وكان كعب بن أسد متخوفا إلا أنه مزق الكتاب وأدخل حيي بن أخطب معه في الحصن، حتى يصيبه ما يصيب بني قريظة.

ولما فرغ النبي ﷺ من غزوة الأحزاب، وهزم الله عدوه ، ونصر عبده وأعز جنده، حان وقت القصاص من قريظة جزاء غدرهم ونقضها للعهد، فلو نجحت الأحزاب في خطتها لأبادت المسلمين كما أن بني قريظة مع غدرها حاربت أيضا، فقد أغارت دورية مسلحة من بني قريظة على البقيع في المدينة، وَرَدّتْها حراسات المسلمين القوية أيام حصار الأحزاب.

ب - وكان التخلص من آخر قبيلة من قبائل الغدر اليهودي في المدينة، وتطهير عاصمة الإسلام منها أمرا لامفر منه ، حتى أن الله تعالى أمر رسوله أن ينتقم فورا، وبقيت الملائكة المناصرة للمسلمين يقودها جبريل مستعدة جاهزة، لم تلق أسلحتها بعد، (ولا بد من الضرب على الحديد وهو ساخن) فلن تلوح فرصة أفضل من هذه الفرصة لتصفية بني فريظة.

٣ - قوات المسلمين تحاصر بني قريظة :

ا - خرج رسول الله ﷺ ، ومازال جيشه في حالة تأهب واستعداد ، ويتمتع بمعنويات عالية، بعد هزيمة الأحزاب، خرج ومعه ثلاثة آلاف مقاتل وستون فارسا ، ونادى في الناس : لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة[1] فصلى بعضهم في الطريق ، فاهما الأمر للاستعجال ،

١ - رواه الطبراني ورجاله ثقات. انظر الهيثمي بجمع الزوائد ٦/١٤٠

وأجّل بعضهم الصلاة وقوفا على ظاهر الأمر ، ولما علم النبي ﷺ بما صنع كل فريق منهم أقره ولم يعلق بشيء.

وحاصر هذا الجيش بني قريظة في حصونهم، وهي محصنة وفيها تموين كثير ومياه ، يَسْتَطِيعُونَ البقاء فيها سنة، لا يحتاجون فيها إلى شيء من خارجها. واشتد الحصار عليهم، وأخذت جنودهم وعددها سبعمائة مسلح ترشق المسلمين بالنبال والحجارة، ويشتمون رسول الله ﷺ ورمت امرأة رحى على أحد المسلمين فقتلته ولما أيقنوا أن رسول الله ﷺ لا يمكن أن يفك عنهم الحصار تشاوروا فيما بينهم ، وقام زعيمهم كعب بن أسد يعرض عليهم واحداً من ثلاثة أمور: أولها أن يسلموا وينجوا بأنفسهم ونسائهم وأطفالهم وأموالهم، وكل الدلائل تشير علي صحة نبوة محمد ﷺ فقالوا: لانفارق ديننا.

وثانيها: أن يقتلوا هم بأنفسهم أولادهم ونساءهم، ويخرجوا لقتال محمد وأصحابه، فإن انتصروا فالنساء كثير ، وإن هزموا وقتلوا لا يأسفون على نسائهم وأولادهم. فقالوا: فما خير العيش بعد نسائنا وأولادنا، ليس هذا برأي.

فقال: لهم لم يبق إلا ثالث هذه الأمور وهو لا رأى سواه فأن ننزل جميعا هذه الليلة ــ ليلة السبت ــ فنفاجيء محمداً وأصحابه فنقاتلهم فقالوا: لا نقاتل يوم السبت ، وقد علمت ما أصاب أسلافنا يوم خرجوا على دينهم فعملوا يوم السبت ، فقد مسخهم الله قردة وخنازير. فقال زعيمهم يائسا منهم: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من حياته حازما في رأيه.

٤ – اليهود يستشيرون أبا لبابة :[1]

بعث اليهود إلى رسول الله ﷺ أن يرسل إليهم أبا لبابة من الأوس ، وهم من حلفائهم في الجاهلية ، فاستشاروه ، فرق لحالهم ونساؤهم وأطفالهم يبكون أمامه ، وقالوا له: يا أبا لبابة أننزل على حكم

١ – ابن هشام: السيرة النبوية ٢٦٨/٣

محمد فينا. فقال نعم وأشار بيده إلى حلقه بما فهموا منه الذبح. فندم أبو لبانة لهذه الرقة على يهود في هذا الوضع العاطفي، واعتقد أنه خان الله ورسوله ، وانطلق ولم يرجع إلى المسلمين، وربط نفسه في عمود من أعمدة المسجد النبوي ــ يعاقب نفسه على ما فعل ــ وأقسم ألا يترك مكانه حتى يتوب الله تعالى عليه مما فعل، وعاهد الله ألا يدخل أرض بني قريظة طيلة حياته للمعصية التي صنعها في تلك الديار.

وبقي على هذه الحال ست ليال: تاب الله عليه ، ولما بشره أصحابه أقسم ألا يطلق نفسه حتى يطلقه رسول الله ﷺ بيده ، فأطلقه الرسول وهو ذاهب إلى صلاة الفجر.

٥ - نتيجة الحصـار :

ا - استمر الحصار واشتد، حتى مضت خمسة وعشرون ليلة ، وكان بإمكان اليهود أن يستمروا، ولكن أعصابهم خائرة، وهم ضعفاء ، إذ عرفوا ما فعلوا من غدر وخيانة ، والمسلمون صابرون أصحاب حق وعدل. والنصر إنما يكون لأصحاب الحق إذا ثبتوا عليه وجاهدوا في سبيله وصبروا، والهزيمة إنما تكون للباطل وأهله والخيانة ومدبريها.

ب - وفي صبيحة اليوم الأخير للحصار استسلم اليهود ووافقوا على النزول على حكم رسول الله ﷺ ، وأن يحكم فيهم حلفاءهم في الجاهلية الأوس ظنا منهم أن يشفع لهم الأوس، كما شفع الخزرج سابقا لحلفائهم من بني قينقاع فخفف النبي عنهم الحكم وقتها، وقبل منهم الجلاء ، ولكن هذه المرة لن يفرح اليهود بما فرح به سابقوهم، إذ كان لابد لقريظة أن تعتبر وتتعظ بما حل بيهود بني قينقاع وبني النضير من

بعدهم. فقام الأوس يطلبون لهم الشفاعة ، فقال رسول الله ﷺ للأوس: ألا ترضون أن يحكم فيهم سيدكم سعد بن معاذ، وكان سعد رضي الله عنه في خيمة قريبة من رسول الله ﷺ يعاني من جرح خطير أصابه يوم الخندق ، وكان قد دعا ربه كلما نزف جرحه دعا الله تعالى ألا يميته حتى يضع الحرب بينه وبين قريش، حتى ينتقم منهم وأركب المسلمون سعد بن معاذ على دابة وجاءوا به إلى النبي ﷺ فقال لهم: قوموا لسيدكم، فقام المسلمون وأنزلوه عن الدابة وجاءه الأوس يشفعون لحلفائهم بني قريظة كما شفع الخزرج سابقا لحلفائهم بني قينفاع. فأخذ العهد على الأوس أن يقبلوا بحكمه، وقد رضي النبي ﷺ بتحكيمه فأصدر الحكم فقال: « فإني أحكم فيهم أن يقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وزرايهم وأن تقسم أموالهم، وقال اللهم إنك تعلم أنه ليس أحب إلى من أن أجاهدهم فيك» فقبل النبي ﷺ الحكم. ثم ما لبث جرح سعد أن انفجر ومات شهيدا رضي الله تعالى عنه.

جـ – قال رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم يا سعد بحكم الله ورسوله فأمر المسلمين بقتل جميع رجال بني قريظة، ودخلت جميع نسائهم وأطفالهم في السبي. ووزع أراضيهم ومواشيهم وأموالهم بين المسلمين. ولم يقتل من النساء إلا المرأة التي رمت أحد جنود المسلمين برحى فقتلته لأنها محاربة وحكمها حكم الرجال المقاتلين .

٦ ــ دروس وعبر :

ا – ليس للغدر جزاء إلا القتل.

ب – اليهود لا يعتبرون ولا يتعظون، وهم مكابرون يعرفون الحق ويعادونه.

جـ – لم تنفع قريظة حصونها واستعدادها للحصار ، لأنها ضعيفة في موقفها، مهزومة من داخلها، محبطة في أعصابها.

نشـــاط :

أكمل دروس هذه الغزوة مستخرجا لها بعد قراءتها في النقاط التالية،

د – موقف اليهود من الحزم.

هـ – جبريل لم يضع السلاح بعد.

و – حكم قتل المرأة.

غـــزوة خيبـــر

١ - تاريخ الغزوة.
٢ - سبب الغزوة وأهدافها.
٣ - قوات الطرفين.
٤ - حركة الجيش إلى خيبر.
٥ - حصار خيبر.
٦ - صلح خيبر.
٧ - قسمة الغنائم.
٨ - دروس وعبر.

١ - تاريخ الغزوة :

وقعت غزوة خيبر في محرم من السنة السابعة للهجرة [١] أي بعد شهرين من عودة النبي ﷺ من صلح الحديبية .

٢ - سبب الغزوة وأهدافها :

ا - أصبح تجمع اليهود في خيبر بعد جلاء بني النضير إليها أكبر تجمع لليهود وقد اجتمعت فيها أحقادهم ، وأخذوا يحرضون القبائل على المسلمين، وكانت لهم علاقة بِغَطَفَان كبيرة ، حتى أصبحت خيبر مصدر تشويش وفتن .

ب - تفرغ النبي ﷺ بسبب صلح الحديبية لتصفية هذا الخطر الشمالي في الجزيرة، والذي يثير القبائل والأعراب ويحرشها علي رسول الله ﷺ

١ - السيرة النبوية لابن هشام ٣٩/٤

وحتى يتفرغ الرسول ﷺ لقريش. فأصدر عليه الصلاة والسلام أوامره بالمسيرة إلى خيبر، مؤمنا أن الله تعالى سيغنم المسلمين خيبر بما فيها من خيرات.

٣ - قوات الطرفين :

ا - جهز النبي ﷺ جيشا من ألف وأربعمائة رجل ، ورفض أن يخرج معه من أراد الغنيمة فحسب ، وكان يقول لايخرج معنا إلا راغب في الجهاد أما الغنيمة فلا ، وكان في الجيش مائتا فارس .

ب - أما قوات اليهود في خيبر فكانت كثيرة ، حيث كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا ؟ هيهات ! هيهات ![1] وكان فيهم ألف دارع .

٤ - حركة الجيش إلى خيبر :

حرَّك النبي ﷺ قواته إلى خيبر ، واستعان بأدلاء لمعرفة الطرق. وأراد أن يدخل خيبر من الشمال من جهة الشام، حتى يمنع حركتهم وتسربهم إلى الجهة الشمالية، ويُحكم الحصار عليهم، وحتى يمنع من نصرة غطفان لهم. وكان عليه الصلاة والسلام يدعو وهو مشرف على خيبر: (اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها[2]) .

---

١ - مغازي الواقدي ٦٣٧/٢

٢ - السيرة النبوية لابن هشام ٤٠/٤

وقد عمل النبي ﷺ حركة تمويه عسكرية ، حيث تحرك بأصحابه إلى منطقة (الرجيع) ليوهم غطفان أنه متوجه ضدَّهم ، فيخافوا ، ويفزعوا ، فلما يتركهم إلى يهود خيبر ، لايستطيعون إعانتهم ، لأنه أصبح حاجزا بينهم ، وكان الذي يهمهم الآن أن يسلموا من غزو النبي ﷺ . وبهذا فوّت النبي ﷺ الفرصة على الفريقين المتحالفين، غطفان ويهود خيبر ، من الاجتماع على حربه ، والدفاع عن خيبر .

ثم تَوَجَّه إلى خيبر ، وبعث دورية لغطفان تستعرض نفسها وتوهمها بالإغارة عليها ، فرجعت بعض قوات غطفان وكانت في طريقها إلى خيبر لمناصرة اليهود فيها . وبهذا انفرد جيش المسلمين بيهود خيبر وحدهم . خاف بعض اليهود من أن يتكرر حصارهم ، فإن الحصارات السابقة لهم في المدينة كانت شؤما عليهم ، فاقترح بعضهم الخروج لمقبالة جيش المسلسمين خارج خيبر ، ولكن الجبن اليهودي تغلب عليهم ، ورأوا أن بقاءهم في الحصون أقوى لهم وأمنع ، وكما وصفهم الله تعالى بقوله ﴿لايقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر﴾ .

٥ - حصـار خيبر :

وصلت قوات المسلمين ليلا ، فما أن أصبح الصباح حتى وجد اليهود أنفسهم محاصرين، فقالوا محمد والخميس (أي الجيش) وبدأ هجوم المسلمين شديداً منذ أول أيام الحصار لتوهين معنويات اليهود ، وزرع الرعب في قلوبهم ، وقد جرح منهم في اليوم الأول خمسون جريحا ، وفتح رسول الله أول حصونهم ، حصن ناعم . ثم حصن ابن أبي الحقيق، وسبى منهم النبي سبْيًا كانت منهم صفية بنت حيى بن أخطب ، فأسلمت فأعتقها رسول الله وتزوجها . وبدأت الحصون تتهاوى حصنا حصنا ، كان آخرها قد سقط وقتل

فيه مرحب اليهودي ، وكان مفاخر بنفسه ويبارز وينشد فيقول :

قد علمت خيبر أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مُجربُ

فانطلق إليه محمد بن مسلمة فقتله ، ثم قتل الزبير أخا مرحب واسمه ياسر . ولما أيقين اليهود بأن لا طاقة لهم على محمد وجيشه ، طلبوا الاستسلام والصلح .

٦ - صلح خيبر:

وافق رسول الله ﷺ على أن يعقد صلحاً مع اليهود بالشروط التالية :

أولا : أن يحقن المسلمون دماء اليهود فلا يقتلوهم .

ثانيا: أن يدفع اليهود نصف ثمار خيبر سنويا للمسلمين .

ثالثا: أن يبقوا على أرضهم لخدمتها ولهم نصف ثمارها بدل تعبهم فيها وزراعتهم لها .

رابعا: أن للمسلمين الحق في طردهم منها متى شاءوا .

٧ - قسمة الغنائم :

قسم النبي ﷺ غنائم كثيرة غنمها في القتال. وقد كان خرج في الجيش نساء مسلمات يداوين الجرحى ، ويساعدن المسلمين، فلما قسم الغنائم جعل لهن نصيبامنها.

٨ - دروس وعبـــر :

ا - إختار النبي ﷺ الوقت المناسب لتصفية اليهود في خيبر فكان خروجه بعد صلح الحديبية، حيث هدأ من معركته في الجنوب ومع عدوه الأول قريش.

ب - أراد الرسول ﷺ أن تكون أهداف جيشه خالصة لوجه الله ، وحب الجهاد في سبيله، ولم يقبل من يريدون الخروج للغنائم.

جـ - اليهود مغرورون بقواتهم ، ولكنهم جبناء لا يواجهون ولا يحاربون إلا في داخل الحصون.

د - حرص النبي ﷺ على الدعاء في مثل القتال ، ليربط القلوب بالله، فتستمد منه النصر والعون.

هـ - إكرام المرأة في السبي ، وحين تسلم يمن عليها رسول الله ﷺ فيعتقها، ويكرمها فيتزوجها، وهكذا تزوج بصفية بنت حيي بن أخطب. ولما كانت نساؤه يعيِّرنها بأنها ابنة اليهودي يجبر النبي ﷺ بخاطرها ويعلمها كيف تجيبهن فتقول أنا عمي هارون وأخي موسى.

و - الرسول ﷺ يقبل الصلح مع اليهودمن موقف قوة للإسلام وموقف ضعف من اليهود، وبشروط فيها مصلحة للإسلام، حتى انتهى هذا الصلح بخروجهم نهائيا من الجزيرة العربية في عهد عمر بن الخطاب، وتصديقا لأمر النبي ﷺ لا يجتمع في جزيرة العرب دينان[1].

ز - حرص رسول الله ﷺ على إعمار الأرض وزرعها من ذوي الخبرة، حتى ولوكانوا أعداء للمسلمين، ولكن في حالة صلح معهم.

---

١ - السيرة النبوية (الروض الالفى) ٥٠/٤

حـ - ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى للمسلمين في معاملة المرأة المسلمة، فسمح للنساء أن يخرجن في غزواته وكان يقول لهن: على بركة الله . وكان يقسم لهن أحيانا في الغنائم لمشاركتهن في التموين والسقاية وتضميد الجراح، وهذه كلها خدمات ميدانية لا تقل أهمية عن القتال.

نشـــــاط:

اقرأ غزوة خيبر من كتاب السيرة النبوية لابن هشام ولخص مايلي منها واكتبها في دفترك مبينا الدروس والعبر منها:

ا - فتح علي لبعض حصون خيبر.

ب - قصة الشاة المسمومة التي قدمها اليهود للنبي ﷺ.

الصراع مع المنافقين

النفاق والمنافقون (١)

عناصر الدرس :

١ - من هم المنافقون ؟
٢ - أسباب نشوء النفاق في المدينة.
٣ - خطورة النفاق والمنافقين.
٤ - علاج ظاهرة النفاق.

١ - من هم المنافقون ؟ :

المنافقون فريق من أهل المدينة ، ممن كان في قلوبهم مرض، مالوا إلى الإسلام في ظاهرهم ، وقلوبهم له منكرة ، وكانوا يتحينون الفرص للتشكيك به ولتخذيل المسلمين.

وكان على رأس هؤلاء المنافقين عبدالله بن أبيّ ابن سلول الخزرجي ، الذي كان ينتظر تاج الملك قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة. ولما قامت دولة الإسلام والتف المسلمون حول رسولهم ﷺ نقم عبد الله بن أبي على الإسلام وعلى رسول الله ﷺ لأنه فوّت عليه الملك.

كما لحق بابن سلول أبو عامر الفاسق، الذي كان قد ترهب قبل النبوة ، وزعم أنه ينتظر النبي المبعوث قريبا من العرب. فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة حسده أبو عامر وأنكر نبوته ، وجاء يناقشه في الحنيفية، وخرج إلى مكة مباعدا ومباغضا لرسول الله ﷺ .

٢ - أسباب نشوء النفاق في المدينة :

ا - نلاحظ أن النفاق لم يكن في مكة، وإنما نشأ وترعرع في المدينة. وذلك لأن الإسلام كان في مكة ضعيفا مضطهدا ، فلم يكن ثمة داع لأن يتظاهر به أحد فيضطهد ويعذب. ولكن لما قويت شوكة الإسلام في المدينة ودخل عامة أهلها من الأوس والخزرج في الإسلام، وأصبح له بعد معركة بدر قوة وغلبة وسيطرة طمع هذا النفر من المنافقين في إظهار الإسلام حتى لا يقفوا علنا في وجه القوة ، وحتى يفيدوا من عز الإسلام ونصره، ولكن قلوبهم له منكرة ، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر ، وبالتالي فإن فتنتهم في داخل الصف المسلم يمكن أن تقبل بينما لو كانوا كفارا ظاهرين لانكشفوا، ولما قبل منهم رأي.

ب - المنافقون ذوو ضمائر فاسدة ، وهم متمردون تمردا خفيا على سلطة الدولة المسلمة الجديدة، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم ، ولكنهم كانوا مضطرين للدخول تحت سلطة الدولة بصفتهم مسلمين ظاهرا، حتى لا يكون مصيرهم مصير المشركين واليهود. فتلفعوا بثوب الإسلام ليحموا أنفسهم من نهاية المشركين وعاقبة اليهود.

جـ - والمنافقون أصحاب حسد ، يحبون الدنيا ولا يعملون للآخرة وكان بعضهم زعماء يبحثون عن عز الدنيا، فلما جاء الإسلام حرمهم من زعاماتهم، وحب الرئاسة، فنقموا عليه، وأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر. كما أنهم أصحاب ظن سيء يخافون أن يظهر المشركون على المسلمين. ولهذا لما أصدر النبي ﷺ حكمه في يهود بني النضير ، جاء رأس المنافقين عبدالله بن أبيّ ابن سلول يشفع لهم ويقول يامحمد أحسن إلىّ في موالي، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع ، قد منعوني

من الأحمر والأسود ، وتحصدهم في غداة واحد؟! وإني والله امرؤ أخشى الدوائر.

د - كما أن اليهود كان لهم دور بارز في تعزيز النفاق والمنافقين في المدينة، حيث كانوا ينسقون معهم لعداء الرسول ﷺ وهم الذين كانوا يدفعون المنافقين لطرح أسئلة الجدل والمماحكة على الرسول ﷺ . كما كانوا يغذونهم بالإشاعات والفتن لبلبلة الصف المسلم ، ومحاولة شق وحدته بتذكير الأنصار بيوم بعاث في الجاهلية، أو بإثارة الفتن بين المهاجرين والأنصار . ولقد كانت للمنافقين اتصالات واضحة باليهود، فعبدالله بن أبي كان يقول لبني النضير يحرضهم على عدم الاستجابة لشروط النبي ﷺ: لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم.

٣ - خطورة النفاق والمنافقين :

لقد كان معسكر النفاق والمنافقين خطيرا في الحياة الإسلامية. لأنه كفر في حقيقته غير ظاهر، ولذلك لا تستطيع أن تتصرف مع المنافقين وتعاملهم معاملة الكفار، إذ أنهم يظهرون الإسلام، ويصلون مع المسلمين وقد يخرجون مع المقاتلين . فهذا العدو خفي باطن، مرض تحمله الأمة في داخلها ، وليس عدوا خارجيا منحازا تقاتله، ولذلك حينما كان يقترح بعض الصحابة على رسول الله ﷺ أن يضرب رأس المنافق كان عليه الصلاة والسلام يقول : لا ، حتى لا يقال محمد يقتل أصحابه.

كما أن هذا المعسكر صاحب حيلة ودهاء ولا ينكشف أمره لكل المسلمين، بل تنطلي حيلته على كثير من المسلمين الطيبين . ولذلك فقد نجح عبد الله ابن أبي في إقناع ثلث الجيش المسلم يوم أحد بالعودة إلى المدينة، ومانظن

أن ثلث الجيش كان منافقا ، ولكن المنافقين قلة استطاعت بدهائها أن تقنع الدهماء والبسطاء من المسلمين ، الذين لا يستطيعون التمييز بين المواقف ودراستها دراسة دقيقة. ولقد كان المنافقون مختلطين بالمسلمين اختلاطا شديدا، ولم يكن أمرهم معروفا لجميع المسلمين ، إلا ما كان من معرفة بعض ملامحهم وصفاتهم ، حيث قال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ «سورة محمد آية ٣٠» ولذلك لم يكن من السهوله معرفتهم أول الأمر، وإنما أخذوا ينكشفون شيئا فشيئا من خلال مواقفهم وفي ساعات الشدة والأزمات، والمعارك والقتال ، حيث كان لهم من كل حدث موقف ، وفي كل معركة تخذيل، فكانوا عدوا أشد من الأعداء المعروفين كما قال تعالى فيهم ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ سورة المنافقون الآية ٤

٤ - علاج ظاهرة النفاق :

ا - سلك النبي ﷺ مع المنافقين أسلوب العظة والتذكير بالله تعالى وكان ﷺ يدعوهم بالهداية ، ويوجه المسلمين إلى عدم الاستعجال بالحكم على الناس بالنفاق ، وقوفا عند قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ۚ تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ «النساء ٩٤».

ب - أحسن النبي ﷺ معاملة المنافقين وداراهم لعلهم يرتدعون، وحتى ينكشف أمرهم للمسلمين ، ولما طلب عبد الله بن عبدالله بن أبي من الرسول ﷺ أن يضرب هو عنق أبيه إن كان الرسول يريد قتله ، حتى لا تثور نفسه فيثأر لدم أبيه من قاتله ، فيقتل مؤمناً بكافر، قال له النبي ﷺ بل نحسن صحبته ما كان معنا .

جـ - كما كان النبي ﷺ يدعو المسلمين إلى الحذر منهم ، ومن إشاعاتهم وذلك بالوعي الراسخ ، والإيمان الثابت ، والحزم في الأمور، والإعراض عنهم وعن أباطيلهم ، كما قال تعالى: وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا «سورة النساء ٨١».

د - كما نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة المنافقين وعن حبهم وصداقتهم. لأنهم فريق متآمر مخادع .، يبثون السوء والشر في الأمة المسلمة، وحذر المسلمين عن الاغترار بظاهر أقوال المنافقين. قال تعالى يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ آل عمران ١١٨».

النشـــاط :

تخصص مناقشة صفية لموضوع النفاق والمنافقون في ضوء العقيدة الإسلامية.

النفاق والمنافقون (٢)

عناصر الدرس :

١ - عبدالله بن أبيّ في غزوة بني المصطلق .
٢ - المنافقون وحديث الإفك .
٣ - النفاق والمنافقون دروس وعبر .

١ - عبد الله بن أبّي في غزوة بني المصطلق :

دأب المنافقون على إثارة الفتن والقلاقل ، وكانوا لايفوتون فرصة من فرص إضعاف الجبهة الداخلية بإثارة الفتنة ونشر روح العصبية بين المسلمين . فبينما كان بعض أفراد الجيش المسلم على ماء المريسيع في غزوة بني المصطلق ، تشاجر فتيان : جهجاه الغفاري أجير عمر بن الخطاب مع سنان الأنصاري ، وهما يستقيان الماء من البئر ، فنادى الأنصاري : ياللخزرج فثار الرجال وهرب جهجاه ينادي يالقريش ، فأقبل المسلمون من المهاجرين والأنصار حتى كادت تكون فتنة لولا ماكان من رجل قام بالصلح فترك سنان حقه ، وكان عبدالله بن أبيّ جالساً ، وقد غاظه ماحصل وقال : والله مارأيت كاليوم مذلة ، أو قد فعلها المهاجرون ، نافرونا وكاثرونا في بلادنا وأنكرونا منيتنا والله ماصرنا وهؤلاء إلا كما قال القائل سمّن كلبك يأكلك ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فسمعه زيد بن أرقم وكان غلاماً ، فبلغها للنبي ﷺ وعنده نفر من المهاجرين والأنصار ، فتغير وجه رسول الله ﷺ ، فقال : ياغلام لعلك غضبت عليه ؟ قال : لا والله يارسول الله لقد سمعت منه، فقال بعض الحاضرين : إنه يارسول الله غلام ربما وهم واشتبه عليه الأمر ،

وعلم عمر بالمقالة فجاء غاضباً وقال : يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق أو مُر به عبّادُ ابن بشر الأنصاري فليأتك برأسه ، وبلغ الخبر عبدالله بن أبي فجاء يحلف بالله إنه ماقال ، فأمر رسول الله ﷺ الجيش بالرحيل في ساعة لم يكن يرحل فيها ، وطلب الإسراع في الحركة والمشي حتى دخل اليوم التالي وما أن انتهى ذلك اليوم حتى كان الجيش متعباً جداً فناموا من شدة التعب وبهذا قضى رسول الله ﷺ على الإشاعة وعلى الفتنة إذ لاوقت للحديث فيها . وفي الطريق نزل الوحي على رسول الله ﷺ بسورة «المنافقون» ، فأخذ رسول الله بأذن زيد ابن أرقم وهو يقول: «وفَتْ أذنك ياغلام ، وصدّق الله حديثك» .

وجاء عبدالله ابن رأس النفاق عبدالله بن أبيّ بن سلول ، وكان شاباً صالحاً، حين سمع الخبر ، وقال يارسول الله : إن كنت تريد أن تقتل أبي فمُرني به ، فوالله لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا ، والله لقد علمت الخزرج ماكان فيها رجل أبرّ بوالده مني ، وإني لأخشى يارسول الله أن تأمر غيري بقتله فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل والدي يمشي في الناس فأقتله فأدخل النار ، وعفوك أفضل ومَنُّكَ أعظم . فقال رسول الله ﷺ : «ماأردت قتله ، وما أمرت به ، ولنحسن صحبته ماكان بين أظهرنا » ولما وصل الجيش على مشارف المدينة ، وقف عبدالله هذا يمنع والده المنافق من دخولها حتى يأذن له رسول الله ، حتى يلقنه درساً من الأعز ومن الأذل .

٢ - المنافقون وحديث الإفك :

وملخص هذه القضية أن عائشة رضي الله عنها ، وكانت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق ، وفي طريق عودة الجيش إلى المدينة ، فقدت عقدها وهي في قضاء حاجتها ، فأخذت تبحث عنه، وسار الركب ، وحملوا

هودجها ولم تكن فيه ولم يشعروا بذلك لأنها كانت فتاة خفيفة الوزن، فلما عادت عائشة إلى المكان الذي نزل فيه الجيش وجدت المسلمين قد ارتحلوا، فتلففت بثوبها وجلست تنتظر عودتهم إليها حين يفقدونها ، وإذا بصفوان بن المعطل ، وكان قد أخذه النوم في أخريات الجيش ، يراها فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، زوجة رسول الله ﷺ ، فأناخ لها بعيره فركبت وسار بها يقود بعيره حتى لحق بالجيش في الظهيرة ، فلما رأى الناس ذلك تكلم بعض المؤمنين ، وأساءوا الظنَ . فوجد عبدالله بن أبي رأس المنافقين متنفساً لسوئه ، وخصوصاً بعد أن فضحه الله تعالى بنزول سورة «المنافقون» وماكان قد انكشف نفاقه في كلامه على ماء المريسيع ، فجعل يشوه صورة السيدة عائشة بين المؤمنين ويتهمها بالفاحشة ، ويشيع الأخبار الكاذبة وانتشرت مقالة السوء بفعل المنافقين ، مما أقض مضجع بيت النبوة وبيت أبي بكر ، ورسول الله ﷺ ساكت لايتكلم حتى أفاض الناس في حديث الإفك ، فاستشار النبي ﷺ أصحابه في ذلك ، فأشار عليه علي بن أبي طالب أن يفارق عائشة ، وأشار عليه أسامة بن زيد وغيره بإمساكها وعدم الالتفات إلى إشاعات المنافقين ، وقام رسول الله على المنبر يشعر المؤمنين بتأذيه من عبدالله ابن أبي فأظهر أسيد بن حضير من الأوس استعداده لقتله فأخذت سعد بن عبادة من الخزرج ـــ قبيلة ابن أبي ـــ الحمية، فجرى بينهما كلام وكادت الفتنة تحصل بين الأوس والخزرج لولا ما كان من تهدئة النبي ﷺ للحيَّين وإسكات نيران الفتنة .

وكل ذلك يجري وعائشة لاتعرف من هذه الأمور شيئاً ، سوى أنها رأت رسول الله ﷺ ليس على حالته المعروفة معها ، فمرضت وطلبت الانتقال إلى أمها كي تُمرِّضها ، وهنالك علمت بالخبر ، فازداد مرضها وهدأت أمها من روعها ، وقالت لها : إنه مامن امرأة جميلة يحبها زوجها إلا وتجد حسداً

من النساء ، وجاء رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر يقول لعائشة : «أما بعد ياعائشة فقد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه » فانفجرت بكاء ثم سكتت وقالت لأبويها : أجيبا رسول الله ، فلم يستطيعا الإجابة . فأجابته بقولها : لقد سمعتم الحديث حتى استقر في نفوسكم ، فإن قلت إني بريئة – والله يعلم إني منه بريئة – لاتصدقون بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ــ والله يعلم إني منه بريئة ــ لتصدقوني ــ والله يعلم إني منه برئية لتصدقني ، والله ما أجد لكم مثلاً قول أبي يوسف ــ تعني سيدنا يعقوب ــ «فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون» . وإذا بالوحي ينزل على رسول الله ﷺ في تبرئة عائشة من حديث الإفك فقال لها رسول الله ﷺ : «ياعائشة أما الله فقد برأك. فحمدت الله تعالى على ذلك» .

وهكذا فقد رفع الله تعالى القلق والاضطراب ، وأزاح الستار عن المنافقين وفضح أمرهم ، فلم يستطيعوا بعد ذلك التلاعب بأعراض المسلمين ، وأخذ المسلمون يعاتبون ابن أبيّ ومن معه ويعنفونهم حتى قال رسول الله ﷺ لعمر ابن الخطاب : «كيف ياعمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له آنف ، ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلته، فقال عمر : قد والله علمت ، لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري .[1].

٣ – النفاق والمنافقون دروس وعبر :

ا – النفاق مرض نفسي واجتماعي خبيث وخطير ، لأنها تناقض بين الظاهر والباطن ، وتلوُّن في المواقف ، ويقود إلى مواقف خطيرة في حياة الفرد والأمة ، يبدأ مرضاً فردياً ثم يصبح ظاهرة جماعية تهدد أمن المجتمع وسلامته .

---

١ – السيرة النبوية لابن هشام

ب – معسكر النفاق شديد الخطورة على الأمة فهو يساند معسكر الكفر الظاهر ويقود إلى الوثنية وفرقة الصف ولم يترك المسلمين منذ أول يوم دخل فيه الرسول المدينة إلى آخر لحظة قضاها النبي ﷺ حتى كان للنفاق يد في حركة الردّة .

جـ – صعوبة التعامل مع المنافق والمنافقين ، يزيد من خطورة هذه الظاهرة ، لأنهم يصعب ضبط حركاتهم وتصعب محاربتهم ، وتصفيتهم ربما تفتح الباب لفتنة داخلية ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يرفض عروض الصحابة بقتلهم إذ كيف له أن يقتل من يظهرون الإسلام ، وهو بهذا لا يريد للمسلمين أن يحكموا على الناس بقلوبهم ، إذ أن شرعنا يتعامل مع الظاهر لا مع الباطن ، فبواطن الناس لايعلمها إلا الله تعالى . ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يقول : لايقال محمد يقتل أصحابه ، ويقول : أليسوا يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، فإني نهيت أن أقتل أولئك .[1]

د – رغم خطورة هذه الظاهرة ، فإنها كانت تحفز المسلمين وتدفعهم للوعي والحيطة والحذر ، وكانت تعزز وحدة صف المسلمين في وجه هذا الخطر الداخلي .

هـ – لم يترك المنافقون جبهة من الجبهات المعادية للإسلام إلا ودخلوا فيها وساندوها ، فقد تآمروا مع اليهود على المسلمين ، كما تآمروا مع قريش ، كما خذلوا المسلمين عن القتال ، كما كانوا وراء الفتن الداخلية لتصديع الجبهة الداخلية للمجتمع المسلم ، حتى ماسلم من أذاهم بيت النبوة ولا زوجات الرسول ﷺ .

---

١ – المغازي للواقدي ٣/١٠٤٢ – ١٠٤٤

و – يُكبر المسلم موقف الشاب زيد بن أرقم الذي لم يسكت على فتنة المنافق ، فذهب إلى الرسول ﷺ يخبره عما سمعه ، كما يكبر المسلم موقف الشاب المؤمن الصادق عبدالله بن عبدالله بن أبي ابن سلول الذي جاء للرسول ﷺ يعرض عليه أن يقتل والده إن كان الرسول يريد قتله ، كما يقف لوالده ويتصدى له بباب المدينة فيمنعه من الدخول فيها إلا بإذن من رسول الله ﷺ .

ز – تتجلى حكمة الرسول ﷺ في معالجة الموقف الذي أصبح مشحوناً بين المسلمين ، بفتنة المنافق ، فيأمر النبي الجيش بالرحيل حتى أعياهم التعب ، وبالتالي أسكت الفتنة وأذاب الشائعات وأشغل الناس عن القيل والقال ، فأمات الفتنة في مهدها .

حـ – يجب على المسلمين أن يحذروا النفاق والمنافقين ، ولهذا أخذ المسلمون درساً عميقاً في كيفية معالجة حديث الإفك فكان الأولى لهم أن يظنوا بأنفسهم خيرا ، وألا تنطلي عليهم مؤامرات المنافقين الذين لم يسلم من أذاهم أطهر بيت ، بيت النبي وأزواجه .

النشـاط :

١ – خطر المنافقين على الإسلام والمسلمين أشد من خطر المشركين . حلل ذلك ووضحه بالأمثلة التاريخية .

٢ – يعاني المسلمون حاليا من المنافقين ، كيف يتجلى لك نفاق جاهلية القرن العشرين ؟ ولاسيما في بلاد المسلمين (ركز على الجانب الاجتماعي) .

الوحـدة التاسعة
انتشـار الدعوة
واكتمال الدين

١ – رسائل النبي ﷺ.
٢ – غزوة مؤتة (١).
٣ – غزوة مؤتة (٢).
٤ – غزوة تبوك
٥ – عام القبائل والوفود.
٦ – حجة الوداع (١).
٧ – حجة الوداع (٢).
٨ – انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

الصراع مع الدول الكبرى
دعوة النبي لعظماء زمانه
رسائل النبي ﷺ

عناصر الدرس :

١ - الرسول داعية الله للناس كافة .
٢ - رسالة النبي إلى هرقل ملك الروم .
٣ - رسالته ﷺ إلى كسرى ملك الفرس .
٤ - رسائل أخرى .
٥ - دروس وعبر من رسائل النبي ﷺ إلى العظماء .

١ - الرسول داعية الله للناس كافة :

بعث الله رسوله ﷺ للناس كافة . وكلفه أن يدعو الناس إلى عبادة الله عز وجل ، فبدأ بأهله وعشيرته ، وقومه فآمن القليل ، وحاربه الكثير . وخاض مع قريش وسائر القبائل العربية معارك حامية ، حتى ماكان من أمر الهدنة يوم الحديبية ، وكانت هذه الهدنة بمثابة الفرصة المنتظرة ، حتى يكمل رسول الله ﷺ مهمته ، ويقوم بوظيفته في دعوة غير العرب إلى الإسلام ، وفي دعوة المناطق النائية داخل الجزيرة العربية وفي أطرافها إلى الإسلام ، فلطالما شغلته قريش والأحزاب عن مخاطبة الناس ، وهو ﷺ بعث رحمة للعالمين ، والقتال ليس هو نهاية المطاف في حياته ، ولا هو منهج التعامل مع الناس ، فهو داعية قبل أن يكون مقاتلاً ، فإن أصر الباطل على الوقوف في وجه

دعوته ، وتربص لدينه ودولته ، أضبح القتال ضرورة لامفر منها . ولذا فإن رسول الله ﷺ ماقاتل قوماً ولا قبيلة ولا أمة من الأمم إلا بعد أن دعاها إلى الله عز وجل ، وتلطف في دعايتها إلى الإسلام . وما اختار القتال أسلوباً للدعوة إلا بعد أن تختار الأمم والدول والشعوب والقبائل المدعوة القتال لمنع دعوته وللصد عن دين الله عز وجل .

وتحقيقاً لهذا النهج ، ماإن لاحت فرصة هدوء بعد الحديبية ،حتى استغلها النبي ﷺ لدعوة الملوك والرؤساء، والعظماء والأمراء ، في طريق دعوة شعوبهم وقبائلهم ودولهم إلى الإسلام ، واختار النبي ﷺ أن يكتب لهؤلاء العظماء رسائل مختومة بختم النبوة «محمد رسول الله» .. وبعثها مع حكماء وعقلاء من أصحابه ، يحسنون الحديث ويتكلمون بالحكمة ، ويتلطفون في خطاب الزعماء ، نختار من هذه الرسائل بعضها :

٢ - رسالة النبي إلى هرقل ملك الروم :

كانت تتقاسم العالم في ذلك الزمان ، دولتان كبيرتان الروم وفارس ، فأرسل النبي ﷺ رسالته التالية إلى هرقل ملك الروم يدعوه فيها ويدعو شعبه للإسلام ، الذي يعترف بعيسى عليه الصلاة والسلام ونص هذا الكتاب مايلي [١] :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد ..

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك

---

١ - صحيح البخاري رقم (٧، ٥١، ٢٦٨١) وصحيح مسلم رقم (١٧٧٣)

مرتين . وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران : ٦٤] .

فلما وصل الكتاب إلى هرقل بحث عن تجار من قوم هذا النبي الذي أرسل له رسالة ، فوجد أبا سفيان مع بعض التجار العرب ، فسألهم عن محمد وحسبه ونسبه، وإلى ماذا يدعو قومه، وهل صدّقه القوم أم كذبوه، وعن أخلاقه فلما أجابوه عرف أنه نبي صادق ، ولما صارح رجال الدين عنده أنكروا عليه.، فأوهمهم أنه يختبرهم ، وخاف على ملكه ، ومصالحه ودنياه، فهو سياسي ماكر ، أمر الدين لايعنيه إلا بقدر مايدعم ملكه وينمي قوته .. وشاءت لباقته أن يستدعي «دِحْيَةَ» ــ حامل كتاب النبي إليه ــ وأن يحاول إيهامه بأنه مسلم»[1] .

٣ - رسالته ﷺ إلى كسرى ملك الفرس :

كما بعث النبي ﷺ رسالة إلى ملك الدولة الكبرى الثانية في العالم آنذاك ، إلى كسرى ملك الفرس مع عبدالله بن حذافة السهمي وفيها :

«بسم الله الرحمن الرحيم .. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس .

سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

أدعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس»[2]

---

١ - الغزالي : فقه السيرة ص/ ٣٨٥

٢ - حديث حسن ابن نجرير في تاريخه ٢/٢٩٥ ــ ٢٩٦

فماذا كان موقف ملك فارس ؟

كان هذا الملك عصبي المزاج ، فمزق كتاب رسول الله ﷺ وأرسل إلى والي اليمن أمراً أن يبعث للرسول رجالاً أشداء يأتونَهُ به ، فما كان من ذلك الوالي الذليل إلا نفذ أمر سيده ، فلما جاء الرجلان من اليمن إلى النبي ﷺ أخبره جبريل بقصدهما ، كما أخبره أن يقول لهما ولوالي اليمن الذي أرسلهما أن الله ربنا قد قتل كسرى ربكم ، ذلك أنه حصل انقلاب عليه فقتله ابنه . فلما عادا إلى والي اليمن أيقن أن محمداً رسول الله فأسلم ودخل كثير من أهل اليمن في الإسلام ، وبهذا مزق الله ملك كسرى كما دعا عليه النبي ﷺ حين مزق الكتاب فقال : «مزق الله ملكه» [٣].

٤ - رسائل أخـــرى :

ا - بعث النبي ﷺ رسالة أخرى إلى النجاشي وكان على النصرانية يدعوه إلى الله تعالى.، ويكلمه فيها أن رسالة الإسلام تؤمن بعيسى كلمة الله ألقاها إلى مريم ، فأسلم النجاشي ، ولما مات صلى النبي ﷺ عليه صلاة الغائب .

ب - كما بعث النبي ﷺ برسالة أخرى مشابهة للمقوقس عظيم الأقباط ـــ نصارى مصر ـــ فأكرم مبعوث رسول الله وبعث رسالة لطيفة للنبي ﷺ وأهداه جاريتين إحداهما مارية القبطية ، وبغلة وثياباً جميلة .

جـ - وكما دعا رسول الله ﷺ زعماء الدول الكبرى ، دعا كذلك حكام الإمارات العربية على أطراف الجزيرة العربية وكانت ردودهم على رسائله متباينة . فقد بعث رسالة إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين فأسلم وأسلم معه بعض شعبه ، وبعث رسالة إلى ملك عمان جيفر

---

١ - صحيح البخاري .

وأخيه ووعدهما إن هما أسلما أن يبقيا على ملكهما فأسلما . وبعث رسائله إلى الولايات التابعة للرومان : إلى أمير دمشق فرفض وأخذ يُعدّ نفسه لقتال المسلمين ، وإلى أمير بصرى في الشام فقتل حامل رسالة النبي ﷺ .

٥ - دروس وعبر من رسائل النبي إلى العظماء :

ا - من هدي الإسلام الدعوة إلى الله قبل القتال . ولهذا بدأ النبي ﷺ بدعوة الناس إلى الإسلام ، وأرسل رسائله لعظماء العالم فلما أبوا إلا الكفر ومحاربة الإسلام حاربهم ، حتى دخلوا في دين الله عز وجل .

ب - كانت رسائله ﷺ إلى زعماء زمانه مختصرة مفيدة ، تحتوي المبادىء الكبرى التي يدعوا إليها الإسلام وهي : الإيمان بالله والواحد وبرسالة محمد ﷺ ، وترك عبودية البشر للبشر وردّ العبودية لله وحده لا شريك له .

جـ - كانت رسائله تبدأ بالبسملة - بسم الله الرحمن الرحيم - وبالسلام على من اتبع الهدى ، فإن الإسلام دين السلام والهدوء ، والطمأنينة للبشرية .

د - كانت رسائله ﷺ لأهل الكتاب تتميز بدعوتهم إلى كلمة سواء بيننا وبينهم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، وألا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، بينما كانت رسائله لغيرهم ممن يدينون بالمجوس والوثنية تتميز بدعوتهم إلى الإيمان بالله الواحد وبرسالة محمد ﷺ وترك الكفر . وذلك لأن أهل الكتاب انحرفوا عن عبادة الله باتخاذ المسيح ابن مريم رباً ، وأخذ رجال الدين عندهم يعبدون الناس لهواهم ويطيعهم أقوامهم فيعبدونهم من دون الله .

هـ - وعد النبي ﷺ أهل الكتاب في رسائله ، أن من يسلم يؤته الله أجره مرتين وليس ذلك لغير أهل الكتاب ، وذلك لأنهم لإيمانهم بدينهم ـــ وأصله من عند الله. أجراً ، ولإيمانهم بالإسلام وهو دين الله ـــ أجراً ، فكان أجرهم مضاعفاً .

و - حملت رسائل النبي ﷺ زعماء تلك الأمم والشعوب إثم شعوبها إن لم تسلم ، لأن الزعماء إن أسلموا رفعوا الإثم عنهم وعن شعوبهم ، وإن هم لم يسلموا أثموا ، وتحملوا إثم الشعوب التي حالوا بينها وبين الإسلام ، ولهذا فإن الحكم مسئولية خطيرة وعظيمة عند الله عز وجل ، فمن نصح شعبه وأراد لهم الخير ، نجا ونجا قومه ، وأجْـرُهُ عند الله وأُجر قومه ، ومن غشهم ظلم نفسه وظلمهم واكتسب إثم نفسه وتحمل أوزارهم وآثامهم .

ز - اتصفت ردود زعماء أهل الكتاب على رسائل النبي ﷺ بالرقة واللين ، فمنهم من أسلم ، ومن لم يسلم منهم ردّ رداً حسنا ، بينما اتصفت ردود الوثنيين والمجوس بالغلظة والشدة فمنهم من مزق الكتاب ومنهم من قتل مبعوث النبي ﷺ .

مصطلحات :

الأريسيين : الفلاحين والمزارعين، أي الشعب الروماني.

يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً: يطيع البشر بعضهم بعضاً، فيحل البشر ويحرمون ويطيعهم الناس في ذلك ويتركون عبادة الله عز وجل.

نشـــاط :

راجع صحيح البخاري وانقل إلى دفترك من حديث أبي سفيان عند هرقل .
[كتاب بدء الوحي ـــ باب حديث أبي سفيان عند هرقل رقم ٧] .
واستنبط من الحديث دلائل صدق نبوة محمد ﷺ كما سأل عنها هرقل.

غـــزوة مـؤتـــة (١)

عناصر الدرس :

١ - تاريخ الغزوة .
٢ - سبب الغزوة وأهدافها.
٣ - قوات الطرفين .
٤ - وداع الجيش ووصية الرسول ﷺ له .
٥ - مسير الجيش إلى معان.
٦ - دروس وعبر .

١ - تاريخ الغـزوة :

أمر النبى ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوة مؤته والخروج في شهر جمادى الأولى من السنة الثامنه للهجرة ، وذلك في فترة الهدنة بين المسلمين وقريش بناء على صلح الحديبية.

٢ - سبب الغزوة وأهدافها :

ا - كان رسول الله ﷺ قد بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه الذي يدعو فيه عظيم بصرى بالشام، فعرض له في مؤتة شرحبيل بن عمرو الغساني حيث كان عاملا على البلقاء من أرض الأردن من قبل قيصر، فربطه وضرب عنقه، فلما علم رسول الله ﷺ، اشتد عليه الأمر فأمر بتجهيز الجيش .

ب - كما كان رسول الله ﷺ قد بعث كتابه إلى هرقل عظيم الروم ، ولم يستجب للإسلام. فأراد رسول الله ﷺ أن يلقن الروم وتابعيهم من العرب الغساسنة درسا، حيث لم يستجيبوا للدعوة إلى الله، واعتدوا على مبعوث رسول الله ﷺ ، فمثل هؤلاء العظماء هم الذين يقفون في سبيل نشر دعوة الإسلام، ولا بد من قتالهم.

جـ - الإسلام دعوة عالمية، تتجاوز جزيرة العرب إلى الدول الكبرى وهذه المعركة، أرادها رسول الله ﷺ بالإضافة لما سبق من أسبابها المباشرة بداية اشتباك مع الدولة الكبرى ــ الروم ــ إيذانا بعالمية الإسلام.

٣ - قـوات الطرفين :

ا - كانت قوات المشركين تتألف من جيشين كبيرين قوامهما مائتا ألف جندي، مائة ألف منهم جيش الرومان، ومائة ألف أخرى من عرب الغساسنة وسائر القبائل المنتصرة التابعة للرومان.

ب - أما قوات المسلمين فلم يكن عددها يتجاوز ثلاثة آلاف جندي ، وبهذا يكون عدد قوات العدو سبعين ضعفا من قوات المسلمين عدا عن تجهيزات جيش لأكبر دولة في العالم آنذاك.

وقد نظم رسول الله ﷺ جيشه ، فجعل له أمراء ثلاثة يتعاقبون على قيادته، وهم زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبي طالب فإن قتل فعبد الله ابن رواحة .

٤ - وداع الجيش ووصية رسول الله ﷺ له :

نظرا لأهمية هذا الخروج ، وبعد المسافة ، وخطورة هذه الغزوة القادمة خرج رسول الله ﷺ والمسلمون معه يودعون الجيش ، ويدعون لهم بالنصر

وبالعودة سالمين. وكان مما وصى النبي ﷺ جيشه: أن يأتوا القوم الذين قتلوا مبعوثه فيدعوهم إلى الإسلام أولا، فإن أبوا قاتلوهم ، وكان مما قاله ﷺ (اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ، ولا تغيروا ، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ، ولا منعزلا بصومعة ، ولا تقطعوا نخلا ولا شجرة ، ولاتهدموا بناء)[1]

ولما سلم المسلمون على الجيش وقادته ، وسلم عبد الله بن رواحة على رسول الله ﷺ بكى ، فقالوا له: ما يبكيك ؟ فقال: أما والله مابي حب الدنيا ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا)«سورة مريم ٧١» فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود؟ فقال له المسلمون: صحبكم الله بالسلامة ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين غانمين، فأنشد عبد الله بن رواحة:

ولكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات قرع تقذف الزبدا
أوطعنة بيدي حران مُجهـزةً ... بحربةٍ تنفـذُ الأحشاء والكبـدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي ... يا أرشد الله من غاز وقد رشدا[2]

٥ - مسير الجيش إلى معان :

سار جيش المسلمين أطول مسافة سارها، من المدينة إلى معان، حيث تزيد على ألف من الكيلومترات ، في قسوة الصحراء ورمالها، ووجدوا هناك مائتى ألف مقاتل مدجج بالأسلحة، ويقاتل في بلده وبين أهله فكانت مفاجأة رهيبة لجيش المسلمين. فعقد أمراء الجيش مجلسا استشاريا عسكريا لدراسة الأمر قبل الإقدام. فرأى بعضهم أن يرسلوا إلى النبي ﷺ فيخبروه بعددعدوهم عله

---

١ - مختصر سيرة الرسول للشيخ عبدالله النجدي ص/٣٢٧. مغازي الواقدي ٢/٧٥٧ - ٧٥٨
٢ - ابن هشام : السيرة النبوية ٤/٧٠

يمدهم برجال أو يصدرلهم الأوامر بالإقدام. ولكن عبد الله بن رواحة عارض هذا الرأى وأخذ يحرض الجيش على القتال ويقول:(يا قوم والله التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون؛ الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة). وهكذا استقر رأى الجيش على الإقدام.

٦ - دروس وعبـــر :

ا - الإسلام دعوة عالمية، وأثبتت غزوة مؤتة أن الإسلام قد خرج بدعوته خارج نطاق الجزيرة العربية، فلمّا اعتدى الغساسنة على مبعوث رسول الله ﷺ الذي حمل رسالة الدعوة إليهم، قاتلهم رسول الله ﷺ حتى يفتح بابا لوصول الدعوة إليهم.

ب - الإسلام لا يقبل الضيم ، ورسول الله ﷺ والمسلمون لا يسكتون على الظلم ، ومن ثم كانت معركة مؤتة انتقاما لمسلم حمل دعوة الله وتأديبا لمن لا يكرمون الإنسان ولمن لا يحترمون السفراء.

جـ - المسلمون لا يقاتلون بعدد ولا قوة، وإنما يقاتلون بنية للجهاد صادقة وما توفر لديهم من العدد والعدة ، لأن النصر من الله سبحانة وتعالى ، ولذا قابل جيش المسلمون سبعين ضعفا من جيشهم. وقد ثبّت هذا المعنى في نفوس جيش المسلمين عبد الله بن رواحة ، حين حَرّصَ الجيش على الإقدام على العدو ، فإن المسلم ضامن بإذن الله تعالى إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

نشـــاط:

- في وصايا الرسول الكريم للجيش الإسلامي المتوجه إلى غزوة مؤتة دروس إنسانية عظيمة. عدّدها وحلل أبعادها الإنسانية.

غزوة مؤتة (٢)

عناصر الدرس

١ - سير المعركة .
٢ - خالد يرسم خطة الانسحاب .
٣ - رسول الله يخبر المسلمين بسير المعركة .
٤ - آ ثار معركة مؤتة .
٥ - دروس وعبر .

١ ــ سير المعركة:

١ - وصل جيش المسلمين من معان إلى مؤتة، وهو الموقع الذي قتل فيه مبعوث رسول الله ﷺ. وكان الجيش مقسما على مقدمة للهجوم ومؤخرة وميمنة وميسرة، وأخذ الراية الأمير الأول للجيش زيد بن حارثة . وهجم بقواته على قوات العدو الرومي والْمُتَنَصِّرة العرب، ببسالة وشجاعة، فلم يزل يقاتل ويقاتل حتى تناولته رماح القوم واستشهد رضي الله عنه. فأخذ الراية الأمير الثاني جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه، وقاتل قتالا شديداً، حتى قفز عن فرس له شقراء، فعقرها وأخذ يقاتل راجلا، فقطعت يمينه، فحمل الراية فى شماله وأخذ يقاتل حتى قطعت شماله، فاحتضن الراية بعضديه حتى استشهد رضي الله عنه، وقد وجد أصحابه في جسده ما يزيد على تسعين طعنة كلها في صدره ومقدمة جسمه ولا شيء منها في ظهره .فأخذ الراية من بعده أمير الجيش الثالث عبد الله بن رواحة، وقد وجد في نفسه بعض التردد فأخذ ينشد الشعر يعاتب نفسه ويدعوها للإقدام ويقول:

أقسمت يانفس لتنزلنه لتنزلـــــن أو لتكرهنّـــــه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة مـالى أراك تكـرهين الجنـة
ويقول : يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قـد صليت
كما تمنيت فقد أعطيـــت إن تفـعلي فعلهما هـديت

وكان بيده قطعة لحم ناوله إياها قريبه ، فنهش منها نهشة ثم رماها وتقدم وبقي يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه.

٢ - خالد يرسم خطة الانسحاب :

ولما استشهد عبد الله بن رواحة ، بادر أحد كبار الجيش وهو ثابت بن أرقم فحمل الراية حتي لا تسقط ، ولاتنتهي المعركة بهزيمة المسلمين ، وقال يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم يتولى إمارة الجيش، فقالوا له: أنت ، فقال: ما أنا بفاعل، فاختار المسلمون خالد بن الوليد . فحمل خالد الراية وقاتل سائر النهار وفي الليل غير خالد في ترتيب الجيش فجعل المقدمة مؤخرة والمؤخرة مقدمة، والميمنة ميسرة، والميسرة ميمنة، ولما بدأ القتال ألقى الله الرعب في قلوب الأعداء، ورأوا جيشا آخر فظنوا أن مددا من الجيش قد وصل إلى المسلمين واحتدم القتال ، وبدأت قوات العدو بالتراجع شيئا فشيئا حيث بردت همتهم للقتال ، فاستغل خالد الفرصة وأخذ ينسحب هو أيضا بجيشه، فنجا هذا الجيش من نهاية صعبة لو استمر القتال بسبب كثرة جيش الأعداء وعددهم. وهكذا عاد الجيش المسلم إلى المدينة بخسائر قليلة إلا ما كان من استشهاد اثنى عشر رجلا منهم أمراؤه الثلاثة، في حين قتل من الأعداء عدد كبير.

٣ - رسول الله ﷺ يخبر المسلمين بسير المعركة :

بينما كانت المعركة محتدمة، وإذا برسول الله ﷺ يخطب في المسلمين في المدينة ويقول لهم: «ألا أخبركم عن جيشكم الغازي: إنهم انطلقوا حتى لقوا

العدو ، فأصيب زيد شهيدا فاستغفروا له ــ فاستغفر له الناس - ثم أخذ اللواء جعفر ابن أبي طالب فشد على القوم حتى قتل شهيدا ، اشهدوا له بالشهادة فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ، فأثبت قدميه حتى أصيب شهيدا فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ، ولم يكن من الأمراء ، هو أمر نفسه ، فرفع رسول الله ﷺ إصبعيه وقال: اللهم.هو سيف من سيوفك فانصره»[1].

٤ - آثار معركة مؤتة:

ا - عاد جيش المسلمين ، واستقبل النبي ﷺ هؤلاء الأبطال ، فقام الصبيان يحثون في وجوه الجيش التراب ويقولون يافرار يافرار ، فينهرهم النبي ﷺ ويقول: ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى.

ب - كان لهذه الغزوة أثر كبير على سمعة المسلمين ، فقد ألقت الرعب في نفوس القبائل العربية وبخاصة في شمال الجزيرة ، إذ أنها أخذت تنظر للمسلمين نظرة جديدة ، إنهم يحاربون الروم ، والروم دولة عالمية كبيرة وإنه لا يقاوم الكبار إلا كبير ، ولم يكن يخطر ببال العرب في جزيرتهم أو ببال الأعراب المتنصرة ، والتي تعيش تحت الحماية الرومانية ، أن تقوم من العرب قوة أو دولة تعكر صفو الروم وتتحداهم وتقاتلهم . ولذا فقد أسلم بعد غزوة مؤتة بنو سُليم وأشجع وغطفان وذبيان وغيرها من القبائل العربية.

جـ ــ سرية ذات السلاسل:

ولما علم النبي ﷺ من خلال غزوة مؤتة أن بعض القبائل العربية على مشارف الشام ، قد وقفت مع الرومان ضد جيش المسلمين ، أرسل لها سرية

---

١ - أحمد في المسند ٥/٢٩١ ــ ٣٠٠ ــ ٣٠١ والحديث صحيح ورجاله ثقات. وبعضه في البخاري : كتاب المغازي. باب غزوة مؤته رقم (٤٢٦٢).

في ثلاثمائة من المسلمين بقيادة عمرو بن العاص ، وأمره أن يستعين بمن يثق به من قبائل بلى وعذرة وبلقين ، وقد كانت جدته لأبيه من قبيلة بلى . فسار الليل وكمن في النهار ، ولما قرب من القوم طلب مددا فبعث له النبي ﷺ مَدَداً قوامُهُ مائتان بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح ، ولما وصلت هذه السرية ديار قضاعة دوَّخوا أهلها وهزموهم حتى نزلت على ماء يقال له سُلسل ، ولذا سميت الغزوة بذات السلاسل.

ولما تم لها تأديب تلك القبائل المتآمرة عادت إلى المدينة سالمة .

٥ - دروس وعبـــر :

ا - أبلى أمراء الجيش المسلم بلاء حسناً في القتال حتى استشهدوا جميعاً ـــ رضي الله عنهم ـــ ولكل منهم ميزة ، فزيد بن حارثة ماترك الراية حتى نهشته رماح القوم فلم تبق منه شيئاً ، وجعفر بن أبي طالب حضن الراية بعضديه بعد أن قُطعت يداه ، حتى قُطع نصفين فسماه النبي ﷺ بجعفر الطيار ، وأخبر عنه أن الله أكرمه بجناحين يطير بهما في الجنة بدل يديه ، وعبدالله بن رواحة تغلب على نفسه وأقسم عليها لَتَنْزِلَنَّ إلى القتال ، مما جعل سريره في الجنة مائلاً عن سريري صاحبيه .

ب - ظهرت في هذه المعركة حنكة خالد بن الوليد العسكرية ، حيث خدع العدو بتغيير ترتيب قواته ، حتى ظن العدو أن مدداً جديداً جاء المسلمين ، ونجح في رسم خطة الانسحاب بلا خسائر ، حتى سماه رسول الله ﷺ سيف الله المسلول .

جـ - مما يدل على أهمية هذه المعركة أن النبي ﷺ كان يخبر بها وبسيرها بتفاصيلها ساعة فساعة .

د - كان لغزوة مؤتة آثار طيبة في تقوية دولة الإسلام ، وارتفاع معنويات المسلمين ، فهم يحاربون أكبر دولة في العالم ، وأكبر تجمع للقبائل العربية في الشام ، مما فتح الباب لدخول قبائل جديدة في الإسلام ومما كان سبباً في سرية ذات السلاسل لتأديب القبائل المتاخمة لحدود الجزيرة في الشمال ، بسبب وقوفها مع قوات الرومان .

هـ - تظهر من هذه الغزوة آثار مدرسة الإسلام ، في تعبئة نفوس الصبيان والناشئة على الجهاد ، فإن صبيان المدينة وبعض المسلمين لم تعجبهم نتيجة المعركة ، إذ كيف يخسر الجيش المسلم أمراءه ؟ وعدوا هذه النهاية هزيمة ، لولا ماكان من رسول الله ﷺ ، وهو يرفع معنويات الجيش والمسلمين ، ويقول لهم : «بل هم الكرار ، إن شاء الله تعالى» .

النشـــــاط :

ارجع إلى كتابين من كتب السيرة النبوية واكتب بأسلوبك عن دروس وعبر أخرى مستفادة من غزوة مؤتة.

غـــزوة تبـــوك

عناصر الدرس :

١ - تاريخها.
٢ - سببها وأهدافها.
٣ - تجهيزات الطرفين.
٤ - سير المعركة.
٥ - المخلفون الثلاثة.
٦ - دروس وعبر .

١ - تاريخهـــا :

بعد أن فتح رسول الله ﷺ مكة ، وأظهره الله تعالى على المشركين في الجزيرة أخذ يتفرغ لنشر دعوة الإسلام خارج الجزيرة ، وكان قد اصطدم قبل فتح مكة بالرومان في مؤتة ، وما أن عاد من الفتح حتى أخذ يستعد لغزو الرومان في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة .

٢ - سببها وأهدافهـا :

ا - بلغ النبي ﷺ أن الرومان يجمعون جيشاً كبيراً ، يريدون غزو المدينة ، ذلك أنهم شعروا بعد معركة مؤتة وماذهب لهم فيها من القتلى ، أن المسلمين أصبحوا قوة كبيرة في الجزيرة العربية ، وأنهم يهددون ملك قيصر .

ب - كما خاف الروم أن ينجح الإسلام في إرجاع العرب المتنصرين على أطراف الجزيرة العربية إلى سيطرة الدولة الاسلامية ، وهم يشكلون

حاجزاً بين الجزيرة والروم ، كما أنهم يقومون بدور التابع الذليل لهم. ولاسيما أن بعضهم أخذ يدخل في الإسلام .

جـ - كما أن الرسول ﷺ لم يتم له الانتقام التام من الروم والقبائل المتنصرة التي قتلت مبعوثَهُ إليهم بالاسلام .

د - حرص رسول الله ﷺ على الاحتفاظ بهيبة الدولة الإسلامية بتأديب الغساسنة ومواجهة جيش الروم قبل أن يدخل حدود الجزيرة العربية .

٣ - تجهيزات الطرفين :

ا - جهّز الرومان قوات كثيرة منهم ، كما جهزت القبائل العربية من لَخم وجذام وعاملة وغسان قوات أخرى كثيرة ، ومعهم جميعاً أسلحة كثيرة .

ب - جهز رسول الله ﷺ جيشاً من ثلاثين ألف جندي فيهم عشرة آلاف راكب . حيث ندب المسلمين للتجهيز ، ولما كان الجو حاراً والسنة مُجدبة سميت هذه الغزوة بغزوة العسرة ، ومع ذلك تسابق المسلمون للتجهيز للقتال ، فقد قدم عثمان رضي الله عنه مائتي بعير محملة بضائعها ومائتي أوقية من الفضة ، وألف دينار ذهبي لتجهيز الجيش حتى امتدحه رسول الله ﷺ فقال : «ماضرّ عثمان ماعمل بعد اليوم»[1] . كما تصدق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله و لم يترك لأهله شيئاً ، وتصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنصف ماله وعبدالرحمن بن عوف بمائتي أوقية من الفضة . و لم يبخل في الإعداد لهذه المعركة سوى المنافقين الذين أخذوا يشيعون روح الإنهزام وأنه لاطاقة للمسلمين بالروم وأن الجو حار جداً وأخذوا يستأذنون النبي في عدم الخروج حتى قال أحدهم وهو الجدّ بن قيس : يارسول الله ائذن لي ولاتَفْتِنِّي فإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أي

١ - جامع الترمذي : مناقب عثى بن عفان ٢١/٢

الروميات أن لأصبر عنهن فأقع في الفاحشة ، فأعرض رسول الله ﷺ عنه .

بينما جاء نفر من أصحاب النبي ﷺ ليخرجوا معه ، فلم يجد ركائب تحملهم ، وقال لهم : «لا أجد ما أحملكم عليه» فرجعوا يبكون ، حتى جاء أحد المسلمين فتصدق بستة أبعرة، فبعثها الرسول إليهم لتحملهم .

٤ - سير المعركة :

ا - سار جيش المسلمين في الجو الحار ، ولما وصلوا منازل ثمود في منطقة تسمى الحجر ، هبت فيها عواصف رملية شديدة ، واشتد العطش والحر بالمسلمين ، ولولا أن الله تعالى أكرمهم بسيل من الماء شربوا منه وحملوا معهم لهلك كثير منهم عطشاً ، ولما وصل المسلمون تبوك وجدوا أن الجيش الروماني قد انسحب ، لمّا علم بكثرة جيش المسلمين وقوة معنوياته .

ب - فأرسل النبي ﷺ إلى صاحب أيلة ـــ العقبة ـــ رسالة يطلب فيها منه أن يسلم وإلا قاتله المسلمون ، فأذعن الرجل وجاء بنفسه لرسول الله ﷺ يطلب الأمان ـــ فكتب له النبي ﷺ كتاب صلح وأمان وفرض عليه الجزية .

كما بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في خمسمائة فارس إلى «الأُكيدر» ملك دَوْمَة الجندل فأسروه وقتلوا أخاه وحاصروا المدينة ، ففتحت أبوابها فداءً لملكها ، فغنم المسلمون منها غنائم كثيرة ، وحقن الرسول ﷺ دم ملكهم وصالحه على أن يدفع الجزية .

جـ - أقام جيش المسلمين في تبوك عشرين يوماً ثم رجع إلى المدينة منتصراً حيث هرب جيش الروم وجبن عن مواجهة جيش المسلمين ، كما خضعت للمسلمين كثير من القبائل والولايات العربية على أطراف

الجزيرة من حدودها الشمالية وأصبح بينها وبينهم عقد أمان تمتنع بموجبه عن الاعتداء على المسلمين ، وتدفع الجزية سنوياً ، وبهذا أمّن الرسول ﷺ الدولة الإسلامية من أخطار الغزو الخارجي كما كان قد أمّنها من الغزو الداخلي بعد فتح مكة ، وبدأت تتوافد وفود القبائل تعلن إسلامها .

٥ - المخلفون الثلاثة :

تخلف ثلاثة نفر من المؤمنين الصادقين عن الخروج في جيش العسرة ، وهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، ولما رجع المسلمون من تبوك أمر النبي ﷺ بمقاطعتهم ، فقاطعهم المسلمون حتى قاطعتهم نساؤهم .

فوجد هؤلاء الصحابة ضيقاً شديداً حتى ضاقت عليهم أنفسهم ، وهم يستغفرون ربهم ويتوبون إليه ، ويدعونه أن يفرج عنهم ، ولما علم الله صدق نياتهم ، وقد أدبتهم تلك المقاطعة العنيفة تاب عليهم ، أنزل قوله تعالى عن مقاطعتهم : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة : ١١٨] ففرح المسلمون بتوبة الله على المخلفين ، وأنهوا مقاطعتهم ، وفرحوا هم كثيراً وتصدق بعضهم بمعظم أموالهم ، وعاهدوا الله تعالى على الصدق وألاّ يعودوا لمثلها .

٦ - دروس وعبـــر :

ا - نأخذ من غزوة تبوك درساً في إصرار المؤمنين على تحقيق أهدافهم ، فحين لم يتمكن المسلمون من تحقيق أهدافهم تماماً في غزوة مؤتة ، جهَّز النبي ﷺ جيشاً كبيرا لمواجهة الروم وكبح جماح عدوانهم على الإسلام .

ب - وفي تسابق المسلمين للتجهيز درس كبير في حب الإنفاق في سبيل الله ، حتى إن بعض المسلمين لما لم يجد ماينفقه ولا دابة تحمله رجعوا باكين فسمُّوا بالبكائين .

جـ - المسلم لايؤثر الراحة على الجهاد ، فقد كان خروج المسلمين في الحر الشديد والسنة المُجدبة وفي وقت نضج ثمار المدينة ، حتى سميت هذه الغزوة بغزوة العُسرة .

د - المسلم الصادق رجّاع إلى الله تعالى ، فالمخلفون الثلاثة كم ندموا على تخلفهم عن رسول الله ﷺ ، حتى ربط أحدهم نفسه بعمود المسجد ، وحبس الآخر نفسه في بيته حتى تاب الله عليهم ، أما الصحابي أبو خيثمة وقد تأخر عن الخروج ، وذهب إلى عريشه فوجد زوجتيه قد بَرَّدَتا العريش وأعَدَّتاَ الطعام الطيب ، فندم ورفض أن يدخل العريش وقال لهما : هيئا لي الزاد والراحلة ، رسول الله في الحر والريح وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مُهيأ وامرأة حسناء، في ماله مقيم: والله ماهذا بالنصف والعدل ، وقد افتقده النبي ﷺ ، فلما أقبل قال عليه الصلاة والسلام كن أبا خيثمة، ولما وصل اعتذر لرسول الله ﷺ ، فدعا له بخير .

هـ - المنافقون لن يكونوا مع الإسلام ، فقد أرْجَفُوا قبل الخروج ، وثبطوا المسلمين ، وكانوا قد بنوا مسجداً طلبوا من النبي أن يصلي لهم فيه حتى ينالوا بركته ، وقد كان هذا المسجد ملتقى لمؤامراتهم ، فأمهلهم النبي حتى يرجع من تبوك ، فلما عاد أمره الله تعالى أن يهدمه عليهم ، وذلك هو مسجد الضرار ، قال الله تعالى : لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ [سورة التوبة : ١٠٨] .

و - كانت معركة تبوك حرب أمة ضد أمة أخرى ، ولذا فقد رفع الله شأن الأمة المسلمة بفرار أمة الروم عن المواجهة ، ولم يكن العرب يحلمون بحرب الروم قبل الإسلام ، أما بعد الإسلام فأصبحوا يعتقدون أنهم يستطيعون قتال أكبر دول الأرض وتخويفهم على طريق القضاء عليها .

النشـــاط :

١ - راجع كتاب صحيح البخاري : كتاب المغازي . (غزوة تبوك) وانقل إلى دفترك باب حديث كعب بن مالك، واستخلص منه العبر والدروس.

٢ - في موقف الرسول الكريم من الخوالف مايدل على الصرامة والانضباط ، وعدم التساهل أمام حرمات الله ، كيف تربط بين هذه الحادثة ونظام الولاية والبراءة ؟

تخصص مناقشة صَفِّية جماعية للموضوع.

عام القبائل والوفود

عناصر الدرس :

١ - الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.
٢ - وفد الطائف.
٣ - وفد بني عامر.
٤ - وفد بني حنيفة.
٥ - وفد بني تميم.
٦ - وفد بني سعد بن بكر.
٧ - وفود اليمن.
٨ - وفود نصارى نجران.
٩ - دروس وعبر.

١ - الناس يدخلون في دين الله أفواجاً :

ما إن فتح المسلمون مكة حتى لانت قريش ، فدخلت في الإسلام ، وانفرط عقد جميع القبائل العربية ، فإن العرب تابعة لقريش ، ولم يكن لها بعد منعة ولا قوة ، ولم يعد الإسلام مضطهداً ولامحارباً في الجزيرة العربية، حيث إن غزوة تبوك كانت تعني أن الإسلام أخذ يتحمل مسؤولياته في دعوة الأمم الأخرى ، وقتالها ، فهي اشتباك مع أقوى دولة كبرى ، دولة الروم .

ولذا فما إن عاد المسلمون منتصرين من تبوك حتى توافدت قبائل العرب من شمال حدود الجزيرة إلى جنوبها ، تتوافد وفودها على المدينة وفداً بعد آخر ، فمنهم من يعلن إسلامه ويتلقى تعاليم الإسلام ثم يعود ، ومنهم من كان في

شك وفي عصبية جاهلية ، فيتلقاه النبي ﷺ ، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، حتى يدخل في الإسلام طائعاً مقتنعاً ، ومنهم من جاء خاضعاً مُقِرًّاً يطلب إعلان إسلامه ، ومنهم من كان مسلماً يدعو قومه ولكنهم تأخروا في إسلامهم ، فيأتي بهم لإعلان إسلامهم وتعلم أحكام الشرع وهكذا سمي هذا العام التاسع للهجرة عام الوفود .

٢ - وفد الطائف (ثقيف) :

وقفت أهل الطائف من الإسلام وقفة عداء منذ بداية عهد الدعوة ، حتى بعد فتح مكة ، فقد حاصرهم النبي ﷺ في غزوة حنين ، وقد امتنع عن هدم حصون ثقيف وحرق بساتينهم وعاد إلى المدينة ، وقد دخل قلة منهم في الإسلام ، ولكنهم بقوا في غالبيتهم وزعاماتهم على كفرهم ، ولما عاد إليهم زعيمهم عروة ابن مسعود مسلماً قتلوه ، وقد كان محبوباً فيهم ، فندموا وقد رأوا أن قريشاً زعيمة العرب قد استسلمت وأنه لاطاقة لأحد من العرب على حرب الإسلام ، فقرروا أن يبعثوا وفداً من ستة رجال بزعامة «عبديالیل» ، فلما قدموا المدينة ضرب لهم النبي قبة في المسجد ، وكانوا يثقون بخالد بن سعيد بن العاص من المسلمين ، وكانوا إذا جاءهم الطعام من قبل النبي ﷺ لايأكلون حتى يأكل خالد منه تخوفاً وسوء ظن منهم بالمسلمين . وبعد حديث ومفاوضات أعلنوا إسلامهم ، ولكنهم مازالت تعز عليهم جاهليتهم ، فطلبوا من النبي ﷺ أن يبقي لهم صنم «اللات» ثلاث سنين فأبى، فطلبوا سنتين فأبى ، قالوا فسنة واحدة فرفض النبي ﷺ رفضاً قاطعاً ، ثم سألوه إذا كان ولابد من كسر أصنامهم ألا يكسروها هم بأيديهم تخوفاً من عاقبة كسرها ، فأجابهم النبي ﷺ وأرسل معهم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب لكسرها ، ثم طلبوا منه أن يعفيهم من الصلاة فقالوا لهم : «لا خير في دين بلا صلاة» .

وبقي هذا الوفد يفاوض على البقاء على الزنا والخمر والربا ، ورسول الله ﷺ يصر على رفض طلباتهم ، لأن هذا الدين لايقبل الجاهلية في عقائدها ولا في سلوكها ، والدين يجب أن يؤخذ كله بلانقص .

وعاد الوفد وكتم إسلامه على ثقيف خوفاً من القتل ، وأظهر الحزن والكرب لأن محمداً لم يجبهم إلى ماسألوه من عدم هدم اللات والعزى وعدم تحريم الخمر والزنا والربا وأن الرجل مصر على قتل من يقف في طريق الإسلام ، فثارت ثقيف ، فاقترح الوفد عليها أنه لم يبق إلا أن تعدوا السلاح للقتال ، ففكرت ثقيف ثلاثة أيام إذ كيف يقاتلون رجلاً دان له العرب ، واستسلمت له مكة ، وأخذ يحارب الدول الكبرى ؟ فلما رأى الوفد حالهم صارحهم بأنه قد أعطاهم الأمان وأنهم أسلموا ، فنزع الله من قلوب ثقيف نخوة الشيطان وقام المغيرة وأبو سفيان بهدم أصنام ثقيف وهم ملتفون حولهما ، خائفون من العواقب ، حتى نبشاها من أساسها ، وهكذا دخلت ثقيف في الإسلام .

٣ - وفـد بني عامـر :

جاء هذا الوفد مسلما ولكن كان فيه عامر بن الطفيل وأربد وكانا غادرين يريدان قتل النبي ﷺ بحيلة رسماها معا . ولما طلب عامر من النبي أن يجعله خليلاً شرط عليه النبي أن يسلم حتي يخالله ، فأخذ يتهدد ويتوعد ، وخذله صاحبه أربد ، إذ عصم الله رسوله ومنعه من مؤامرتهما ، فكان كلما أراد أربد أن يهوي بالسيف على النبي تهيأ له أن صاحبه عامر واقف بينه وبين النبي ، وأنه إن هوى بالسيف فسيهوي به على صاحبه ، وقد أعلن هذا الوفد إسلام بني عامر ورجع . ولكن الله تعالى قد انتقم من الغادرين فأصيب عامر بالطاعون في الطريق فأهلكه ، ونزلت صاعقة على أربد فقتلته .

---

١ - السيرة النبوية لابن هشام وهو ضعيف كما في تخريج الالباني في فقه السيرة للغزالي ص/ ٤٥٠

٤ - وفـد بني حنيفـة :

جاء وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب الذي سبق أن بعث للنبي كتاباً يدعي فيه أنه رسول ، ولما كلموا النبي ﷺ أسلم فريق منهم وفريق بقوا على ضلالهم وعصبيتهم، يدّعون أن مسيلمة نبي ، ليس اقتناعاً بالحق ولكنهم كانوا يتعصبون لقبيلتهم فيقولون «كذاب ربيعة خير من صادق مضر» .

٥ - وفـد بني تميـم :

أقبل هذا الوفد من بني تميم وفيه أشرافهم منهم الأقرع بن حابس والزبرقان ابن بدر الشاعر ، وأخذ يفخر هذا الوفد بخطبائه وشعرائه ، فخطب خطيبه عطارد وقال الزبرقان شعرا يفتخر فيه ، فطلب النبي ﷺ من ثابت بن الشماس أن يرد على خطيبهم فخطب، ومن حسان بن ثابت أن يرد على شاعرهم فقال شعراً يفتخر فيه بالنبوة ، فلما فرغوا قال الأقرع بن جابس: إن محمداً خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا ، وأسلم القوم ، وأكرمهم النبي ﷺ وأعطاهم الجوائز وعادوا إلى قومهم .

٦ - وفد بني سعد بن بكر :

أرسلت بنو سعد ضمامة بن ثعلبة وقد كان مسلماً ، فلما جاء إلى المسجد فقال : أيكم ابن عبدالمطلب ؟ فأجابه النبي ﷺ، فقال : إني سائلك فمشدد عليك المسألة ، فلاتجد علي في نفسك .. أنشدك الله إلهك وإلاه من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك! آلله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال عليه الصلاة والسلام : نعم، قال: آلله أمرك أن نعبده وحده لانشرك به شيئاً؟ قال : اللهم نعم، قال: آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم، ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة حتى إذا انتهى قال: فإني أشهد أن لا

إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب مانهيتني عنه لا أزيد ولاأنقص ، فقال رسول الله ﷺ إن يصدق يدخل الجنة .

وعاد إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام ، وهدم أصنامهم التي كانوا يعبدونها وانتشر الإسلام بينهم ، فما أمسى ذلك اليوم حتى أسلموا رجالاً ونساءً وماكان من رجل وافد أفضل من هذا الرجل لأثره في قومه[1] .

٧ - وفـود اليمن :

كما أقبلت وفود من اليمن من الأشعريين والأزد وغيرهم إلى النبي ﷺ وكانوا مسلمين يريدون أن يتعرفوا أحكام الإسلام ، وكانوا أسرع من غيرهم إلى الدخول في الإسلام ، وقد بعث النبي ﷺ بعض أصحابه يعلمونهم الإسلام ، وكتب لهم كتباً تبين لهم واجباتهم تجاه الدولة الإسلامية .

٨ - وفد نصارى نجران :

بعث النبي ﷺ كتاباً إلى نصارى نجران يدعوهم فيه إلى الإسلام ، فبعثوا وفداً إلى النبي ﷺ يأتيهم بخبره ، فسألوه عن قوله في عيسى فتلا عليهم رسول الله ﷺ قوله تعالى : إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ [سورة آل عمران : ٥٩ ــ ٦١] وطلبهم النبي ﷺ إلى المباهلة ، وهي الدعاء باللعنة على الكاذب فخافوا من لعنة الله وطلبوا حكمة منهم فكتب لهم النبي كتاباً أعطاهم فيه الأمان ، وجعلهم من أهل الذمة إن اختاروا أن يبقوا على دينهم ، ولما عادوا

---

١ - صحيح البخاري: كتاب العلم رقم (٦٣) ومسلم رقم (١٢) وابي داود والنسائي وابن ماجه

إلى قومهم اختار بعضهم الإسلام واختار بعضهم الآخر أن يبقى على دينه ويكون من أهل الذمة .

٩ - دروس وعـــبر :

ا - الدين لايقبل المساومة فإما أن يؤخذ كله أو يترك كله ، نجد هذا الدرس واضحاً من رفض النبي ﷺ إسلام ثقيف مع اشتراطهم ترك تحطيم أصنامهم فترة من الزمان ، واشتراطهم عدم الصلاة أو البقاء على بعض منكراتهم .

ب - رسول الله ﷺ معصوم محفوظ بحفظ الله ، ولهذا فقد أسقط الله في يد عامر وأربد حين تآمرا على قتله في وفد بني عامر .

جـ - المؤمن الحق لايخضع للتهديد والوعيد ، درس نقتبسه من رفض النبي ﷺ أن يخالل عامر وهو بَعْدُ على كفره .

د - كان أهل اليمن أسرع الناس إسلاماً من بين الوفود ، كما كانوا أرق الناس أفئدة .

هـ - ليس الكفر دائماً حصيلة الجهل ، وإنما الكفر تعصب للباطل وعنجهية ، هكذا بقي بعض بني حنيفة كفاراً يعتقدون نبوة مسيلمة الكذاب ، حتى قالوا : «كاذب ربيعة خير من صادق مضر» .

و - من واجب الداعية أن يعلم المسلمين الجدد أحكام الإسلام ، وهكذا كان رسول الله ﷺ يعلم الوفود أحكام الإسلام ، كما كان يرسل مع بعض الوفود من أصحابه من يقيمون بينهم ليعلموا الناس دينهم .

ز - الإسلام دين هداية وليس دين زعامة ، فقد ترك رسول الله ﷺ زعماء القبائل على حالهم ، فلم يعزلهم ولم يعُين لهم حكاماً من أصحابه ، لأن إسلامهم هو المطلوب ولتكن زعاماتهم منهم طالما كانت هذه الزعامات مؤمنة .

حـ - لم يكن يقبل النبي ﷺ من المشركين الخيار بين الإسلام والشرك فإما أن يدخلوا في الإسلام وإما أن يقاتلوا ، بينما نجده مع وفود النصارى يخيرهم بين الإسلام وبين أن يكونوا من أهل الذمة ، وذلك احتراماً لأصل دينهم ، لأنه كان من عند الله تعالى .

ط - لم يكن من الوفود وفد لليهود ، لأنهم كانو قد أساءوا للإسلام وغدروا بالمسلمين ، فطردت قبائلهم بنو قينقاع وبنو النضير ، وَنُكِّلَ بمقاتلة بني قريظة ، وفتحت حصونهم في خيبر وكانوا على علاقة صلح بالمسلمين قبل عام الوفود .

نشـــاط :

راجع كتاب السيرة النبوية لابن هشام واجمع منه قصة ثلاثة وفود أخرى وصفها بأسلوبك مبينا الدروس والعبر منها.

حجـة الـوداع (١)

عناصر الدرس :

١ - بين يدي حجة الوداع.
٢ - الخروج لحجة الوداع.
٣ - أفعال الحج.
٤ - إكمال الدين وإتمام النعمة.
٥ - دروس وعبر.

١ - بين يدي حجة الوداع :

كان أبو بكر قد حج بالناس في موسم الحج السابق لحجة الوداع ، حيث أمره النبي ﷺ أن يكون أمير الحج في السنة التاسعة للهجرة ، وقد نزلت أوائل سورة براءة بعد خروج المسلمين للحج ، فبعث رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب ينادي في الناس يوم الحج الأكبر والحجيج يجتمعون من مسلمين ومشركين ، أن الله تعالى بريء من المشركين ورسوله ، وأنه نبذ إلى كل ذي عهدٍ عَهْدَهُ ، وأجل لهم أربعة أشهر ، وأن من لم يكن له عهد فمدته كذلك أربعة أشهر ، وأما الذين لم ينقضوا عهودهم مع المسلمين فعهودهم تنتهي بانتهاء مدتها المتفق عليها . وأنه بعد هذا الحج لايحج بالبيت مشرك ولايطوف بالبيت عريان .

وكان هذا الخطاب إعلاما عاماً بانتهاء الوثنية والشرك في جزيرة العرب .

ثم توالت الوفود ــ كما رأينا ــ لتعلن إسلامها ، وما أن جاء موسم الحج في نهاية السنة العاشرة للهجرة حتى تمت أعمال الدعوة ، وأبلغت الرسالة

وأصبح الإسلام مسيطرا على الجزيرة العربية ، وبدأ رسول الله ﷺ يشعر ويُشعر المسلمين بأنه مهمته قد اكتملت ، حتى إنه لما بعث معاذ بن جبل والياً على اليمن قال له : «يامعاذ إنك عسى أن لاتلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري»[1] فبكى معاذ خوفاً من فراق رسول الله ﷺ .

٢ - الخروج لحجة الوداع :

ندب رسول الله ﷺ المسلمين للحج ، واشترى البدن والهدي - ذبائح الحج - فتجهز ناس كثير يريدون أن يشهدوا الحج مع رسول الله ﷺ وأقبلت الوفود من كل صوب ، حتى كان الحجيج آلافا مؤلفة .

وخرج الرسول ﷺ بالمسلمين في آخر السنة العاشرة قبل نهاية شهر ذي القعدة بخمسة أيام . وكانت أول حجة لرسول الله ﷺ بعد الهجرة . واستخلف على المسلمين بالمدينة أبا دُجانة الساعدي .

ولما وصل المسلمون ذي الحليفة ، صلى رسول الله ﷺ ركعتين وأحرم بالحج والعمرة وأحرم معه المسلمون ممن ساق الهدي ، وأما من لم يَسُق الهدي فأمرهم أن يحرموا بعمرة ، وعلَّم المسلمين التلبية الصحيحة «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك» وسارت الجموع الكبيرة يقودها رسول الله ﷺ حتى وصلوا مكة في اليوم الرابع من ذي الحجة .

---

١ - حديث صحيح اخرجه أحمد في المسند ٥/٢٣٥

٣ - أفعال الحـــج :[1]

دخل رسول الله ﷺ البيت الحرام وتبعه المسلمون فطاف سبعة أشواط حول الكعبة مبتدئاً بتقبيل الحجر الأسود ، رمل ــ أسرع ــ في الثلاثة الأولى منها ، ثم صلى في مقام إبراهيم ركعتين ، ثم رجع إلى الملتزم فاستلمه ، ثم صعد إلى الصفا وقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ [البقرة : ١٥٨] وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط يسرع في كل شوط منها بين الميلين ،وكان في بداية كل شوط يتجه إلى الكعبة ويقول «لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده» ثم يدعو وهو يسعى .

وبهذا أنهى الرسول أعمال العمرة وبقي محرماً لأنه ساق الهدي وكان حَجَّةُ قارناً أي جامعاً بين العمرة والحج في إحرام واحد ، وأمر من لم يسق الهدي بالتحلل من الإحرام ليكونوا متمتعين ، وقال : لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة .

وفي هذه الفترة قدم علي من اليمن وكان قد نوى أن يهل كما أهل رسول الله ﷺ ، فأصبح قارنا مثله .

وفي يوم التروية ــ في الثامن من ذي الحجة ــ توجه رسول الله والحجيج. وقد أحرم المتمتعون منهم بالحج إلى منى فباتوا فيها وبعد طلوع الشمس ساروا إلى جبل عرفات ، وقد ضربت للرسول قبة بنمرة ، خطب في المسلمين خطبة

---

١ - السيرة النبوية لابن هشام ٤/٢٣٠ فما بعدها

عرفة وصلى بهم الظهر والعصر جمع تقديم ، وصعد إلى الموقف واستقبل القبلة يدعو الله تعالى ، حتى غربت الشمس وركب ناقته وأفاض إلى المزدلفة والمسلمون يتبعونه ، فصلى فيها بالمسلمين المغرب والعشاء جمع تأخير ، وبات فيها إلى الفجر ، فصلى الفجر وأتى المشعر الحرام حتى أسفر الصبح قبيل طلوع الشمس بقليل واتجه إلى منى ، فأتى جمرة العقبة الكبرى فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها ، ثم نحر هديه ونادى الحلاق فحلق شعره وتحلل التحلل الأصغر ، ثم نزل إلى مكة فطاف طواف الإفاضة ، وعاد إلى منى يبيت فيها ويرمي كل يوم من أيام التشريق الجمرات الثلاث ، وفي آخر يوم ذهب إلى مكة فطاف طواف الوداع . وكانت عائشة رضي الله عنها قد حاضت قبل دخول مكة ، فلم تهل بعمرة ، فأمر أخاها عبدالرحمن بأن يأخذها فتحرم من الحل بالتنعيم وهو ميقات أهل مكة لتؤدي عمرتها ، ثم عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة وبهذا يكون قد أتم الحج .

٤ - إكمال الدين وإتمام النعمة :

نزل على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة يوم الجمعة قول الله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] وعندما سمعها عمر بكى : فقيل له مايبكيك ؟ قال : إنه ليس الكمال إلا النقصان ، وكأنه استشعر قرب وفاة النبي ﷺ .

وقد نزل عليه أيام التشريق سورة النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فعرف كما عرف المقربون من أصحابه أنه قرب أجله عليه الصلاة والسلام .

٥ - دروس وعبـــر :

١ - جعل رسول الله ﷺ حجة أبي بكر بين يدي حَجِّه الأكبر ، لأن

المشركين كانوا مايزالون يحجون وبعضهم كان معاهداً وبعضهم الآخر بلا عهد ولهذا أجل حجه حتى لايطوف بالبيت مشرك ولاعريان ، وليكون حجه الأكبر علامة النصر الأكبر لدينه واحتفاله الأعظم بتطهير الجزيرة العربية من الشرك .

ب – حرص المسلمون من كل حدب وصوب أن يحجوا مع رسول الله ﷺ ليتعلموا منه أحكام الحج ولينالوا بركة الحج معه عليه الصلاة والسلام .

جـ – كان من عادة رسول الله ﷺ إذا خرج من المدينة لغزو أو عمرة أن يستخلف على المدينة واحداً من أصحابه يقيم أمر الناس ويصلي بهم وقد استخلف في حجه الأكبر أبا دجانة الساعدي .

د – لقد كان حب أصحاب النبي لنبيهم حباً عظيماً ، فمعاذ بن جبل يبكي ورسول الله ﷺ يودعه وعُمر يبكي حين تنزل آية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ وكيف لايحبون أعظم نعمة أنعمها الله عليهم بالنبوة والرسالة .

هـ – مواساة النبي ﷺ لعائشة حين حزنت بسبب حيضها وأنها سوف لاتؤدي عمرة ، فيهديء النبي ﷺ من روعها ويقول لها : «عسى الله أن يرزقكيها ، إنما أنت من بنات آدم كتب الله عليك ماكتب عليهن» [1] ثم يأمر أخاها عبدالرحمن بأن يأخذها إلى الميقات لتحرم وتؤدي عمرتها ، إن هذه المواساة وهذا اللطف ليدل دلالة أكيدة واضحة على إكرام رسول الله ﷺ للمرأة ، ودعوة صريحة لإحسان معاملتها والرفق بها .

---

١ – صحيح البخاري : كتاب الحج رقم ١٥١٨

النشـــــاط :

اقرأ حجة النبي ﷺ في مرجع من مراجع السيرة النبوية واستخلص منها الاحكام الفقهية المتعلقة بالحج.

حجة الوداع (٢)

عناصر الدرس :

١ - خطبة النبي ﷺ بعرفة .

٢ - دروس وعبر.

١ - خطبة النبي ﷺ بعرفة :

نظر رسول الله ﷺ إلى مايزيد على مائة وأربعين ألفاً من الحجيج في عرفة ، يُلَبّون ويدعون ، واستشعر نعمة الله الغامرة باستعادة عقيدة التوحيد تملأ قلوب الناس في عرفة ، بعد أن لوثت هذا الموقف صيحات الشرك سنوات طويلة ، فقام عليه الصلاة والسلام خطيباً يعلم الناس أصول الأحكام ، ويختم بها صفحة سوداء من الجاهلية والانحراف .

وكانت خطبته التالية [1]:

«أيها الناس اسمعوا قولي هذا ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تَلْقَوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلّغت ، فمن كانت عِنْدَهُ أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمونَ قضى الله أنه لا ربا. وإن ربا العباس بن عبدالمطلب موضُوعٌ كله. وإن كل دم في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع ، دم ربيعة

---

١ - السيرة النبوية لابن هشام ٢٣١/٤ وصحيح مسلم رقم ١٢١٨ وسائر السنن

ابن الحارث ابن عبدالمطلب ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أما بعد أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي به ، مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم .

أيها الناس إِنَّمَا النَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ [التوبة ٣٧] وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ورجب — الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس : فإن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً لكم عليهن أن لايوطئن فُرُشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن ذلك ، فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين ، فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عوان لايملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاعقلوا أيها الناس فإني قد بلَّغت .

وقد تركت فيكم ماإن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمراً بيّناً ، كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس : اسمعوا وأطيعوا وإن أُمِّر عليكم عبد حبشي ما أقام فيكم كتاب الله تعالى .

أيها الناس : اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ماأعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ فقال الناس : نعم .

وستلقون ربكم فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ،

ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون ؟

قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد .

وكان ربيعة بن أمية بن خلف يبلغ المسلمين الذين لايسمعون فيصرخ بأعلى صوته يكرر مايقوله رسول الله ﷺ .

٢ - دروس وعبـــر :

ا - كانت حجة الوداع أول حجة حجها النبي ﷺ بعد الهجرة ، وآخر حجة في حياته عليه الصلاة السلام ، ولذا سميت حجة الوداع ، لأنه ودَّع فيها المسلمين ، وقد أشعرهم بذلك في قوله «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً» . كما تسمى كذلك بحجة البلاغ لأنه بلغ المسلمين أوامر دينهم في هذا المؤتمر الإسلامي العام وكان يقول اللهم قد بلغت ، واللهم هل بلغت ؟

ب - كان رسول الله ﷺ ينادي «أيها الناس» ويقصد الحجيج كما يقصد كل الناس الذين يأتون بعد هذا الموسم ، لأنها حجة البلاغ ورسول الله ﷺ بعثه الله لإبلاغ الناس كافة ، وبهذا طلب منهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم وهكذا إلى قيام الساعة .

جـ - اختار النبي ﷺ مجموعة من المباديء العامة ليبلغها للناس ، مع أنه سبق أن بينها في حياته ، وذلك لأهميتها ، ولأنها مباديء تحفظ الأمة ، وتميزها ومن هذه المباديء :

١ - احترام نفس المؤمن وماله وعرضه . فالأصل أن المسلم على المسلم حرام نفسه وماله وعرضه، وأنه لايصح أن يقترب منها إلا بما أحله

الله له ، ولهذا طلب النبي ﷺ أن ترد الأمانة إلى أهلها ، وأهدر الربا ، ودماء الجاهلية وشاراتها ، فإنه لايحطم الأمة مثل اقتتالها وتعاملها بالربا واستحلالها للفواحش .

٢ – الحيطة من وسوسة الشيطان والتجاوب معه ، لأنه يفسد اعتقاد العباد وعبادتهم .

٣ – مراعاة حرمات الله والأشهر الحرم ، بعدم التلاعب بشرع الله .

٤ – إكرام المرأة والوصية بالنساء خيراً بإعطائهن حقوقهن وإعانتهن على القيام بواجباتهن، وذلك لأن الأسرة المسلمة إذا صلحت صلح المجتمع واستقامت الأمة .

٥ – الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ هو الحافظ للأمة من الزلل والانحراف ، وبهذا يُوحد النبي ﷺ المصدر الذي تأخذ منه الأمة دينها وشريعتها ومنهاج حياتها .

مفردات :

مبرّح : مؤذٍ شديد يظهر أثره　　عوان: اسيرات

النسيء : التأخير في الأشهر　　يواطئوا : يقترفوا

استدار : عاد　　ينكئها : يقلبها ويثير بها

النشـــاط :

١ - استخرج مافي خطبة الرسول الكريم من مواقف وتوجيهات وضعها في عناصر مرتبة حسب أهميتها في نظرك.

انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى

عناصر الدرس:

١ - علامات التوديع.
٢ - شكوى رسول الله ﷺ.
٣ - من وصايا النبى في مرض موته.
٤ - الالتحاق بالرفيق الأعلى.
٥ - هول الفاجعة.
٦ - دروس وعبر.

١ - علامات التوديع :

بدأت علامات قرب وفاة النبي ﷺ تتوالى في السنة الأخيرة من حياته، فعند وداعه لمعاذ بن جبل قال له: إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا. وفي حجة الوداع يودّع المسلمين فيقول: فإني لا أدرى لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا. وقد اعتكف في رمضان من السنة العاشرة عشرين يوما على غير عادته ، إذ كان يعتكف العشر الأواخر فقط ، وتدارسه جبريل القرآن مرتين. ونزلت عليه سورة النصر، و«اليوم أكملت لكم دينكم» . وفي أوائل صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة خرج فصلى على شهداء أحد ، فكأنه يودع الأموات والأحياء ، ثم صعد المنبر وخطب فقال: «إني فرطكم وإني شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلي حوضي الآن

وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، واني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»[1].

٢ - شكوى رسول الله ﷺ :

وفي آخر ليلة من صفر اشتكى رسول الله ﷺ من وجع في رأسه حيث كان عائداً من جنازة ، وكان قبلها بليلة قد خرج إلى البقيع في منتصف الليل ومعه مولاه أبو مويهبة، فلما أتى أهل البقيع قال:«السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيما أصبح الناس فيه..ثم أقبل على أبي مويهبة ، فقال إني أعطيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، فخُيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة. فقال ياأباُمَوَيْهِبَةَ بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا وتخلد فيها ثم الجنة. فقال: لا والله يا أباموهبه: قد اخترت لقاء ربي والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع».

وكان أول وجعه ﷺ صداعا شديدا ، وكانت عائشة ترقيه فتقرأ عليه المعوذات وتمسح بيده على جسمه . وشعر بتعب شديد وشعرت نساؤه أنه يرغب أن يُمَرَّض في بيت عائشة ، لأن صحته ما عادت تساعده على التنقل بين بيوت أزواجه ، فأذنّ له. وكان يطلب أن يُصَبّ عليه ماء بارد لتخفيف الحرارة. وكان يخرج بصعوبة فيصلي بالناس ، حتى صلى بهم أحد عشر يوما وهو على هذا الحال.

ولما ثقل عليه المرض عهد إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فخافت عائشة من أن يتشاءم الناس من أبيها، وأشفقت عليه من تبعة ذلك، ولكن رسول الله ﷺ أصر على ذلك وقال لعائشة غاضبا إنكن صواحب يوسف مروا

---

١ - صحيح (متفق عليه) واللفظ للبخاري

٢ - أحمد في المسند ، وابو داود والنسائي وابن ماجه

أبا بكر فليصلِّ بالناس»[1].

وقد خرج رسول الله ﷺ مرة فوجدهم يصلون ، فطلب ممن معه أن يجلسوه على يسار أبي بكر فأخذ يؤم المسلمين بإمامة أبي بكر ، فهو يؤم أبا بكر وأبو بكر يؤم المسلمين.

٣ - من وصايا النبي ﷺ في مرض موته :

ا - خرج رسول الله ﷺ وهو يشتكي ، فصعد المنبر فقال: «عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده» فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: «فديناك بآبائنا وأمهاتنا إذ فهم أن هذا الذي خير هو رسول الله ﷺ ، وأنه اختار الموت ، واستغرب بعض الصحابة بكاء أبي بكر ، فلما عرفوا بعد ذلك قالوا: كان أعلمنا وأفهمنا، فلما رأى النبي أبا بكر يبكي قال: على رسلك ياأبا بكر، أيها الناس، ، إن آمن الناس عَلَيَّ أبو بكر، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام ، لا يبقين في المسجد خوخة (باب صغير) إلا سُدّ إلا باب أبي بكر»[2].

ب - كما حذر النبي ﷺ من اتخاذ قبره مسجدا ، فقال للمسلمين على المنبر«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[3]لا تتخذوا قبري وثنا يُعبد»[4]

جـ - كما أوصى النبي ﷺ المسلمين بالأنصار ، وقدر لهم فضلهم في نصرة دين الله تعالى فقال: «أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد

---

١ - صحيح البخاري

٢ - متفق عليه

٣ ، ٤ صحيح البخاري وموطأ مالك

قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم»[1]

د - كما أوصى النبي ﷺ بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وبالاعتصام بالكتاب والسنة. وإنفاذ جيش أسامة وبالنساء خيرا، وكان آخر كلمة وصى بها المسلمين «الصلاة الصلاة وكررهامرارا».

٤ - الالتحاق بالرفيق الأعلى :

اشتد الألم على رسول الله ﷺ ، وفي صلاة فجر يوم الإثنين في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة ، وكان أبو بكر يصلي بالمسلمين، فاجأ رسول الله المسلمين فكشف الساتر بينهم وبينه من بيت عائشة فنظر إليهم ثم تبسم يضحك ، فتأخر أبو بكر يفتح المجال للنبي ﷺ ليخرج يؤم الناس، وفرح المسلمون ظنا منهم أن رسول الله معافى ، ولكنه عليه الصلاة والسلام أشار لأبي بكر أن يكمل إمامتة ، ودخل الحجرة وأرخى الساتر ، وأسند رأسه إلى صدر عائشة رضي الله عنها وبدأت ساعة الاحتضار، وجاءت فاطمة ، وكلما اشتدت به سكرات الموت تصيح واأبتاه ، واكرب أبتاه ، فيضيق ويقول لها يافاطمة ليس على أبيك كرب بعد اليوم ، ولم يهدىء من روعها وبكائها إلا حين أسرلها فقال لها: إنه سينقل إلى ربه فبكت فسّارها مرة أخرى بأنها ستكون أول من يلحق به من أهله ، ففرحت. ثم رأى في يد عبد الرحمن بن أبي بكر سواكا، ففهمت عائشة أنه يريد السواك ، فبلته بريقها فتسوك وما إن رفع يده حتى شخص بصره وتحركت شفتاه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويقول :مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني

---

١ - صحيح البخاري

بالرفيق الأعلى اللهم الرفيق الأعلى اللهم الرفيق الأعلى اللهم الرفيق الأعلى ، وفاضت روحه الطاهرة ﷺ إلى ربها، راضية مرضية.

٥ - هـول الفاجعـة :

خرج خبر الوفاة، ونعى المسلمون رسولهم، وتسرب النبأ المحزن وأصبحت المدينة يخيم عليها حزن شديد ، ووجوم عجيب ، ومصاب جلل ، حتى قال أنس بن مالك: ما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ ، وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ[١]

وأقبل أبو بكر فدخل على رسول الله ﷺ فكشف عن وجهه ثم أكبّ عليه فقبله وبكى وقال: بأبي أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد مِتَّـهاَ . ثم خرج إلى الناس رابط الجأش ثابت الأعصاب ، فوجد عمر في حالة شديدة من الحزن يتوعد بالقتل من يدعي أن رسول الله ﷺ قد مات ، فقال له : على رسلك ياعمر ، اجلس وأنصت واجتمع الناس على أبي بكر فقال:«أيها الناس ، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت قال تعالى وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ «آل عمران آية ١٤٤».. فتلقاها منه الناس كلهم فأخذوا يتلونها فقال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت على الأرض حين سمعته تلاها ، علمت أن النبي ﷺ قد مات [٢].

وأما عثمان - رَضِي الله عنه - فقد هوى على الأرض ولم تعد رجلاه تحملانه من حزنه وفجيعته برسول الله ﷺ.

---

١ - رواه الدارمي: مشكاة المصابيح ٥٤٧/٢

٢ - صحيح متفق عليه

وأما علي والعباس وآل بيت النبي ﷺ فقد انشغلوا بتجهيزه ﷺ وقد صلى عليه المسلمون صلاة الجنازة أفواجا أفواجا ، وفي ليلة الأربعاء دفنوه عليه الصلاة والسلام في حجرة عائشة مكان موته.

وبهذا يكون عليه الصلاة والسلام قد انتقل إلى رحمة ربه بعد ثلاثة وستين عاماً.

٦ - دروس وعبـــر :

ا - المؤمن يشتاق إلى لقاء ربه بالموت ولا يفزع.

ب - زيارة أهل القبور مشروعة لما فيها من العظة والاعتبار وتذكر الموت. والدعاء للأموات سنة.

جـ - الرقية بقراءة القرآن والمسح على جسد المريض جائزة وفيه بركة بإذن الله تعالى.

د - لقد كان حب أصحاب رسول الله ﷺ له عظيما ، فأبو بكر يبكي حين سمع أن عبدا خُيِّر بين الدنيا ولقاء الله، ويبكي حين موت النبي ﷺ ، كما أن عمر كاد يفقد وعيه وأخذ يهدد ويتوعد من يدعي أن الرسول قد مات بأن يضرب عنقه ، وقد أهوى هو وعثمان على الأرض من هول المصيبة.

هـ - إن تماسك أبي بكر في موقفه في تهدئة المسلمين كان له أثر كبير في وقف الفتنة التي ربما كانت ستحصل بسبب الحزن والإحباط الذي شعر به المسلمون حين سمعوا خبر موت النبي ﷺ.

و - حرص النبي ﷺ فى وصاياه على التأكيد على عقيدة التوحيد والتميز عن اليهود والنصارى فنهى المسلمين عن اتخاذ القبور مساجد وعن تَأْلِيهِ الأنبياء والرسل ، كما حرص على تطهير الجزيرة من كل العقائد الوثنية

والمنحرفة فأوصى بإخراج اليهود والنصارى من الجزيرة العربية، حتى لا يجتمع فيها دينان.

ز - كما تظهر أهمية عبادة الصلاة فهي عمود الدين ، وشعار الأمة المسلمة المعلن، ولذا فقد فاضت روح رسول الله ﷺ إلى بارئها وهو يكرر وصيته للمسلمين بالصلاة.

حـ - إن استخلاف رسول الله ﷺ لأبي بكر بالصلاه ، وحرصه وتأكيده على ذلك ليدل على منزلة عظيمة لأبي بكر ، وأنه إيماء للمسلمين بأن يكون أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ من بعده فيهم. ولقد أدرك المسلمون هذه الملاحظة فعملوا بها.

النشـــاط :

تخصص حصة دراسية لمناقشة موضوع مايترتب على وفاة رسول الله ﷺ من نتائج وآثار وواجبات على الفرد والأمة الإسلامية.

المـــراجـــع

١ – ابن هشام : السيرة النبوية ومعها الروض الأنف للسهيلي .
(٤) أجزاء . مطبعة عباس عبدالسلام شقرون . القاهرة . ١٩٧٣ م
= ١٧٣١ هـ

٢ – الواقدي : كتاب المغازي . جزءان . (تحقيق د. مارسدن جونس) ط ٣
عالم الكتب . بيروت ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م

٣ – ابن سيد الناس . عيون الأثر (جزءان) . ط ٢ . دار الجيل . بيروت
١٩٧٤ م .

٤ – البيهقي : دلائل النبوة . (تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي) (٧ أجزاء) ط
١ . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م

٥ – ابن كثير : السيرة النبوية (تحقيق مصطفى عبدالواحد) (٣ أجزاء) .
دار المعرفة . بيروت . ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٦ م .

٦ – صحيح البخاري . فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر
. المطبعة السلفية . القاهرة .

٧ – صحيح مسلم بشرح النووي .

٨ – د. عماد الدين خليل : دراسة في السيرة . مؤسسة الرسالة ١٣٩٤
هـ = ١٩٧٤ م .

٩ – محمود شيت خطاب : الرسول القائد . ط ٢ . مكتبة الحياة . بغداد
سنة ١٩٦٠ م .

١٠ – صفي الرحمن المباركفوري : الرحيق المختوم . ط ١ رابطة العالم
الإسلامي . مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .

١١ – الشيخ محمد أبو زهرة : خاتم النبيين (٣ أجزاء) ط ١ . دار الفكر العربي . القاهرة ١٩٧٣ .
١٢ – الشيخ محمد الغزالي : فقه السيرة . ط ٤ . دار الكتب الحديثة القاهرة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .
١٣ – منير محمد الغضبان : المنهج الحركي للسيرة النبوية ط ١ . مكتبة المنار . الأردن . ١٤٠٤ = ١٩٧٤ م .
١٤ – د. محمد أبو فارس : في ظلال السيرة النبوية :
غزوة بدر الكبرى ، غزوة أحد ، غزوة الأحزاب . الصراع مع اليهود. دار الفرقان . الأردن .
١٥ – محمد أحمد باشميل : صلح الحديبية . دار الفكر . بيروت . ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م .
١٦ – الدكتور مصطفى السباعي : السيرة النبوية دروس وعبر . ط ٥ . المكتب الإسلامي . دمشق وبيروت . ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م
١٧ – د. راجح الكردي : شعاع من السيرة النبوية في العهد المدني ــ مخطوط .
١٨ – كتب السنن : سنن أبي داود . وابن ماجة . والترمذي . والبيهقي . مسند الإمام أحمد .
١٩ – د . محمد سعيد رمضان البوطي . فقه السيرة .
٢٠ – الشيخ سعيد حوى . الأساس في السنة وفقهها والسيرة النبوية .
٢١ – ابن الربيع ــ وجيه الدين عبدالرحمن بن علي الشيباني . حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار .
٢٢ – الزرقاني ــ محمد عبد الباقي . شرح المواهب اللدنية .

٢٣ – الشيخ صفي الرحمن المباركفوري . الرحيق المختوم .
٢٤ – الشيخ محمد الخضري . نور اليقين في سيرة سيد المرسلين .
٢٥ – ابن سعد محمد بن سعيد بن منيع . الطبقات الكبرى .
٢٦ – الشيخ عبد الحي الكناني . التراتيب الإدارية
٢٧ – الجامع لأحكام القرآن . القرطبي ــ محمد بن أحمد
٢٨ – ابن منظور . لسان العرب .

الفهـــــرس

رقم الصفحة

المقدمة ٥

الوحدة الأولى ٧

مدخل إلى السيرة النبوية الشريفة..... ٩

مصادر دراسة السيرة النبوية الشريفة ١٤

الوحدة الثانية ٢٣

بين يدي البعثة النبوية ٢٥

ميلاد النبي ﷺ ونسبه ٣١

طفولة النبي ﷺ ٣٥

شبابه ﷺ ٣٩

اخلاقه ﷺ قبل البعثة ٤٧

الوحدة الثالثة ٥٣

نزول الوحي (البعثة النبوية) ٥٥

الدعوة السرية ٦٠

الدعوة الجهرية ٦٥

موقف قريش من رسول الله ﷺ ٧٠

١ – ضغوط ومساومات واغراء ٧٠

٢ – استكبار واستهزاء واتهام ٧٦

٣ – ايذاء رسول الله ﷺ ومن آمن معه ٨٢

الوحدة الرابعة ٨٧

(١) الهجرة إلى الحبشة ٨٩

(٢) الهجرة الى الحبشة ٩٢

تابـــع الفهـــرس

رقم الصفحة .....

المقاطعـة العامة ٩٧
الدعوة تتحرك إلى خارج مكة ١٠٣
استمرارية الدعوة وتحمل الأذى ١٠٨
الذهاب إلى الطائف طلبا للنصرة ١١٣
الاسراء والمعراج ١١٩
نظرة تحليلية لطبيعة العهد المكي ١٢٦

الوحدة الخامسة ١٣١

بين يدي الهجرة (١) ١٣٣
بين يدى الهجرة (٢) ١٣٨
طلائع الهجرة إلى المدينة ١٤٤
هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ١٤٩

الوحدة السادسة ١٥٧
(١) أسس بناء المجتمع في المدينة ١٥٩
(٢) أسس بناء المجتمع في المدينة كتابة الوثيقة ١٦٦

الوحدة السابعة ١٧١
الجهاد ١٧٣
السرايا والبعوث ١٧٨
غزوة بدر الكبرى (١) الصراع مع قريش وأهل الجزيرة ١٨٥
غزوة بدر الكبرى (٢) ١٩٢
غزوة أحد (١) ٢٠٤
غزوة أحد (٢) ٢١١
غزوة بني المصطلق ٢١٨
غزوة الأحزاب الخندق (١) ٢٢٣

تابـــع الفهـــرس

رقم الصفحة

غزة الاحزاب الخندق (٢) ٢٢٩
صلح الحديبية (١) ٢٣٨
صلح الحديبية (٢) ٢٤٣
فتح مكة (١) ٢٤٧
فتح مكة (٢) ٢٥١
غزوة حنين ٢٥٥

الوحدة الثامنة ٢٦١
غزوة بني قينقاع الصراع مع اليهود ٢٦٣
غزوة بني النضير ٢٦٨
غزوة بنى قريظة ٢٧٣
غزوة خيبر ٢٧٩
النفاق والمنافقون (١) ٢٨٥
النفاق والمنافقون (٢) ٢٩٠

الوحدة التاسعة ٢٩٧
رسائل النبي ﷺ ٢٩٩
غزوة مؤته (١) ٣٠٦
غزوة مؤته (٢) ٣١١
غزوة تبوك ٣١٦
عام القبائل والوفود ٣٢٢
حجة الوداع (١) ٣٢٩
حجة الوداع (٢) ٣٣٥
انتقال النبي ﷺ الى الرفيق الاعلى ٣٤٠
المراجـــــع ٣٤٧

رقم الايداع : ١١٠ / ٩٣